علي والخوارج

تاريخ وواسة

الجزء الثاني

تأليف
السيد جعفر مرتضى العاملي

فهرس المطالب

الباب الخامس
التظاهر بالتدين

- الفصل الأول: الزهد والعبادة
- الفصل الثاني: معاصي ومآثم

الباب السادس
الخوارج طلاب ملك ودنيا

- الفصل الأول: الخوارج في العهد الأموي
- الفصل الثاني: القتال من أجل الملك
- الفصل الثالث: مفارقات.. وتناقضات في مواقف الخوارج

الباب السابع
واقع الخوارج

- الفصل الأول: الخوارج في البلاد والقبائل
- الفصل الثاني: تركيبة الخوارج
- الفصل الثالث: مزات.. وخصائص
- الفصل الرابع: شجاعة الخوارج

الباب الثامن
ذلك مبلغهم من العلم

- الفصل الأول: الجهل.. والعلم
- الفصل الثاني:رجال ينسبون إلى الخوارج
- الفصل الثالث: عقائد.. وأقاويل
- الفصل الرابع: الفقه.. وأصوله

- الفصل الخامس: أدب الخوارج

الباب التاسع
تلك هي البداية.. وهذه هي النهاية

- الفصل الأول: يكون آخوهم لصوصاً سلابين
- الفصل الثاني: مفارقات في الموقف والممارسة
- الفصل الثالث: الإباضية.. انكفاء.. انطواء..
- الفصل الرابع: الوهابيون.. والخوارج.. صلات.. وسمات
- الفصل الخامس: شقيق عاقر ناقة صالح

- كلمة أخوة

الباب الخامس

التظاهر بالتدين

الصفحة 7

الفصل الأول

الزهد والعبادة

الصفحة 8

الصفحة 9

زهد «الخوارج» وعبادتهم:

لقد عرف عن «الخوارج»: أنهم عباد وزهاد، همهم الدين، والآخرة، وليس لهم في الدنيا الزائلة مأرب ولا رغبة. وهذا هو ما يروج له «الخوارج» أنفسهم.

وعرف عنهم أيضاً أنهم قد وقذتهم العبادة، حتى أصبحت جباههم سوداء، وأصبحوا مضرب المثل في اجتهادهم في العبادة، وفي عزوفهم عن الدنيا، وتشددهم في الالتزام بالحكم الشرعي، هذا إلى جانب قراءتهم للقرآن، حتى عرفوا باسم القراء قبل ظهور الخلاف منهم على أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين.

كما أن مما عرف عنهم هو الصعقة عند قراءة القرآن، فقد سئل أنس عن قوم يصعقون عند القراءة فقال:

«ذلك فعل الخوارج» [1] [2].

ومعنى ذلك هو أن ما يعرف بين الصوفية من التظاهر بحالات الوجد والغشية، والصعق عند قراءة القرآن.. قد يكون موروثاً عن «الخوارج».

(1) راجع: العقود الفضية للحارثي الإباضي، ص46و47.

(2)ربيع الأبرار، ج3 ص587.

هذا هو رأي الأمويين أيضاً:

واللافت للنظر هنا: أننا نجد: أن هذه هي نظرة الأمويين للخوارج، فإن مروان بن الحكم قد اعتبر أن «الخوارج» هم العلماء والزهاد، وذلك في كلام له مع الإمام الحسن (عليه السلام)[1].

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض «الخوارج»: «.. إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا، أو متاع، ولكنكم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها»[2].

ماذا يقول المؤلفون:

ومهما يكن من أمر: فإن الكتاب والمؤلفين حين قرأوا ما ذكره المؤرخون عن حالات «الخوارج» وعبادتهم. وما إلى ذلك.. أخذوه منهم بعجره وبجره، ولم يخضعوه للبحث الدقيق والعميق، ليعرفوا مدى صحته، ولأجل ذلك نجد أنهم ما فتئوا يؤكدون على أن «الخوارج» هم الفئة المؤمنة الملتزمة، التي بقيت وفية لمبادئها، ولمثلها العليا[3].

وقالوا عنهم أيضاً: «إن الخوارج كانوا حزباً ثائراً، كما يدل عليه اسمهم، وحزبا ثائرا تقيا على الحقيقة. فهم لم يقوموا كعرب، ولكن

(1) راجع: بهج الصباغة، ج5 ص266 وج3 ص232 وتذكرة الخواص ص207 وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج1 ص114و115.

(2) فجر الإسلام ص263 والكامل في التاريخ ج5 ص46.

(3) قضايا في التاريخ الإسلامي، بحث الخوارج، ص66و72 و73و89 وفجر الإسلام ص64 شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج5 ص131و79و129و131 وتحليلي أز تاريخ إسلام ج1 ص332 وتاريخ الفرق الإسلامية، ص283 والخوارج والشيعة، ص36و42و59و39 وتاريخ الدولة العربية ص60و62.

كمسلمين، وسلكوا مسلك الأتقياء من المسلمين، وهم القراء».

«وقد وجهت التقوى في الدولة الإسلامية توجيهاً سياسياً، وكانت في أعلى درجاتها عند الخوارج؛ فإن الله تعالى طلب إلى المسلم عندما تعصى أوامره ألاّ يسكت على ذلك»[1].

وقالوا أيضاً: «كانوا حزباً ثورياً، يعتصم بالتقوى، لم ينشأوا عن عصبية العروبة، بل عن الإسلام»[2].

هذا التصور ليس جديداً:

وقد انخدع الناس بهذه المظاهر منذ بداية ظهورهم، حتى اضطر علي (عليه السلام) وأصحابه إلى مواجهة هذا الفهم الساذج للأمور، فقد ذكر «الخوارج» عند ابن عباس، فقال: «ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم يصلون»[3] وفي نص آخر: يضلون[4].

على أنه يكفي في بيان زيف هذه الظاهرة، ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقهم من تنصيص على أن اجتهادهم في العبادة ما هو إلا زيف ومظاهر، لا حقيقة لها، ولا تعني أن ثمة عمقاً إيمانياً مستقراً في القلوب، بل هي مجرد حركات للخوارج، ليس وراءها سوى الخواء التام عن أية حالة إيمانية صادقة، فليس هناك إلا الجهل الذريع، والحماقة القاتلة.

---

(1) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص170 للدكتور علي حسن عبد القادر.

(2) الإباضية عقيدة ومذهباً، ص31 عن الخوارج والشيعة ص41.

(3) المصنف للصنعاني ج10 ص153.

(4) راجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص38 والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص184.

الإصرار على تكذيب رسول الله (صلى الله عليه وآله):

ولا ندري ما هو السبب الحقيقي لهذا الإصرار على الزعم الذي ستأتي الشواهد الكثيرة على أنه لا واقع له..

وهو صدق تقواهم، وثبات قدمهم في الإيمان، والعمل الصالح..

مع أن الحديث المتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يثبت أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وقد أكد التاريخ بصورة قاطعة وقوع الإخبارات الغيبية عن وجود ذي الثدية فيهم، وعن أنهم لا يعبرون النهر، وعن أنه لا يقتل من أصحاب علي عشرة ولا يفلت من أهل النهروان عشرة، وغير ذلك..

إن الوقائع هذه قد أثبتت بصورة قاطعة وحسية فضلاً عن تواتر نقلها، وفضلاً عن أن ناقلها هو المعصوم. نعم قد أثبتت أن حديث. النبي (صلى الله عليه وآله) في مروقهم من الدين، وسائر أوصافهم.. صحيح وثابت..

فما هذه المراوغات من هؤلاء الكتاب؟!.. وما هي دوافعهم لتكذيب هذا النقل القطعي الصادق؟!.

تبريرات لا تصح لتشدّد «الخوارج» في الدين:

إننا في حين نرى هؤلاء الكتاب يحاولون التأكيد على تقوى «الخوارج»، وعلى صلابتهم في أمر الدين..

فإنهم يحاولون إيجاد المخرج لما كان عليه «الخوارج» من جهل وسطحية، ويتلمسون المبررات للنهج الإجرامي الذي يصل بهم إلى حدود ليس ثمة أخطر منها على كل الواقع الديني والإيماني..

هذا النهج الذي تجلّى في عقائدهم، وظهر في مواقفهم

وممارساتهم، ليجسِّد أبشع صورة للتخلف والجهل، والقسوة والغلظة، والبعد عن أي معنى إنساني أو إيماني.. كما سنوضحه فيما يأتي من فصول..

وقد كان عمدة ما علل هؤلاء المؤلفون حال الخوارج، وممارساتهم هو الجهل والسذاجة، والسطحية[1].

ولعل النص التالي: قد استنفد جهود هؤلاء في التنوير، يقول أبو زهرة: «إن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، وقليل منهم كان من عرب القرى، وهؤلاء كانوا في فقر شديد قبيل الإسلام، ولما جاء الإسلام لم تزد حالهم المادية حسناً؛ لأنهم استمروا في باديتهم بلأوائها وشدتها، وصعوبة الحياة فيها. وأصاب الإسلام شغاف قلوبهم، مع سذاجة في التفكير، وضيق في التصور، وبعد عن العلوم؛ فتكوّن من مجموع ذلك نفوس مؤمنة، متعصبة، لضيق نطاق العقول، ومتهورة؛ لأنها نابعة من الصحراء، وزاهدة؛ لأنها لم تجد؟».

إلى أن قال: «ولقد كانت هذه المعيشة التي يعيشونها في بيدائهم دافعة لهم على الخشونة، والقسوة، والعنف؛ إذ النفس صورة لما تألف. ولو أنهم عاشوا عيشة رافهة، فاكهة، في نعيم، أو في نوع منه؛ لخفف من عنفهم؛ وألان صلابتهم، ورطب شدتهم»[1].

وقد أضاف البعض هنا:

(1) راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية ص70و71 وراجع: تحليلي أز تاريخ إسلام ج1 ص132.

أن فقرهم، ورفاهية القبائل الأخرى قد زاد من حقدهم، بالإضافة إلى أن تمسكهم الشديد بالتقاليد، والطبائع البدوية، كالتعصب للقبيلة، والولاء لها، قد جعلهم يبغضون الحكومة السياسية، وتمردوا على نمط الحياة الاجتماعية، فثورتهم تمثل ثورة البدو على سيادة الدولة[1].

ثم عاد نفس هذا البعض ليقول في مورد آخر، ما يردّ ويتنافى مع هذا الذي ذكرناه، حين ادعى أنهم لم يرفضوا فكرة الخلافة، بل أرادوا إقامة دولة على أساس ديمقراطي، فهم جمهوريّو الإسلام، انطلاقاً من فهمهم لعدالة الإسلام.

ويدعي أيضاً: أن طبائع البداوة قد انمحت منهم باعتناقهم الإسلام، وهجرتهم من البادية، وإقامتهم في الأمصار، وانخراطهم في الجيش الإسلامي إلخ[2].

ثم إن هذا البعض أيضاً يقول: «ومن المؤرخين من ذهب إلى أن ظهور الخوارج يعبر عن رغبة القبائل العربية، من غير قريش في إقصائها عن التشبث بالخلافة، والاستئثار بالحكم. فالخوارج من هذه الناحية حزب سياسي، وحركتهم تمثل ثورة ديمقراطية، ضد الأرستقراطية الثيوقراطية الجديدة من كبار الصحابة، فهم لذلك جمهوريّو الإسلام، ودستوريو الإسلام»[3].

ونحن.. لا نستطيع أن نوافق أبا زهرة ولا هؤلاء على كثير مما

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي ص37و50و51 عن أبي زهرة، وعن عمر أبي النصر في كتاب: الخوارج في الإسلام ص18.

(2) المصدر نفسه ص73و74.

(3) نفس المصدر ص36.

ذكره وذكروه..

فأولاً: إنه قد ادّعى: أن الإسلام لم يستطع أن يغير شيئاً من حالتهم المادية. فبقوا على ما هم عليه من فقر وحاجة؛ فإن أكثر «الخوارج» كانوا عراقيين في بادئ الأمر، وقسم منهم من الموالي؛ وكانوا قد شاركوا في الحروب، ونالوا من الغنائم التي كانت كثيراً ما تحصل، كما نال غيرهم، وكانت بلادهم من البلاد الخصبة، التي يعتمد عليها في التموين للجيوش المحاربة، وقد اختار علي (عليه السلام) الكوفة عاصمة له لأمور منها هذا الأمر بالذات[1].

وقد اختلف حال الناس بعد ظهور الإسلام عن حالهم قبله حتى مع أمرائهم وحكامهم، الذين كانوا يحرمونهم من أبسط الحقوق، ويستأثرون بالامتيازات لأنفسهم.

بل تقدم أن بعض أمراء «الخوارج» كان يشتري السيف بعشرين ألف درهم.

فهل يصح القول بعد هذا: أنهم كانوا يعانون من الحاجة الملحة؛ والفقر المدقع؟!! إذ أنهم لو كانوا كما يدعى لهم ويدعونه، لأنفسهم أهل تقوى ودين، فسوف ينيلون فقراءهم نصيباً من هذه الدنيا التي كانت بين أيديهم.

ثانياً: لقد كانت الفرصة متاحة لهم للاستفادة من العلوم الإسلامية، وقد كان بين ظهرانيهم باب مدينة العلم مدة طويلة، يفقههم في الدين، ويوقفهم على حدود الحلال والحرام، وقد ركز فيهم راية الإيمان. كما

(1) راجع: مقالاً لنا بعنوان: استراتيجية الكوفة في خلافة الإمام علي (عليه السلام) في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام.

عرفنا فيما تقدم..

إذن.. فإن أي تقصير في مجال الحصول على العلوم والمعارف، إنما يقع على عاتقهم، ويأتي من ناحيتهم، وليس لهم أي عذر في ذلك.

ولكن الحقيقة هي أنهم قد عرفوا كل شيء، لكن الشيطان قد زين لهم أعمالهم كما توضحه هذه الدراسة..

ثالثاً: أما قوله: إن الإسلام قد أصاب شغاف قلوبهم، وكذا قول غيره: إنهم كانوا عباداً مؤمنين، ملتزمين بحرفية الحكم الشرعي، أوفياء لمبادئهم، ولمثلهم العليا.

فهو أيضاً لا يصح؛ فقد عرفنا: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) . فيما روي عنه . قد وصفهم بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

وقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) بكثير من الأوصاف الناطقة بإنحرافهم عن الصراط السوي، وبأنهم يريدون الدنيا وقد غلب عليهم الهوى، واتبعوا أهواءهم. وغير ذلك..

أضف إلى ذلك: أن تاريخهم حافل بالأحداث والتصريحات والمواقف، والممارسات التي تدل على أن الكثيرين منهم، إن لم نقل أكثرهم . إذا استثنينا بعض المخدوعين، والسذج والبسطاء . حتى على مستوى القيادات فيهم لم يكونوا على هذه الصفة. وإن تلك العبادة، وهاتيكم الشعارات ما كانت إلا أمراً صورياً ظاهرياً، لا يعبر عن واقع حيٍ وأصيل في هذا المجال..

وستأتي طائفة من هذه النصوص في ضمن ما يأتي من مطالب..

وأما ما ذكره ذلك البعض كإضافات على كلام أبي زهرة، فهو أوضح فساداً، وأبعد عن الصواب، وعن الموضوعية، لأمور عديدة نقتصر منها على ما يلي:

أولاً: إن الوقائع التاريخية تثبت: أن «الخوارج» لم يكونوا ديمقراطيين أبداً، ولم يكونوا يحترمون رأي الأكثرية منهم، بل كانوا يحكمون بالكفر ويتحكمون بجبرية قاسية حتى ببعضهم البعض، فيسقطون أمراءهم لأتفه الكلمات أو التصرفات. أو ينقسمون على أنفسهم، فيكون لكل فرقة منهم أمير، ولم نجد منهم أي احترام لآراء غيرهم، بل كانوا يكفرون ويقتلون كل من خالفهم في الرأي والاعتقاد من المسلمين.. ولكنهم لا يجرؤون على المساس بغير المسلمين.. فأين هي الجمهورية الإسلامية والديمقراطية فيهم..

ثانياً: إن دعوى أن طبائع البداوة قد انمحت باعتناقهم للإسلام، وهجرتهم من البادية إلى الأمصار.. أغرب وأعجب، فإن من بديهيات التاريخ: أن أشد الناس إغراقاً في البداوة في طبائعهم، هم «الخوارج»، وقد بقي ذلك فيهم إلى عصور متأخرة بصورة ظاهرة، ولافتة، وإن بقاياهم لم يزل هذا حالهم إلى يومنا هذا..رغم أنهم قد غيروا وبدلوا، أو تستروا على كثير من اعتقاداتهم، ليمكنهم البقاء..

ثالثاً: إن الحديث عن رغبة القبائل العربية في إقصاء قريش عن الخلافة غير دقيق، فإن «الخوارج» كانوا خليطاً غير متجانس، وكان فيهم العربي، وغير العربي.. ولم يكن تأمير أمرائهم نتيجة قرار اتخذته القبائل العربية بإقصاء قريش عن الخلافة.

وإلا.. فإن العرب الذين حاربوا «الخوارج» مع علي (عليه السلام)، والذين

حاربوا «الخوارج» على مدى التاريخ كانوا أكثر عدداً وأعظم نفوذاً، وهم الرؤساء وأهل الرأي.. وانما كان «الخوارج» مجرد شراذم ورعاع من الناس، لا يجمعهم إلا الطمع والجهل، كما سنرى..

رابعاً: لم نعرف ماذا يقصد بوصفه للخوارج بأنهم دستوريو الإسلام، فأي دستور كانوا يسعون لتطبيقه والالتزام به.

فهل هو دستور الإسلام؟! فإن هذا الدستور يقضي عليهم بلزوم التزامهم بقول إمامهم المنصوب من قبل الله، وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)..

أم هو دستور العرف الإنساني؟ وهذا الدستور أيضاً يقضي عليهم بلزوم الوفاء بالعهود والعقود، واحترامها.. واحترام كلمة

العالم الرشيد.. واحترام العهد الذي أعطوه، فلا ينكثون البيعة،ولا يطلبون نقض عهد أبرمه إمامهم وسيدهم وقائدهم..

خامساً: إن ظهور «الخوارج» .وإن كان طمعاً في الدنيا، وقد لبسّوا هذه الأطماع لباس الدين.. ولكن التعليل الذي ذكره لا يمكن قبوله، إذ أنه لو صح لوجب أن يوجد هؤلاء «الخوارج» في كل عصر ومصر، مادام أن البداوة موجودة في جميع العصور وفي مختلف المناطق، وفي مقابلها حياة الرفاهية والترف، وغير ذلك من أمور وحالات، بقيت مغمورة في ضمير هذا الكاتب، ولم ير ضرورة للإفصاح عنها..

سادساً: أضف إلى ذلك: أن غيرهم من أهل قبائلهم ومن سائر القبائل لم يكونوا من حيث الترف والنعيم والبداوة، وغير ذلك أفضل حالاً من «الخوارج»، ولعل كثيرين من هؤلاء كانوا أفضل حالاً من أولئك.

كانوا أفضل حالاً من أولئك. فلماذا لم يصيروا مثلهم، ولم ينضموا إليهم؟!

سابعاً: وأخيراً، إن ما ظهر من «الخوارج» من افاعيل، ومن اعتقادات لا يقرها عقل ولا شرع، ولا وجدان، لا علاقة له بهذا الترف، ولا بتلك البداوة، ولا بذلك التمرد النزعوم، ولا يصح تعليله به، كما هو معلوم..

وذلك لأننا لم نجدهم يصدرون أي حكم ضد المترفين بما هم مترفون، بل كانت أحكامهم، عامة لا استثناء فيها.

كما أنهم في ممارساتهم لم يرحموا فقيراً لفقره، بل مارسوا كل قسوتهم ضد هؤلاء الفقراء والمسحوقين في الغالب، ولم يشفع لهم فقرهم أو ضعفهم، ولم يخفف من حدة تصرفاتهم تجاههم.. وإن بقرهم لبطون الحبالى خير شاهد ودليل على ذلك.

العجب هو الداء الدوي:

والذي يبدو هو أن عجب «الخوارج» بأنفسهم، وبعبادتهم، قد أسهم في اندفاعهم نحو اتخاذ مواقفهم الرعناء تلك، ودفعهم إلى الإمعان في الانحراف.. وإلى الإغراق فيه.

هذا بالإضافة: إلى أن إعجاب الناس بهم أيضاً قد يكون له تأثير في تشجيعهم على تجاوز حدود الشرع، وخروجهم على أحكام الدين..

فعن أنس قال: ذكر لي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال .ولم أسمعه منه .: إن فيكم قوماً يعبدون ويدأبون، حتى يعجب بهم الناس، وتعجبهم نفوسهم، يمرقون

من الدين مروق السهم من الرمية[1].

وواضح: أنه إذا كانت عبادة الإنسان بعيدة عن الوعي، وعن التأمل، والفكر، فإنها تكون مجرد طقوس يؤديها الإنسان، ولا يحس بها، ولا يتفاعل معها إلا من خلال ما يبذله من جهد جسدي، من دون أن يشعر بعظمة الله سبحانه، أو أن يستشعر لذيذ القربى منه، أو يشرف بروحه على آفاق جلاله، ويتلمس بمشاعره وأحاسيسه معاني كمالاته السامية..

ومن يكون كذلك فسوف يرى: أن هذا الجهد الجسدي له قيمته، وخطره، في ميزانه المادي، فيرى نفسه أنه أعطى وقدم ما

لم يقدمه وما لم يعطه غروه، وتصير له بذلك المنة ليس فقط على الآخرين ويتعالى عليهم وإنما على رب العالمين، ويبتلى بالعجب بالنفس، وذلك هو الهلاك بعينه.

الوصف الدقيق:

وواضح: أن «الخوارج» كانوا وهة من الزمن مع أمير المؤمنين، وقد عانى منهم الكثير، وصبر عليهم، حتى اعلنوا بالخروج عليه، فحاربهم وقتلهم في النهروان إلا الشريد، وحاربهم بعد ذلك أيضاً.

فهو (عليه السلام) أعرف الناس بهم، وإذا راجعنا أقواله فيهم، فإننا نجده (عليه السلام) لا يعترف لهم بالعبادة ولا بالزهد، بل هو يذكر لتحركاتهم دوافع دنيوية وشيطانية، الأمر الذي يشير إلى أن مواقفهم لم تكن دينية إلهية، وإنما كان لأهوائهم ومصالحهم الشخصية، ومفاهيمهم

(1) مسند أحمد ج3 ص183 وراجع: المصنف للصنعاني ج10 ص154 وكنز العمال ج11 ص177و310 عن أحمد، وعبد الرزاق ومجمع الزوائد ج6 ص229 وراجع: مستدرك الحاكم ج2 ص147 وتلخصيه للذهبي بهامشه والبداية والنهاية ج7/297.

الجاهلية، وللنزعات الشيطانية، والعصبيات القبلية، دور كبير في إثارتهم، وفي اتخاذهم الكثير من المواقف العدوانية.

وكانوا يتخيلون كلهم أو كثير منهم: أن ذلك من الدين، ومن الحق الذي يسعون إليه، ويعملون في سبيل الوصول إليه؛ فهم مصداق ظاهر للأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، كما قرره علي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، في كلام له عنهم [1].

ومهما يكن من أمر: فإن أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي كان أعرف بهم من كل أحد، ركب، ومر بهم وهم صرعى، فقال: «لقد صرعكم من غركم.

قيل: ومن غرّهم؟

قال: الشيطان. وأنفس السوء» [2].

وفي نص آخر: «غرّهم الشيطان، وأنفس بالسوء أمّارة، غرتهم بالأماني، وزينت لهم

(1) الكامل في الأدب ج3 ص188 وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص278 ، والفتوح لابن أعثم ج4 ص127 وكشف الغمة ج1 ص266 والثقات لابن حبان ج2 ص296 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص186/187 عن تفسير القشيري، وعن الإبانة للعكبري، والبحار ط قديم ج8 ص550و553و552و555و571 عن الغارات، والعمدة، وتفسير الثعلبي، وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص307 وتفسير البرهان ج2 ص295. والدر المنثور ج4 ص253 عن عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وفرائد السمطين ج1 ص395.

(2) مروج الذهب ج2 ص407 . وراجع: تذكرة الخواص ص105.

المعاصي، ونبأتهم بأنهم ظاهرون» [1].

وقال (عليه السلام) مخاطباً لهم بالنهروان: «أيتها العصابة، التي أخرجتها اللجاجة، وصدّها عن الحق الهوى، فأصبحت في [2]

لبسٍ وخطأ» .

وفي نص آخر، أنه قال لهم: «يا قوم، إنه قد غلب عليكم اللجاج والمراء، واتبعتم أهواءكم، فطمح بكم تزيين الشيطان لكم الخ» [3].

وحسب نص آخر: «أيتها العصابة التي أخوجها المراء واللجاج عن الحق، وطمح بها الهوى إلى الباطل» [4].

وعند الطوي: «أيتها العصابة التي أخوجها عداوة المراء، واللجاجة، وصدها عن الحق الهوى، وطمح بها الزلق، وأصبحت في اللبس، والخطب العظيم» [5].

وفي نص آخر لم يذكر قوله: «وطمح بها الزلق الخ..». لكنه قال: «إن أنفسكم الأمارة سولت لكم وإياي لهذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها، وسألتموها وأنا لها كاره. وأنبأتكم أن القوم إنما فعلوها مكيدة، فأبيتم علي إباء المخالفين، وعندتم علي عناد العاصين الخ» [6].

ولعل في اختلاف هذه النصوص، ولا سيما هذا النص الأخير مع ما

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص289 ، وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص66 والكامل في التاريخ ج3 ص348 والبحار ط قديم ج8 ص556 ونهج البلاغة قسم الحكم رقم 329 حسب ترقيم المعتزلي وبشرح عبده ج3 ص230.

(2) الأخبار الطوال ص207/208 راجع الموفقيات ص325.

(3) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج2 ص371.

(4) تذكرة الخواص ص100.

(5) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص62 والكامل في التاريخ ج3 ص343.

(6) نور الأبصار للشبلنجي ص102 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص92.

سبقه ما يثير احتمال تعدد الواقعة، فدعا ذلك إلى التركيز على خصوصيات مختلفة تتناسب مع الحالات المختلفة.

ونلاحظ: أنه (عليه السلام) قد قرر في كلماته تلك:

ألف: أن «الخوارج» كانوا يتوقعون الظفر في حربهم له (عليه السلام).

ب: أنه كانت لديهم أماني قد غرتهم.

ج: إن أنفسهم الأمارة وأمانيهم قد زينت لهم المعاصي.

د: أن الشيطان زين لهم وغرهم، فأوردهم موارد الهلكة.

هـ: أنهم قد التبست عليهم الأمور، ووقعوا في الخطأ، حينما لم يعرفوا الحق.

و: أن الهوى قد صدهم عن الحق.

ز: إنهم كانوا قد غلب عليهم اللجاج والمراء.

ح: إن الترك قد طمح بهم.

ط: ان الترك دعاهم إلى الخلاف والعناد.

ي: إنهم إنما يقاتلون من أجل الدنيا، كما سيأتي في كلامه (عليه السلام) مع زرعة بن الوج.

وستأتي كلمات أخرى له (عليه السلام)، فيها إشارات أخرى إلى دوافعهم، وحالاتهم.

ثم إن مما يدل على ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن الشيطان قد زين لهم المعاصي، ما كانوا يرتكبونه في حق الأبرياء من جرائم، وموبقات، ومآثم. وذلك في أول ظهورهم، وحتى قبل معركة النهروان الشهيرة، وقبل أن يضعوا لأنفسهم منهجاً عقائدياً يبيحون فيه لأنفسهم

ارتكاب تلك الموبقات والمآثم.

أضف إلى ذلك: أن حربهم لأمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) لم تكن مبررة عندهم بالقدر الكافي، فلم يكن لديهم في ذلك برهان، ولا كانوا واثقين من صواب موقفهم، بل كانوا مجرد شاك؛ فمضوا على شكهم حتى قتل أكثرهم، وقتل بسببهم أو على أيديهم كثيرون آخرون، وقد تحدثنا عن شكهم هذا في موضع آخر من هذا الكتاب.

ونحن هنا بهدف توفير الوقت، وادخار الجهد سوف نقتصر على نماذج قليلة من مخالفاتهم، ومواقفهم اللاإنسانية، وأفعالهم التي تخالف اعتقاداتهم وأقوالهم، وهي التالية:

القتال على الأموال:

إن من يراجع تاريخ الوقائع والأحداث لا يساوره شك في أن قتالهم لم يكن جهاداً في سبيل الله، بل كان على الأموال، ومن أجل الدنيا بصورة عامة، فقد قال سيد الوصيين علي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، لزرعة بن الوج، في احتجاجه على أهل النهروان: «لو كنت محقاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، إن الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عز وجل؛ إنه لا خير في دنيا تقاتلون عليها»[1].

ويقول النص التاريخي أيضاً: «.. وجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها، والسوط، والعلف، والحشيش أشد قتال»[2].

(1) تاريخ الأمم والملوك، ج4 ص53 وبهج الصباغة، ج7 ص164.

(2) الكامل في الأدب، ج3 ص397 والعقد الفريد، ج1 ص223 وفيه كانت الخوارج تقاتل إلخ.. وشرح النهج للمعتزلي، ج4 ص208 راجع: فجر الإسلام، ص264.

وقد قلنا حين الحديث عن تركيبة «الخوارج» أن معقلاً الذي أرسله علي (عليه السلام) لقتال الخريت الخارجي قد قال[1]

لأصحابه عن الخوارج: إنهم علوج كسروا الخواج، ولصوص الخ..

ويؤيد ذلك أيضاً: نصوص تاريخية أخرى[2].

ويقول المعتزلي: «وقد خرج بعد هذين جماعة من خوارج كومان، وجماعة أخرى من أهل عمان، لا نباهة لهم. وقد ذكرهم أبو إسحاق الصابي، في كتاب «الناجي» وكلهم بمعزل عن طرائق سلفهم، وإنما وكدهم، وقصدهم إلى إخافة السبيل، والفساد في الأرض، واكتساب الأموال من غير حلها»[3].

هذا، وقد سأل الحسن البصري رجل من «الخوارج»، فقال: ما تقول في «الخوارج»؟

فقال: هم أصحاب دنيا.

قال: من أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه، ويخرج من أهله وولده؟!

قال الحسن: حدثني عن السلطان، أيمنعك من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج والعمرة؟

قال: لا.

قال: فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها.

قال إسحاق: فحدثت بهذا الحديث الغاضري. ظريفاً كان بالمدينة

---

(1) الغارات، ج1 هامش ص353.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص93 والكامل في التاريخ ج3 ص367.

(3) شرح النهج للمعتزلي ج5 ص76.

. فقال:

صدق الحسن، ولو أن أحدهم صام حتى ينعقد، وسجد حتى ينخر جبينه، واتخذ عسقلان مراغةً، ما منعه السلطان؛ فإذا جاء يطلب ديناراً أو درهماً لقي بالسيوف الحداد، والأرواح الشداد[1].

ولنا تحفظ على أسلوب الحسن البصري الظاهر في أنه يرضى بحكومة أي كان. حتى يزيد أو الوليد، إذا كان لا يمنع الناس من الصلاة والصوم ونحو ذلك.. فإن هذا المنطق مرفوض في الإسلام. ولهذا البحث مجال آخر.

غير أن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن «الخوارج» كانوا طلاب دنيا، ويبحثون عن الدينار والدرهم.

وقد قال الأشتر للذين خدعتهم مكيدة رفع المصاحف، من الذين كانوا يتظاهرون بالعبادة والصلاة، ثم صاروا فيما بعد خوارج: «كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ألا فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة»[2].

وإذا قرأنا قصة المستورد أيضاً فإننا نجد فيها دلالة ظاهرة على أن زهد «الخوارج» لم يكن حقيقياً، بل كان مصطنعاً، فلتراجع تلك القصة في مصادرها[3].

لم يعطه المال، فأعلن الحرب:

ومما يدل على مدى تأثير الأطماع فيهم: أننا نجد الفلس

---

(1) البصائر والذخائر ج1 ص154.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص219 وراجع: صفين ص491 والمعيار والموازنة ص164.

(3) وراجع: الخوارج والشيعة ص55.

المشهور: شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي كان: «في ابتداء أمره قصد الشام، ونزل على روح بن زنباغ، وقال له: سل أمير المؤمنين أن يفوض لي في أهل الشوف، فإن لي في بني شيبان تبعاً كثيراً.

فسأل روح بن زنباغ عبد الملك بن مروان في ذلك، فقال: هذا رجل لا أعرفه، وأخشى أن يكون حرورياً.

فذكر روح لشبيب: أن عبد الملك ذكر أنه لا يعرفه. فقال: سيعرفني بعد هذا.

ورجع إلى بني شيبان، وجمع من الخوارج الصالحية مقدار ألف رجل، واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن».

ثم يذكر المؤرخون: كيف أنه هزم للحجاج عشرين جيشاً في مدة سنتين، وغير ذلك من أمور[1].

يريد المال ليعصي به الله:

وقد كان الطرماح خارجياً هو الذي يقول:

امختزمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصي به وأطيع[2]

خبرتهم بالخمر وبالعواهر:

وحين سأل أبو خزابة عبيدة بن هلال الخارجي عن الخمر، وعن العواهر نجد عبيدة يجيبه بما يدل على أنه من أعرف الناس في ذلك.

فقد قال له: «أي الخمر أطيب؟ خمر السهل، أم خمر الجبل؟

---

(1) راجع: الفرق بين الفرق ص111 والفتوح لابن أعثم ج7 ص84و85.

(2) الأغاني ج10 ص160.

قال: ويحك، أمثلي يسأل عن هذا؟

قال: قد أوجبت على نفسك أن تجيب.

قال: أما إذا أبيت، فإن خمر الجبل أقوى، وأسكر، وخمر السهل أحسن وأسلس.

قال: فأي الزواني أفوه؟ أزواني رامهرمز، أم زواني أرّجان؟!

قال: ويحك، إن مثلي لا يسأل عن هذا.

قال: لابد من الجواب، أو تغدر.

قال: أما إذا أبيت، فزواني رامهرمز أرق أبشراً، وزواني أرّجان أحسن أبدانا ًالخ...» [1].

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص170 عن الأغاني ط دار الكتب المصرية ج6 ص149.

الفصل الثاني

معاصي ومآثم

بداية:

وحين نرى أن «الخوارج» حتى على مستوى زعاماتهم، وأمرائهم، وقادتهم يقترفون كبائر الذنوب ويرتكبون المآثم، ويسعون وراء الشهوات، فإن ذلك يكون دليلاً ملموساً على ضعف حالة التقوى عندهم، أو انعدامها من الأساس.

تماماً كما يكون سعيهم للحكم، ومماالأتهم للحكام، وممارساتهم اللاإنسانية في هذا الاتجاه دليلاً على ذلك أيضاً.

هذا عدا عن إصرارهم على الباطل بعد ظهور بطلانه لهم، وإلزامهم الحجة الدامغة فيه. فإنه هو الآخر يدل دلالة ظاهرة على أنه لا حقيقة لما يدعونه من عبادة وزهادة، وصلة بالله سبحانه بل هي كما أكدته النصوص النبوية الشريفة مجرد أمور شكلية بكل ما لهذه الكلمة من معنى، حيث إنهم كانوا قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية.

وسنذكر فيما يلي أمثلة متنوعة تشير إلى طبيعة صلتهم بالله سبحانه، فإلى ما يلي من مطالب.

دعاة «الخوارج»:

قد تقدم: أن عبيدة بن هلال وهو أحد زعمائهم الكبار كان من

أعرف الناس بعواهر البلاد، وبمومساتهن.

وسيأتي حين الحديث عن تركيبة الخوارج: أنهم كانوا ما بين حداد، وصباغ، وداعر..

واللافت: أن أكابرهم وقادتهم كانوا لا يتورعون عن ارتكاب أعظم الفواحش، حتى الزنى بالمحصنات..

فقد ورد: أن عبيدة بن هلال اليشكري اتهم بامرأة حداد كان يدخل عليها بلا إذن.

فدبّر هو وقطري بن الفجاءة الحيلة للخلاص من الورطة ونجحا في ذلك[1].

فما معنى ان يدخل زعيمهم على امرأة محصنة بلا إذن.. حتى يتهم بالدعارة. فأين ورعه وتقواه؟ وأين هي عبادته وزهادته..

وزعيمهم الآخر لا يقيم الحد على مرتكب هذا الذنب العظيم.. بل هو يشركه في الجريمة حين يدبر له الحيلة لتخليصه من المأزق..

والعامة الذين وقفوا على هذا الأمر، لم يقطعوا علاقتهم به، ولا أضر ما عرفوه عنه في ولائهم واستمرارهم في الانقياد له.

ثم هم بعد هذا، وذاك، وذلك يدَّعون لأنفسهم التقوى، والعبادة. والصلاح، فاعجب بعد هذا ما بدالك!! فما عشت أراك الدهر عجبا.

الدعارة بموسوم. والغيرة معدومة:

يقول ابن بطوطة: «ونساؤهم يكثرون الفساد، ولا غيرة عندهم، ولا إنكار لذلك»[2].

(1) راجع: الكامل في الأدب ج3 ص391 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص203.

(2) رحلة ابن بطوطة ج1 ص172، والنص والاجتهاد ص99 عنه.

وقال: «كنت يوماً عند هذا السلطان أبي محمد بن نبهان، فأتته امرأة صغيرة السن، حسنة الصورة، بادية الوجه؛ فوقفت بين يديه وقالت له: يا ابا محمد، طغى الشيطان في رأسي.

فقال لها: إذهبي واطردي الشيطان.

فقالت له: لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد.

فقال لها: إذهبي، فافعلي ما شئت.

فذكر لي. لما انصرفت عنه. أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان، وتذهب للفساد، ولا يقدر أبوها، ولا ذو قرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قتلوا بها، لأنها في جوار السلطان»[1].

ترك الصلاة:

وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم .وهو الصادق المصدق . أنهم «يتركون الصلاة من وراء ظهورهم. وجعل يديه وراء ظهره»[2] .

«الخوارج» فساق مراق:

وجاء في خطبة لأمير المؤمنين قبل خروجه إلى النهروان: «وبعد.. فقد علمتم ما كان من هؤلاء القوم من الإقدام والجرأة على سفك الدماء وهم قوم فساق، مراق، عماة، جفاة، يريدون فواقي وشقاقي، وفيهم من قد عضه بالأمس السلاح، ووجد ألم الجراح الخ..»[3] .

---

(1) رحلة ابن بطوطة ص173 والنص والاجتهاد ص99 عنه.

(2) كنز العمال ج11 ص301 عن ابن جرير.

(3) الفتوح لابن أعثم ج4 ص100.

لا تقوى لمتعنت:

ومن الواضح: أن التعنت والإصرار على الباطل يشهد على عدم التقوى، وعدم مراقبة الله سبحانه، وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) .وهو أعرف الناس بهم . أن أحد زعمائهم وهو ابن الكواء . قد أراد التعنت حين صار يسأله عن بعض المسائل[1] .

وهذا العناد واللجاج قد تجلى بصورة واضحة في إصرارهم على قتال أهل الإيمان، حتى بعد أن أقيمت الحجة عليهم، ولم يعد لهم أي عذر.. فكان مصيرهم القتل والبوار.ولا زال هذه الخصوصية البغيضة تتجلى فيهم على مر الأيام.

شرب الخمر:

والغريب في الأمر: أنهم يذكرون: أن ابن ملجم لعنه الله تعالى قد شرب النبيذ ليلة قتله علياً (عليه السلام)[2] وابن ملجم هو من رموز «الخوارج» وهو الذي مدحه الشاعر الخارجي عمران بن حطان بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

وتقدم أن أحد كبار زعمائهم، وهو عبيدة بن هلال كان من أعرف الناس بالخمر، وحالاتها.. وظاهر الحديث انه يجيب سائله عن خبرة.

لبس الحرير:

ثم إنهم يذكرون أيضاً أن قطاماً الخارجية قد شدت الحرير على

---

(1) تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص302 وراجع: فرائد السمطين ج1 ص394.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص139.

صدر ابن ملجم، وعلى صدور الذين شاركوه في قتل وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] .ولا ريب في حرمة لبس الحرير على الرجال في فقه الشريعة الإسلامية الغرّاء..

العمل بالتقية:

والمعروف من مذهب «الخوارج» لزوم الجهر بالحق، ورفض التقية، لكننا نجد أحد نساكهم وهو خالد بن عباد يعمل بالتقية[2] .

وسيأتي أن عمران بن حطان الخارجي كان يعمل بالتقية أيضاً.

ونصح أبو بلال مرداس امرأة من «الخوارج» يقال لها البلجاء بأن تعمل بالتقية، فقال: «إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية، فاستتري»[3].

الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله):

ونلاحظ أيضاً: أنهم كانوا يستخدمون الوضع والتزوير من أجل تأييد مواقفهم، واتجاهاتهم، فقد رووا: أن شيخاً منهم. بعد أن تاب ورجع عن مقالتهم. يقول محذراً: «.. إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً..»[4].

---

(1) الإرشاد للمفيد ص17 ومصادر أخرى ستأتي.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص87.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص82.

(4) لسان الميزان ج1 ص10و11 والكفاية للخطيب ص123 وآفة أصحاب الحديث ص71و72 واللآلي المصنوعة ج2 ص468 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن الأولين، وعن: السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص97 وعن: الموضوعات لابن الجوزي ص38 راجع: العتب الجميل ص122.

وفي نص آخر: «انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه؛ فإنا كنا إذا تراءينا رأياً جعلنا له حديثاً»[1].

وقال الأعمش: «جالست إياس بن معاوية؛ فحدثني بحديث.

فقلت: من يذكر هذا؟!

فضرب لي رجلاً من الحرورية.

فقلت: إلي تضرب هذا المثل؟ تريد أن أكنس الطريق بثوبي؛ فلا أدع بعرة، ولا خنفساء إلا حملتها؟!»[2].

وقال الجوزجاني: عن «الخوارج»، الذين تحركوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نبذ الناس حديثهم اتهاماً لهم»[3].

والغريب في الأمر هنا: أن البعض يحاول القيام بعملية تزوير أكثر شناعة وقباحة من هذا. وذلك عندما ادعى:

أن ذلك إنما هو في الأحاديث المراسيل، والمقاطيع من الروايات، فقد قال: «هذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل، إذ بدعة «الخوارج» كانت في صدر الإسلام، والصحابة متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم، وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً، وأشاعوه؛ فربما سمعه الرجل السني؛ فحدث به، ولم يذكر من حدث به، تحسيناً للظن به، فيحمله عنه غيره، ويجيء الذي يحتج بالمقاطيع

---

(1) اللآلي المصنوعة ج2 ص468. والغريب في الأمر: أن نفس هذا النص مروي عن حماد بن سلمة عن شيخ من الرافضة فراجع: لسان الميزان ج1 ص11.

(2) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن كتاب: المحدث الفاصل، للرامهرمزي ج1 ص12.

(3) أحوال الرجال ص34.

فيحتج به، ويكون أصله ما ذكرت الخ»[1].

ولا ندري ما وجه حمله لذلك على المقاطيع والمراسيل؟! إلا أنه يريد أن يصوب رواية أصحاب الصحاح عن «الخوارج»، حتى ليروي البخاري .وهو أصح كتاب بعد القرآن عندهم . عن عمران بن حطان[2] ، مادح عبد الرحمن بن ملجم، قاتل سيد الوصيين علي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) حيث يقول:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً..

ولكنه يهاجم الرواية عن الرافضة بصورة عجيبة، حتى لو كان الراوي صدوقاً. ثم يذكر أقاويل علمائه بالمنع من قبول رواية الرافضة مطلقاً، فراجع كلامه[3].

وبعدما تقدم فإننا نعرف عدم صحة قول أبي داود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»[4].

ممارسات لا إنسانية:

وقد أرسل قطري بن فجاءة «الخوارج» الذين جاؤوا من كرمان وفارس، مع صالح بن مخراق وسعد الطلائع لحرب عبد العزيز، أخي المهلب، فهزموه، «وسبوا النساء يومئذٍ، وأخذوا أسرى لا تحصى، فقذفوهم في غار، بعد أن شدوهم وثاقاً، ثم سدوا عليهم بابه، حتى ماتوا فيه»[5].

(1) لسان الميزان ج1 ص11.

(2)راجع: العتب الجميل.

(3)راجع: لسان الميزان ج1 ص10 وراجع: ميزان الاعتدال ج1 ص27/28.

(4) ميزان الاعتدال، ج2 ص236 والعتب الجميل ص121 عن مقدمة فتح الباري.

(5) الكامل في الأدب ج3 ص355 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص174 الخوارج في

<=

وقال المسعودي عن صاحب الزنج: «.. ظهر من فعله، ما دل على تصديق ما رمي به، أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج، لأن أفعاله في قتل النساء، والأطفال، وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه»[1].

ويكفي أن نذكر: أن حرب النهروان إنما نشأت عن إفسادهم في الأرض، وقتلهم عبد الله بن خباب، وبقرهم بطن زوجته التي كانت حاملاً، وقتلوا نسوةً ورجالاً آخرين كما تقدم.

وقد قال عمر بن عبد العزيز لشوذب الخارجي: «.. فأخبروني عن عبد الله بن وهب الراسبي، حين خرج من البصرة، هو وأصحابه، يريدون أصحابكم في الكوفة؛ فمروا بعبد الله بن خباب، فقتلوه، وبقروا بطن جاريته، ثم عدوا على قوم من بني قطيعة، فقتلوا الرجال، وأخذوا الأموال، وغلوا الأطفال في المراجل. وتأولوا قول الله: (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)[2] ثم قدموا على أصحابهم من أهل الكوفة الخ.»[3].

ونستطيع أن نعرف: مدى قسوتهم، وإمعانهم في ارتكاب الجرائم، التي يندى لها جبين كل إنسان ألماً وخجلاً، مما سجله التاريخ لنا من مذاهب وآراء اعتقادية لهم، حيث إنها غريبة عن الفطرة، وعن العقل، وعن الإنسانية، وهي تعبير صادق عن عميق حقدهم، وبالغ همجيتهم

=>

العصر الأموي ص54 عن الكامل.

(1) مروج الذهب ج4 ص108. وبهج الصباغة ج7 ص166 عنه.

(2) سورة نوح / 27.

(3) جامع بيان العلم ج2 ص129 ومروج الذهب ج3 ص191 وبهج الصباغة ج7 ص113 عنه وعن العقد الفريد.

ووحشيتهم، وبعدهم كل البعد عن أي من المعايير الإنسانية، والفضائل الأخلاقية..

الحقد الدفين هو الدافع:

ولم تكن مواقفهم وممارساتهم القاسية تلك بدافع ديني، يوجبه الالتزام بتعاليم شرعية بنظرهم.. وإلا لما كان ثمة مبرر لقتلي الأطفال في المراجل، ولا لفرارهم في الحروب، والتماسهم الأمان من هذا، وذاك، ولا للتخلي عن كل شيء في قبال منصب يتاح لهم، ولا لغير ذلك مما ذكرناه في هذا الكتاب، فإن التدين - لو كان - فلابد أن يترك أثره في جميع تلك الحالات والظروف، والمواقف..

وإنما كانت هذه الممارسات القاسية واللاإنسانية ضد خصومهم بدافع التنفيس عن حقد دفين، يعتلج في صدورهم، وتشب ناره في أفئدتهم.

وقد عبر الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذا المعنى بوضوح تام في جوابه لمن رأى: أن كونهم شكاكاً لا يلائم دعوتهم خصومهم إلى الوار.

فأجابه (صلوات الله وسلامه عليه) بقوله: «ذلك مما يجدون في أنفسهم»[1].

(2)

كما أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد وصفهم في ضمن كلام له بأنهم عصابة «طمح بها الترق» .

(1) تهذيب الأحكام للطوسي ج6 ص145 وبهج الصباغة ج7 ص168 عنه والوسائل ج11 ص60.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص62.

وأما أسباب الحقد، فلا تنحصر في أمر المال، بل هو حقد الفاجر على التقي، والجاهل اللئيم على العالم الكريم والحليم الجليل، والخبيث على الطيب، والمجرم على البريء وما إلى ذلك.

صعصعة يصف أحدزعمائهم:

ويكفي أن نذكر: أن صعصعة بن صوحان يصف أحدزعمائهم وهو . المنذر بن الجارود . بقوله: «إنه نظار في عطفيه، تفال في شراكيه، تعجبه حمرة برديه».

وقد قال صعصعة ذلك لأمير المؤمنين (عليه السلام)[1] .

فمن تكون صفاته هي هذه كيف يمكن أن يعطى أوسمة التقوى والورع، والعبادة؟ هذا.

عمال ليزيد:

وقد بلغ بهم حب الدنيا حداً جعل المنذر بن الجارود يتولى الهند من قبل عبيدالله بن زياد، وذلك في إمرة يزيد، فمات هناك سنة 61هـ.

تركهم لحدود الله:

وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما جاؤوه برأس عبد الله بن وهب الراسبي: «قد كان أخوراسب حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله»[2] .

(1) البيان والتبيين ج3 ص112 وج1 ص99 والحيوان ج5 ص588.

(2) مروج الذهب ج3 ص47.

التطبيق الانتقائي للأحكام والتساهل فيها:

وقد اخذ اتباع شبيب عليه أموراً: منها: أنه كان يستثني قومه من أن يطبق عليهم ما يأمرهم به دين الخوارج، وأموراً أخرى[1] .

ولاموه كذلك على أنه كان يقبل الاعتراف تقيّةً، وعلى أنه كان يطلق الأسرى بمجرد قولهم: لا حكم إلا لله، أو يردد عليهم هذا القول ليخلصهم[2] .

لا يعاقب شارب الخمر لنكايته في العدو:

كما أنه لم يعاقب رجلاً في جيشه كان يشرب الخمر، بحجة أنه كان شديد النكاية على العدو[3].

محاباة وتساهل والكيل بمكيالين:

ومما يشير إلى تساهلهم مع بعضهم البعض: أن قطري بن الفجاءة. كما يقول البعض. كان:

«لا يؤمن بالقعود عن الشواية والجهاد، وإذا ما تخلف أحد أتباعه عن هذا الواجب المقدس، سرعان ما يلاحقه، ويدفعه إلى ذلك دفعاً، فحينما قعد أبو خالد القناني بعث إليه بقصيدة يقرعه فيها، ويحثه على النفير، ويؤكد له: أن لا عذر لقاعد، ولا هداية له.

كما بعث قصيدة أخرى لسمرة بن الجعد، يعاتبه فيها على ركونه

---

(1) راجع: الخوارج والشيعة ص98.

(2) الخوارج والشيعة ص98 وأشار إلى تاريخ الأمم والملوك ج2 ص967.

(3) الخوارج والشيعة ص73 وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص147.

لحياة الاستقرار، وقبوله أن يصبح سمراً للحجاج، في حين أن رسالة الخارجي هي أن يتمنطق بالسلاح، ويجالد الفرسان، ويصبر على شدائد الأمور، بعد أن يذكره بالسلف الصالح، ويلفت نظره إلى مصيره المحتوم، وأنه سيبعث إلى حساب عسير ... إلى أن قال: فحمل سلاحه ولحق بقطري، دون أن ينذر الحجاج بذلك الخ»[1].

وقال في موضع آخر: «.. ونجد: أن قطري بن الفجاءة، يعاتب سمرة بن الجعد، الذي صار نديماً للحجاج، وغرته مباهج القصر. يعاتبه. عتاباً لطيفاً، لا قسوة فيه، ولا يكفره، كما يفعل بغيره، بل يصرح بعدم كفره، ولكنه يكون قاسياً جداً إذا هجا غير الخوارج، ويكفرهم»[2].

ومعنى ذلك هو أن القضية بالنسبة إليهم ليست قضية دين، والتزام بأحكام الشرع بقدر ما هي هوى النفس، وطموحات يريدون تحقيق ما أمكنهم منها..

ومهما يكن من أمر: فإن كونهم متكلِّفين في دينهم، يظهرون منه خلاف ما يبطنون. وكون دينهم تبعاً لأهوائهم، هو الظاهر من مجمل مواقفهم وممارساتهم. ويبدو أن ذلك كان واضحاً ومعروفاً منذ أوائل

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص261/262.

(2) المصدر السابق ص279/280 وراجع: مروج الذهب ج3 ص136/137.

ظهورهم، كما صرح به أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في أكثر من مورد ومناسبة، حسبما اتضح. كما أن

الفزر بن مهزم العبدى يقول:

وشدوا وثاقي ثم الجوا خصومتي إلى قطوي ذي الجبين المغلق

وحاججتهم في دينهم وحججتهم وما دينهم غير الهوى والتخلق [1]

(1) الكامل في الأدب ـ ج3 ص337 وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج4 ص161.

الباب السادس

الخوارج طلاب ملك ودنيا

الفصل الأول

الخوارج في العهد الأموي

في العهد الأموي:

بعد وفاة وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبعد خروج الأمر من يد ولده الحسن المجتبى (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان بصورة كاملة، أخذ «الخوارج» على عاتقهم مهمة قتال الأمويين بكل عنف وقسوة..

وقد كانت أهم حركاتهم وأخطرها، وأشدها ضراوة هي تلك التي كانت في عهد بني أمية بالذات.. أما بعد ذلك فقد خبا وهجهم، وتقاصر مدهم، وذبلت زهرتهم، كما سنرى.

بين عهدين:

ولا شك في أن «الخوارج» هم الفرقة المارقة، التي أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ظهورها..

ولا توجد أية فرصة لتأويل الأحاديث الواردة في حقهم، إذ أن الأمر قد حسم منذ بداية ظهورهم، بسبب الإخبارات الغيبية التي أعلنها أمير المؤمنين (عليه السلام) في الناس، وظهر صدقها بصورة لا تقبل أي تأويل أو احتمال. خصوصاً فيما يرتبط بحديث ذي الثدية. وكونه منهم وفيما بينهم، كما أكدته الأحداث بصورة قاطعة..

ولعله لولا هذا وذاك. لما استطاع الكثيرون أن يكتشفوا حقيقتهم، ولما أمكن أن ينقادوا حتى لأمير المؤمنين (عليه السلام) في حربهم. أو أن يتوفر لهم التصديق بضلالهم، والتسليم بمروقهم من الدين.

لكن الأمر بعد عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) قد خرج عن هذا الإطار، فإن أمر الأمويين كان كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

والشعارات الدينية التي كان «الخوارج» يطلقونها، ووعودهم بإشاعة العدل، وإعلانهم لرفض الظلم، كان من شأنها أن تنعش الآمال لدى الكثيرين، بالتخلص من الظلم المر، ومن الإذلال والقهر، الذي كان يمارس ضدهم في ظل الحكم الأموي.

ويشير إلى ذلك ما روي من أن عبد الله بن أبي أوفى حينما علم بقتل الأزارقة لوالد سعيد بن جهمان لعنهم، وأخبر سعيداً بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنهم كلاب النار.

قال سعيد: قلت: الأزارقة وحدهم، أم «الخوارج» كلها؟

قال: بل «الخوارج» كلها.

قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم.

قال: فتناول يدي إلخ [1].

سَبي «الخوارج»:

ورغم أن الأمويين كانوا ملتزمين بسنة عمر في ما يرتبط بالتأكيد على الرق العربي، ومنع السبي للعرب، فإنهم قد خالفوا سنة عمر في

(1) مسند أحمد ج4 ص382 ومجمع الزوائد ج6 ص232 وج5 باب كيفية النصح للأئمة في الخلافة، عن الطبراني، وأحمد. ورجال أحمد ثقات.

ذلك مع «الخوارج»، فسبوا نساءهم وذراريهم، واسترقوهم، ووطؤا نساءهم بملك اليمين. ولم يفعل ذلك بهم علي (عليه السلام)، ولم يكن ذلك هو حكم الله سبحانه فيهم. قالوا: «كانوا يسبون ذراري «الخوارج» من العرب وغيرهم، لما قتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما، فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما، وأعطى عباد بن حصين الأخرى. وسبيت بنت لعبيدة بن هلال اليشكري، وبنت لقطري بن الفجاءة المازني، فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، واسمها أم سلمة، فوطأها بملك اليمين على رأيهم. فولدت له المؤمل، ومحمداً، وإبراهيم، وأحمد، وحصيناً بن عباس بن الوليد بن عبد الملك، وسبي واصل بن عمرو القنا، واسترق. وسبي سعيد الصغير الحروري واسترق الخ..»[1].

جاء الآن ما لاشك فيه:

أما بالنسبة للخوارج أنفسهم، فإن الأمور كانت واضحة جداً لهم، فإنه إذا كان لديهم شك في القتال ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث إن مواقفه الرائدة، وجهاده الفذ في سبيل الله، وفضائله الظاهرة، وكراماته الباهرة، وأقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه . قد طبقت الآفاق. فإنهم لا يمكن أن يشكوا في قتال بني أمية. وهم القائلون حينما تولى معاوية الحكم: «قد جاء الآن ما لاشك فيه» كما تقدم.

وقد قال صخر بن عروة: «إني كرهت قتال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، لسابقته، وقرابته. فأما الآن، فلا يسعني إلا الخروج».

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص241و242.

نقاط ضعف «الخوارج»:

ولكن الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا هي: أن ما يظهر منهم من شدة وقسوة كثيراً ما يكون من أجل الحصول على شيء من حطام الدنيا، فكانوا يقاتلون على القدح يؤخذ منهم، أو على السوط، الأمر الذي من شأنه أن يظهر حقيقة طموحاتهم، وأنها طموحات إلى أمور دنيوية.

ثم هي طموحات إلى أمور تافهة وحقيرة.

أضف إلى ذلك: أن بعض الأساليب الشنيعة التي كانوا يمارسونها ضد خصومهم كانت تنفر الناس منهم، وتجعلهم معزولين

في محيطهم الخاص، فلم يكن لهم هيمنة على عواطف الناس،ولا على مشاعرهم.

وكان التأييد الذي ينالونه سرعان ما يتلاشى، ويذهب أدراج الرياح، وليتحول إلى تأييد التقية والخوف، الأمر الذي كانت له آثار سلبية على مسار الحرب مع الأمويين.

وعلينا أن لا ننسى كثرة انقساماتهم، وكون تعاليمهم فيها الكثير من القسوة والعنف.ولاسيما فيما يرتبط بآرائهم وتعاملهم مع غيرهم، أو مع مرتكب الذنب منهم، أو من الآخرين.. مع شدة مراعاتهم لأهل الأديان الأخرى.

هذا إلى جانب تأثير الإغراءات التي كان الأمويون يلوحون بها لزعماء القبائل ولغيرهم من طلاب اللبانات، مع وجود الكثير من القسوة والاضطهاد، والحرمان من كثير من الملذات إلى جانب «الخوارج».

فكل ما تقدم وسواه قد ضيع على «الخوارج» فرصاً كثيرة وكبيرة في مواجهتهم لخصومهم من بني أمية وبني العباس، وإن كان الزخم القوي والعارم، كان يغطي أحياناً الكثير من حالات النقص الناجم عما ألمحنا إليه.

«الخوارج» ينهكون الحكم الأموي:

وإن الآثار السيئة التي تركتها حروب «الخوارج» على الحكم الأموي قد جعلت أبا مسلم الخراساني يتابع انتصاراته على عاملهم نصر بن سيار، في حين لم يكن مروان الجعدي [الحمار] قادراً على مدّ يد العون له، بسبب انشغاله بحرب «الخوارج» [1]. وقد تمكن أبو مسلم بالتالي من القضاء على الحكم الأموي قضاءً مبرماً ونهائياً.

ومن الملامح لصورة ما جرى نذكر هنا: أن الأزارقة: «بايعوا نافع بن الأزرق، وسموه: أمير المؤمنين، وانضم إليهم خوارج عمان، واليمامة، فصاروا أكثر من عشرين ألفاً، واستولوا على الأهواز، وما وراءها من أرض فارس وكرمان، وجبوا خراجها. وعامل البصرة يومئذٍ عبد الله بن الحارث الخزاعي، من قبل عبد الله بن الزبير» [2].

والضحاك بن قيس أيضاً: «بايعه ماءة وعشرون ألف مقاتل على مذهب الصفرية، وملك الكوفة وغيرها، وبايعه بالخلافة وسلّم عليه بها جماعة من قريش» [3]. وقتل سنة 128هـ.

(1) البداية والنهاية ج10 ص5.

(2) الفرق بين الفرق ص85، والملل والنحل ج1 ص118/119، وفجر الإسلام ص257/258.

(3) جمهرة أنساب العرب ص322 والخوارج والشيعة ص103 وتاريخ الطبري ج6 ص16 وراجع الكامل لابن الأثير ج5 ص335 . 337 وغيرها. والعيون والحدائق ص159.

أما نجدة الحروري فقد: «أقام خمس سنين، وعماله بالبحرين، واليمامة، وعمان، وهجر، وطوائف من أرض العرض» [1].

ويقول البلاذري، عن عبد الله بن الزبير: «أتته الخوارج؛ فظللهم [كذا] [2]، وعاب قولهم، حتى فارقه نافع بن الأزرق [3]

الحنفي، وبنو ماحوز؛ فانصرفوا عنه، وغلبوا على اليمامة ونواحيها إلى حضرموت، وعامة أرض اليمن» .

وعند المعتزلي: «واستولى نجدة على اليمامة، وعظم أمره حتى ملك اليمن، والطائف، وعمان، والبحرين، ووادي تميم، وعامر» [4].

وقال فلهوزن: «وتكاد جميع ثورات الخوارج التي نسمع بها في العصر الأموي المتأخر أن تكون قد خرجت من الموصل، ومن آل بكر» [5].

ولاريب في أن سياسة الحكم الأموي تجاه الناس، قد ساهمت في إقبالهم على الانخراط في صفوف الدعوات المناهضة له، ومواجهته بالحرب [6].

وكان «الخوارج» هم الفئة المبادرة في هذا الاتجاه. فكان الناس يستجيبون لدعواتهم، ويقاتلون تحت لوائهم. حتى ليبلغ عدد جيوش «الخوارج» في بعض المعارك مئة وعشرين ألفاً، كما هو معلوم..

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص272/273.

(2) لعل الصحيح: ضللهم أي حكم عليهم بالضلال.

(3) أنساب الأشراف ج4 ص28.

(4) شرح النهج للمعتزلي ج4 ص133.

(5) الخوارج والشيعة ص101.

(6) الخوارج والشيعة ص94.

ولا مجال هنا لتفصيل حروبهم وحركاتهم العسكرية ضد الأمويين ولاسيما حروبهم مع المهلب بن أبي صفرة، فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، وتأليف مستقل.

ولكنها كانت حروباً مرتجلة، وغير قادرة على إسقاط الحكم الأموي، وإرساء قواعد حكم جديد لأكثر من سبب وسبب، كما ربما يتضح في فصول هذا الكتاب.

غير أن مما لاشك فيه هو ان هذه الحروب قد أنهكت الحكم الأموي وأثرت أمامه الكثير من المشكلات، وواجهته بالعديد من العقبات الحقيقية التي ألحقت الأذى به، وعجلت عليه..

أهل الكتاب يستعملون نفوذهم:

وقد أدرك أحبار أهل الكتاب ممن أظهر الإسلام منهم خطورة ما يواجهه الحكم الأموي، فبادروا منذ اللحظات الأولى إلى مدّ يد العون له، وتأييده، وإضعاف شوكة «الخوارج» باستخدام ما يزعمونه لأنفسهم من هيمنة علمية وثقافية، فنجد كعب الأحبار يقول: «للشهيد نور، ولمن قاتل الحرورية عشرة أنوار. وكان يقول: لجهنم سبعة أبواب. ثلاثة منها للحرورية. قال: ولقد خرجوا في زمن داود النبي» [1].

ومن الواضح: أن كعب الأحبار لم يكن ليؤيد علياً (عليه السلام) في حربه لهم، لأنه لم يكن من محبيه ولا من مؤيديه. فهو إنما يتحدث بذلك تأييداً لمعاوية وتقوية له.

(1) المصنف للصنعاني ج10 ص155.

الأمويون، واسم علي (عليه السلام):

كما أن المهلب بن أبي صفرة، الذي كان يقاتلهم في العهد الزبيري الأموي قد التجأ إلى رفع شعارات طالما جهد الأمويون والزبيريون معاً على طمسها، والقضاء عليها، حيث نراه يحاول الاستفادة من اسم، وعظمة، وشخصية، وموقف رجل يعتقد الحكم الأموي والزبيري أيضاً: أن أساس بقائه واستمراره يقوم على محو اسم تلك الشخصية، وطمس كل فضائلها وكراماتها، ومحاربة كل ما يرتبط بها.. ألا وهي شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام).

فها نحن نرى المهلب يخطب أصحابه محرضاً لهم على قتال «الخوارج»، فيقول: «.. يا أيها الناس، قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج...

إلى أن قال: فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن ابي طالب (صلوات الله عليه)..»[1].

كما أن المهلب هذا قد قال يوماً لأصحابه: «إن هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات؛ فإن يكن ذلك، فاجعلوا شعاركم: حم، لا ينصرون؛ فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يامر بها..

ويروى: أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السلام)..»[2].

(1) الكامل للمبرد ج3 ص315 وشرح النهج ج4 ص148.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج4 ص153

وروى ابن دريد: أن شعار أصحاب علي (عليه السلام) يوم الجمل، كان: «حم، لا ينصرون»[1].

وقد روي: أنه قيل لعبيد الله بن زياد، بعد موت يزيد، وأفول نجمه: ندمت على ما كان منك، من قتلك الخوارج، من أهل البصرة بالظنة والتوهم؟

فقال: «.. وأما قتلي من قتلت من الخوارج؛ فقد قتلهم قبلي من هو خير مني علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)»[2].

فتراه يحتج لصواب فعله، بفعل العدو الألد له ولكل أسياده، ومن كانوا يجهدون لطمس كل فضيلة له، وتشويه سمعته، ومحو آثاره، ألا وهو أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

«الخوارج».. وقريش.. وقواعة..:

وملاحظة هامة، لابد منها هنا، هي:

أن عبد المطلب كان قد عقد مع خزاعة حلفاً، بقي النبي (صلى الله عليه وآله) يعمل على الوفاء به. كما أن خزاعة قد كانت عيبة نصح لرسول الله (صلى الله عليه وآله)..

وبسبب نقض قريش لصلح الحديبية، بالاعتداء على خزاعة، كان فتح مكة، فبقيت قريش تحقد على خزاعة بسبب ذلك كله أشد الحقد..

وقد قال معاوية: «إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني، فضلاً عن رجالها فعلت»[3]. وقد استمر هذا الحقد عشرات السنين، ففي سنة 130

---

(1) الاشتقاق ص145.

(2) الأخبار الطوال ص284و285.

(3) صفين للمنقري ص247.

هجرية حين هاجم أبو حمزة الحروري بلاد الحجاز: «اتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا عليهم الحرورية..»[1].

وعلى حد تعبير أبي الفرج حول مهاجمة أبي حمزة لجمع الناس في قديد: «زعم بعض الناس: أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم، وأدخلوهم عليهم، فقتلوهم. وكانت المقتلة على قريش، وهم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة الخ»[2].

وفي نص آخر: إن أبا حمزة حينما واقع أهل المدينة بقديد، وقتل وأسر منهم الكثيرين: «كان إذا رأى رجلاً من قريش قتله، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه»[3].

ويذكرون أيضاً أن عتبان بن وصيلة يخاطب عبد الملك، فيقول:

فإنك إلاّ ترض بكر بن وائل ... يكن لك يوم بالعراق عصيب

فلا ضير إن كانت قريش عدىً لنا ... يصيبون منا مرة، ونصيب

كما أن شاعراً آخر منهم يفتخر بتحقيق النصر على قريش، فيقول:

ألم تر أن الله أنزل نصره ... وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

ولعل ذلك يرجع إلى: أن «الخوارج» اليمانية القحطانية قد قويت شوكتهم، ولأن الأنصار محبّي علي (عليه السلام)، وأنصاره كانوا يمانية قحطانية أيضاً مثلهم. أما قريش فكانت عدنانية.

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص339 وتاريخ الأمم والملوك ج6 ص58 والكامل لابن الأثير ج5 ص389 والأغاني [ط ساسي] ج20 ص100.

(2) الأغاني . ط ساسي ج20 ص100 والعقود الفضية ص201.

(3) شرح النهج للمعتزلي ج5 ص113 والأغاني ج20 ص102 والعيون والحدائق ص169.

هذا بالإضافة إلى أنهم: كانوا ينفسون على قريش نفوذها وشوكتها، وما لها من اعتبار، ثم ما استأثرت به لنفسها من امتيازات سياسية، واجتماعية، واقتصادية بصورة عامة.

ولأن الأمويين كانوا من قريش . نعم ولأجل ذلك كله . صب أبو حنزة جام غضبه على قريش حينما خرجت لحربه..

ومن جهة ثانية نلاحظ: أن اليمانية في مصر كانوا على خلاف يمانية المدينة، حيث يقال: «إن يمانية مصر كانوا يمالئون معاوية، وعمرو بن العاص، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) الخ..»[1].

وربما يكون سبب ذلك هو: أن أنصار الرسول قد سمعوا من الرسول ما قاله في علي (عليه السلام)، كما أنهم قد عاشوا مع علي وعرفوه، ورأوا كراماته وفضائله عن كثب.. فأحبوه، وأيدوه، وكانوا معه في سلمه وحربه، بخلاف يمانية مصر.

وهكذا كان الحال بالنسبة لربيعة اليمن فإنها هي وقبائل بني تميم كانت تنفس على قريش الخلافة والسلطان . كما سوى . مع أن قبائل ربيعة كانت إلى جانب علي (عليه السلام) في حرب صفين، وقد أثنى عليهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا يدل على أن الذين كانوا موضع الثناء من أجل الولاء هم من عدا سكان الجزيرة، وبعض اليمن ومن ربيعة.

في العهد العباسي:

ولم يكن نصيب العباسيين من «الخوارج» بأقل من نصيب أسلافهم الأمويين، حيث حاربهم «الخوارج» في عدد من المناطق.

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص194.

فقد حاربوهم في عمان سنة 134 هـ وقتل منهم العباسيون عشرة آلاف.

ثم حاربوهم في الجزيرة سنة 137هـ.

وفي نواحي الموصل سنة 148هـ.

وفي خراسان سنة 160هـ.

وفي الموصل والجزيرة سنة 168 هـ حيث خرج فيها يسر التميمي، واستولى على أكثر ديار ربيعة، وعلى الجزيرة.

ثم خرج بالجزيرة سنة 169 هـ حمزة بن مالك الخارجي.

وخرج الضحاك بالجزيرة، واستولى على أكثر ديار ربيعة. فوجه إليه الرشيد من قتله سنة 171هـ.

وفي سنة 178 هـ خرج الوليد بن طريف بالجزيرة، فقتله يزيد بن مزيد [1].

وقد كانت ثورته قوية، ومخيفة للحكم العباسي. حتى قال مسلم بن الوليد الأنصاري، يمدح يزيد بن مزيد الذي كان يكنى في الحرب بأبي الزنبير. يمدحه على انتصاره على الوليد:

لولا سيوف أبي الزنبير وخيله نشر الوليد بسيفه الضحاكا

وفيه يقول:

لولا يزيد وأيام له سلفت عاش الوليد مع الغاوين أعواما

الأبيات [2].

(1) راجع ضحى الإسلام، ج3 ص337-339 وتاريخ ابن خلدون ج3 ص167-169.

(2) البيان والتبيين، ج1 ص342 وراجع: وفيات الأعيان ج6 ص328.

ويذكر من ثورات «الخوارج» هنا أيضاً: «أتباع حمزة بن أدرك، الذي عاث في سجستان، وخراسان، ومكران، وقهستان، وهزم الجيوش الكثيرة.. إلى أن قال: وكان ظهوره في أيام هارون الرشيد، سنة تسع وسبعين ومائة. وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون» [1].

نعم.. وقد حكم «الخوارج» ولاسيما الإباضيون منهم. بعض البلاد مدداً طويلةً نسبياً، أو قصيرة، ومن ذلك سيطرتهم على

عسكر مكرم، في كرمان، وحضرموت، وعمان، واليمن، وغير ذلك مما تقدم. ومن أراد الاطلاع على المزيد فعليه بمراجعة كتب التاريخ وغيرها.

قال ابن خلدون: «وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام، فلم يخرج بعد ذلك إلا شذاذ متفرقون، يستلحمهم الولاة بالنواحي، إلا ما كان من خوارج البربر بأفريقية الخ..»[2].

وقال المسعودي: «خرج منهم بديار ربيعة على بني حمدان، وذلك في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة. وهو المعروف بعرون، وخرج ببلاد كفرتوتي، وورد إلى نصيبين، فكانت له مع أهلها حرب أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم..

والمعروف بأبي شعيب، خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة، وقد كان أدخل على المقتدر بالله.

---

(1) الفرق بين الفرق ص98ـ99.

(2) تاريخ ابن خلدون ج3 ص169.

وقد كان بعد العشرين والثلاثمئة للإباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروى وغيرها حروب، وتحكيم، وخروج، وإمام نصبوه؛ فقتل، وقتل من كان معه..»[1].

هذا.. ويعدون في جملة ثورات «الخوارج» في العهد العباسي ثورة صاحب الزنج التي استمرت حوالي أربعة عشر عاماً، وقالوا: إن قائد الثورة، وهو علي بن محمد كان خارجياً أزرقياً[2].

ولكن الظاهر هو: أن ذلك غير دقيق؛ فإن هؤلاء إنما ثاروا بسبب الظلم الذي حاق بهم، لا من جهة قولهم بمقالة «الخوارج».. وقد اختلف في رئيسهم. وقد وصل نسبه بعلي (عليه السلام). وربما يقال بأنهم إسماعيلية. وقد تكون نسبتهم إلى الأزارقة تهدف إلى تهجين أمرهم، وحمل الناس على تصديق ما ينسبونه إليهم من أنهم قد ارتكبوا جرائم بشعة لا يرتكبها إلا الأزارقة من «الخوارج»، فنسبوهم إلى هذه النحلة من أجل ذلك.

«الخوارج» في الشمال الأفريقي:

قال ابن خلدون بالنسبة لـ: «خوارج البربر بإفريقية؛ فإن دعوة الخارجية فشت فيهم، من لدن مسورة الظفري سنة ثلاث وعشرين ومائة، ثم فشت دعوة الإباضية والصفرية منهم في هوارة، ولماية، ونفوسة، وفعيلة، وفي مغراوة، وبني يفرن من زناته، حسبما يذكر في أخبار البربر لبني رستم من «الخوارج» بالمغرب دولة في تاهرت من الغرب الأوسط نذكرها في أخبار البربر أيضاً.

---

(1) مروج الذهب للمسعودي ج3 ص139.

(2) راجع: إسلام بوادان ص67.

ثم سار بإفريقية منهم على دولة العبيديين خلفاء القيروان أبو يزيد بن مخلد المغربي. وكانت له معهم حروب وأخبار نذكرها في موضعها.

ثم لم يزل أمرهم في تناقص إلى أن اضمحلت ديانتهم، وافترقت جماعتهم، وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أوّل الأمر، ففي بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد في قصور ربع ووادية وفي مغراوة من شعوب زناته ويسمعون الراهبية»[1] . نسبة إلى عبد الله بن وهب الراهبي أول من بويع منهم أيام علي بن أبي طالب. وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة. وكذلك في جبال طرابلس وزناته أثر باق من تلك النحلة، يدين بها أولئك البربر في مجاورة لهم مثل ذلك[2] .

وقالوا أيضاً: «وقد دخل مذهب الخوارج إلى المغرب في النصف الأول، من القرن الثاني الهجري في صورة الإباضية والصفرية. وانتشر بسرعة بين البربر، حتى أصبح المذهب القومي لهم»[3] .

ويقول هنري ماسيه: «.. وفي أيام آخر الخلفاء الأمويين كان الصفرية منتشرين في جميع بلاد الإسلام، بما في ذلك المغرب؛ حيث آزروا الإباضية في ثورة البربر العامة»[4] .

وقد ثار «الخوارج» في المغرب [تونس وما حولها]، من صفرية وإباضية، وانضم كثير من البربر إلى «الخوارج»، واستولى «الخوارج» على

---

(1) لعل الصحيح: الواهبية او الوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي. كما هو الصحيح والراهبي تصحيف.

(2) تاريخ ابن خلدون ج3 ص169.

(3) دائرة المعارف الإسلامية ج1 ص13.

(4) الإسلام ص187.

القيروان.. حتى أخرجها [أخرجهم منها] منهم يزيد بن حاتم بن قبيصة، الذي أرسله المنصور العباسي، وقتلهم، بعد معارك دامت نحو خمسة عشر سنة.

وقد قيل: إن مجموع المعارك التي دارت بين «الخوارج» من لدن ظهورهم إلى أن قضي عليهم قد بلغت نحواً من [375] معركة[1] .

ويقولون أيضاً: «.. وقد تنازع الصفرية والإباضية على القيروان، التي كان يحكمها رجل إباضي، اسمه ابن رستم، وبعد ذلك بقليل استولى الخوارج على أفريقيا الشمالية كلها، ولم يتوصل العباسيون إلى إقرار النظام إلا في عام 772 ميلادية»[2] .

كما أن بعض أسر «الخوارج»: «قد حكمت تاهرت لأكثر من [130] عاماً، حتى أزالهم الفاطميون، فتفوقوا في صحراء تونس، والجزائر، وجربا. ولا يزالون يعيشون في هذه المناطق حتى الآن»[3] .

ويقول ألفرد بل: «.. ومن ناحية أخرى، عاشت دويلات صغيرة بربرية خارجية، بعد هزيمة سنة 124 هـ. وأمكن قيامها

في النواحي الأقل تعوضاً لضوبات الولاة العرب، مثال ذلك المملكة الصفرية، التي لم تعش إلا قليلاً جداً، والتي أنشأها أحد البربر، وهو أبو قرة في منطقة تلمسان وملوية، أو دولة بني مدرار في تافيلالت التي عاشت أطول منها»[4].

(1) ضحى الإسلام ج3 ص338/339.

(2) الإسلام ص188.

(3) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ج1 ص13 والإسلام تأليف هنري ماسيه ص188 ومعجم البلدان ج2 ص8 والفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص149.

(4) الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص149.

هذا ويلاحظ: أن مسلمي الجزائر: «لا يختلطون بالمسلمين من أهل السنة إلا لضرورات تجارتهم النافعة، وقلّما يصاهرون أهل السنة؛ لأن هذا الزواج مما تنأ منه الجماعة»[1].

البربر.. و«الخوارج»:

ولعل تمكن «الخوارج» من النفوذ إلى بلاد المغرب، أو بالأحرى إلى الشمال الأفريقي بصورة عامة، هو لأنهم تمكنوا من النفوذ إلى البربر، الذين أعانوهم على السيطرة على القيروان..

ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عديدة، أهمها: وجه الشبه الكبير الذي كان قائماً في ذلك الحين بين البربر و«الخوارج» في عقليتهم، وظروف ونمط حياتهم، ووضعهم الثقافي العام..

يقول ياقوت .وإن كان في كلامه تحامل شديد، يصل إلى حد الشتم والسباب .: «.. البربر أجفى خلق الله، وأكثرهم طيشاً، وأسرعهم إلى الفتنة، وأطوعهم لداعية الضلالة، وأصغاهم لنمق الجهالة.

ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط.

ولهم أحوال عجيبة، واصطلاحات غريبة. وقد حسّن لهم الشيطان الغوايات، وزين لهم الضلالات، حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة، وغواؤهم في ضد الحق جائلة؛ فكم من ادّعى فيهم النبوة، فقبلوا. وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به؛ فأجابوا داعيه، ولمذهبه انتحلوا. وكم ادّعى فيهم من مذاهب «الخوارج»؛ فإلى مذهبهم بعد الإسلام

(1) المصدر السابق ص150 ودائرة المعارف الإسلامية ج8 ص470.

انتقلوا.. ثم سفكوا الدماء المحرمة، واستباحوا الفروج بغير حق، ونهبوا الأموال، واستباحوا الرجال..»[1].

وهذه الصفات . عموماً . هي بعينها من ممزات «الخوارج»، وخصائصهم، كما سنرى..

إلا أننا نعتقد أن السبب الأهم في فشوّ مذهب «الخوارج» بين البربر، هو سذاجة البربر، وسطحيتهم، ثم الشعارات البراقة،

التي كان «الخوارج» يرفعونها، باسم الدين والإسلام، كما أن لظروف البربر أثراً في ذلك أيضاً..ولأجل ذلك رأينا: أنه بعد ظهور الفاطميين كان البربر وكتامة، الذين تشيعوا . كانوا . دعامة حكم الفاطميين، ولعل بعض الحملات التي وجهها إليهم ياقوت آنفاً، وغيره سببها هذا الأمر فيهم.

كما أننا نرى البعض يشير هنا: إلى المعاملة السيئة، التي كان البربر يعانون منها، من قبل الحكم الأموي، قد سهّل لدعوة «الخوارج» بشعاراتها البراقة، أن تجد السبيل إلى نفوسهم، بيسر وسهولة[2].

خارجي يحكم مصر:

ورغم أن «الخوارج» لم يكن لهم ذلك الانتشار الكبير في مصر، إلا أن بعض من ينسب إليهم قد استطاع أن يصل لأعلى المراتب فيها، يقول ابن حزم؛ عن عنبسة بن إسحاق، الذي ولي مصر في زمن المتوكل أربع سنين:

---

(1) معجم البلدان ج1 ص369 وراجع: المهدية في الإسلام ص185.

(2) تاريخ الشعوب الإسلامية ص158/159.

«.. وكان يتهم بمذهب الخوارج، لشدة عدله، وتحريه للحق، وهو آخر من ولي مصر..»[1].

---

(1) جمهرة أنساب العرب ص204.

الفصل الثاني

القتال من أجل الملك

بداية:

قد قرأنا في الفصل السابق: أن علياً (عليه السلام) قد وصفهم بأن الشيطان قد زين لهم أنهم ظاهرون.. وأنهم كانوا ينطلقون في حروبهم له مما يجدونه في أنفسهم من حقد وضغينة.. وأن الأماني قد غرتهم، وأن أنفسهم الامارة وأمانيهم قد زينت لهم المعاصي.. وأن الهوى قد صدهم عن الحق. وأن الزلق قد طمح بهم.. إلى غير ذلك من كلماته (عليه السلام)، التي بينت لنا دوافعهم لخوض تلك الحرب ضد أهل الإيمان والإسلام، وضد الأخوة والآباء والأبناء.. والأصدقاء..

إن إصرارهم على خوض تلك الحرب، وقولهم المتقدم ذكره: يرى علي أنا نخافه؟! رغم إقامة الحجة عليهم، وانقطاع عذرهم، ليدل دلالة واضحة على أن ما يسعون إليه كان بنظرهم أهم من الالتزام بحقائق الدين، وأحكامه وشرائعه..

ولاشك أن الدنيا وحطامها، والحصول على الأموال والغنائم كان أحد أهدافهم من حروبهم التي خاضوها.. ولكنه ليس هو الهدف الوحيد، بل هناك هدف آخر مهم جداً أيضاً، وهو الذي يجلب لهم المال، والسبايا ذوات الجمال.. ألا وهو الوصول إلى الحكم، والإمساك

بالسلطان. وسنجد في هذا الفصل شواهد عديدة على ذلك، فإلى ما يلي من مطالب.

الأهداف الباطلة:

وفي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنه بعد أن قتل بعض فرسان «الخوارج»، نجد عبد الله بن وهب الراسبي يبرز للقتال، ويعلن أنه إنما يفعل ذلك لأجل هدفين اثنين هما:

1. أخذ ثار من قتل من أصحابه.
2. إزالة دولة أمير المؤمنين، وصيرورة الأمر إلى أصحابه «الخوارج»، فإنه جعل يرتجز بين الصفين، ويقول:

أنا ابن وهب الراسبي الشاري أضرب في القوم لأخذ الثار

حتى تزول دولة الأشرار ويرجع الحق إلى الأخيار [1]

ألاعيبهم في سبيل الحكم:

والخريت بن راشد أيضاً كان يسعى إلى الدنيا، حيث إنه كان يحاول إرضاء كل الفرقاء، ولا يلزم نفسه بشيء.

فقد قال لمن معه من «الخوارج»: «إنا على رأيكم، وإن علياً لم ينبغ له أن يحكّم!!

وقال للآخرين، من أصحابه: حكّم، ورضي، فخلعه حكمه الذي ارتضاه.

وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة، وإليه كان يذهب.

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص132 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص190 ونقل أيضاً عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

وقال سواً للعثمانية: أنا والله على رأيكم. قد .والله . قتل عثمان مظلوماً.

فأرضى كل صنف منهم.

وقال لمن منع الصدقة: شدوا أيديكم على صدقاتكم، وصلوا بها أرحامكم»[1].

مع أنه قد علل خروجه على أمير المؤمنين بما يدل على أنه كان حرورياً خارجياً، حيث قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) أول خروجه عليه، وعصيانه له: «.. لأنك حكمت، وضعفت عن الحق، وركنت إلى القوم الذين ظلموا، فأنا عليك زارٍ، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين»[2].

يوليه، فينصرف عن خارجيته:

وقد كاتب عبد الملك بن مروان شبيباً الخارجي . في الطاعة، على أن يوليه اليمامة، ويهدر له ما أصاب من الدماء، فاتهموه في هذه المكاتبة[3].

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص96 والكامل في التاريخ ج3 ص368. وشرح النهج للمعتزلي ج3 ص140/141 وتاريخ الدولة العربية ص81.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص364 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص87 وأنساب الأشراف [بتحقيق المحمودي] ج2 ص411 والبداية والنهاية ج7 ص417 وشرح النهج ج3 ص128 وراجع كتاب الغارات ج1 ص333.

(3) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص147.

وبلغ زياداً عن رجل يدعى أبا الخير، من أهل الباس والنجدة: أنه يرى رأي «الخوارج»؛ فدعاه؛ فولاه جندي سابور، وما يليها. ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر، وجعل عمالته في كل سنة مئة ألف.

فكان أبو الخير يقول: مارأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة، والتقلب بين أظهر الجماعة[1].

ندماء الملوك:

وقد كان زياد بن أبيه يبعث إلى الجماعة منهم، فيقول: ما أحسب الذي يمنعكم من إتياني إلا الرجلة [أي عدم وجود ما يركبونه] فيقولون: أجل.

فيحملهم، ويقول: اغشوني الآن، واسمروا عندي.

وقد مدحه عمر بن عبد العزيز على ذلك، فراجع[2].

وقد صار سمرة بن الجعد نديماً للحجاج، وغرته مباهج القصر، فلما عاتبه قطري بن فجاءة على ذلك، حمل سلاحه، ولحق به، دون أن ينذر الحجاج بذلك[3].

مدائحهم للطواغيت:

وقد مدح الطرماح وهو خارجي الوالي من قبل بني أمية، خالد بن عبد الله القسري[4].

(1) راجع: الكامل في الأدب ج3 ص261/262.

(2) المصدر السابق.

(3) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص261/262 و279/280 وراجع أيضاً مروج الذهب ج3 ص136/137.

(4) راجع: الأغاني ج10 ص158.

وسيأتي أن ابن الكواء يفد على معاوية، ويأخذ جائزته، ويمدحه، ويبين له أيضاً حالات أهل الأمصار.

صداقات ومحبة:

كما أن المنذر بن الجارود العبدي، الذي كانت ابنته زوجة لعبيد الله بن زياد قد كان من أكرم الناس على ابن زياد، ولكنه حينما أجار عليه ابن مرغ لم يقبل منه[1].

كما أنه كان قريباً إلى معاوية، ويحضر مجلسه[2].

بيعتهم لابن زياد:

وحينما ظهر أمر ابن زياد قال الناس لعبد الله بن زياد: «أخرج لنا إخواننا من السجون، وكانت مملوءة من «الخوارج»، قال: لا تفعلوا. فأبوا، فأخرجهم. فجعلوا يبايعونه، فما تكامل آخرهم حتى أغلظوا إليه، ثم عسكروا، وقيل: خرجوا يمسحون الجدر بأيديهم، ويقولون: هذه بيعة ابن مرجانة الخ»[3].

وفاء حروري للعرش الأموي!!:

وكان عقفان حرورياً خرج في أيام يزيد بن عبد الملك في ثلاثين رجلاً، فأراد أن يرسل إليه جنداً فقيل له إن قتل عقفان بهذه البلاد اتخذها «الخوارج» دار هجرة.

(1) راجع: الأغاني ـ ط ساسي ج17 ص56.

(2) راجع: الأغاني ج13 ص48.

(3) سير أعلام النبلاء ج3 ص546و547.

فبعث لكل رجل من أصحاب عقفان بعض قومه ليكلمه ويردّه، فلما بقي عقفان وحده بعث إليه يزيد أخاه، فاستعطفه، وردّه.

فلما ولي هشام الخلافة ولاه أمر العصاة بعد أن أراد أن يوليه إمرة مصر.

ولما ولي عقفان أمر العصاة، وعظم أمره قدم ابنه من خراسان عاصياً، فشده وثاقاً، وبعث به إلى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه، وقال: لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه عنا، فاستعمله على الصدقة فبقي عقفان على الصدقة، إلى أن مات هشام، وولي الخلافة مروان الجعدي الحمار[1].

الوصول إلى الحكم هدفهم:

ومما يدل على أن «الخوارج» كانوا طامعين في الوصول إلى الحكم: أن زعيمهم وخليفتهم الأول، عبد الله بن وهب الراسبي، قد قال لرسول علي (عليه السلام):

نقاتلكم كي تؤمنوا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكم وفي رسالة «الخوارج» لعلي (عليه السلام) نجدهم يطلبون منه أن يبايع لابن وهب الراسبي[2]. فلو أنه بايع له، انحلت عقدتهم تجاهه.

وقد صرح أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) بأنهم غرتهم الأماني، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم بأنهم ظاهرون[3].

---

(1) النجوم الزاهرة ج1 ص251 وفي هامشه عن الكامل في التاريخ.

(2) العقود الفضية ص49.

(3) ذكرنا مصادر هذا النص حين الكلام حول وصف علي (عليه السلام) لهم.

الهرب في الحروب، والتفرق، والبغضاء:

وإن هروبهم في الحروب، ثم اختلافاتهم، وما كان ينشأ فيما بينهم من احقاد ليدل دلالة واضحة: على حبهم للدنيا، وطلبهم لها.

وقد قال زيد بن جندب في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة:

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناساً على دين ففرقنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان اغنى رجالاً ضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الخطب

إني لأهونكم في الأرض مضطرباً ... ما لي سوى فرسي والرمح من نشب[1]

يقتلون إخوانهم للخلاص من السجن!!:

والأدهى من ذلك كله: أننا نجدهم مستعدين لأن يقتل بعضهم بعضاً اختياراً وقد فعلوا ذلك من دون أي مبرر، في مقابل أن يطلق ابن زياد سراحهم من السجن، وكان منهم طواف بن غلاق.

وقد تبادلت «الخوارج» بعد ذلك اللوم. وندم طواف بن غلاق وأصحابه على فعلتهم بإخوانهم، وأخذوا يبكون على ما فعلوه بأصحابهم. ثم عرضوا الدية والقود على أولياء المقتولين، فأبوا[2].

(1) البيان والتبيين ج1 ص42 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص205.

(2) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص516/517 والعبر وديوان المبتدأ والخبر، ص144 وراجع العقود الفضية ص108/109 لكن فيه: أن ابن زياد إنما سجن الأحوار والموالي وفتن بعضهم بعضاً وقتل الأحوار الموالي.

الغدر والخيانة وتطبيق الأحكام انتقائياً:

ويستظهر البعض أن شبيباً الخارجي قد قتل على يد «الخوارج» أنفسهم، حيث إنهم حينما هزموا وكان شبيب يعبر الجسر، قطع بعض أنصاره الحبال[1]؛ فغرق شبيب بسبب ذلك.

ويقول البعض: إن هذه الرواية أقرب إلى التصديق من رواية نزو فرسه على فرسٍ أنثى كانت امامه، فنفرت منه، فوقع. ثم هو يقول: «وكان بين الجماعة التي يقودها نفر لم يكونوا له مخلصين تمام الإخلاص. وهو أمر من السهل جداً أن يوجد في قوم لا لواء لهم يعترفون به غير الله تعالى، أخذ هؤلاء عليه: أنه كان يستثني قومه أن يطبق عليهم ما يأمر به دين الخوارج»[2].

القعود عن الحرب، والفرار:

إنهم كانوا يدّعون: أن الفرار من الحرب ذنب يوجب الخروج من الدين. وكذلك القعود عن جهاد العدو.

وقد كان هروبهم هذا هو السمة المميزة لهم في كثير من حروبهم. وقد أشار زيد بن جندب إلى هذا الأمر في شعره المتقدم..

ثم إن الكثيرين منهم قد ركنوا إلى الدنيا، فلا يعملون بما يدعون: أنه دينهم وعقيدتهم، بل لقد أظهروا في أكثر من موقع، وأكثر من مناسبة: أنهم طلاب بقاء، لا طلاب موت وفناء.

(1) الطبري ـ ط ليدن ج2 ص975 فما بعدها.

(2) الخوارج والشيعة ص98.

فهذا أبو خالد التناني يتخلف عن الخروج للحرب، خوفاً على بناته، لأنهن ضعاف، ويخشى عليهن الفقر والعري بعده[1].

فهو إذن لا يرى أن الله هو الكافي له ولهن.

وقد سجل لنا التاريخ فرارهم من الحرب في العديد من المواطن، التي يطول المقام بذكرها[2].

ويحمس البهلول الشيباني الخائفين من الموت، المتخاذلين بقوله:

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجل

وكان عمران بن حطان ـ مادح عبد الرحمن بن ملجم لقتله علياً ـ من قعدة الصفرية. وكان يهرب من مكان إلى آخر، تخفياً من عيون الحجاج[3].

وقد التجأ إلى بيت روح بن زنباغ، الذي كان سمير عبد الملك بن مروان، مدعياً أنه من الأزد، وكاد أن يقع في يد عبد الملك، فغادر منزل ابن زنباغ، وخلف رقعة في كوة عند فراشه، فيها ابيات من جملتها:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمنٍ وإن لقيت معدياً فعدناني

لو كنت مستغوثاً يوماً لطاغية كنت المقدم في سوي وإعلاني[4]

---

(1) الكامل في الأدب ج3 ص167 وراجع: الخوارج في العصر الأموي ص276 و261.

(2) الأغاني ـ ط ساسي ج20 ص109و113 والبرصان والعرجان ص176 والعقد الفريد ج1 ص220و221 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص101 و121 وج4 ص271 و166 والخوارج والشيعة ص96 و101 والعقود الفضية ص220.

(3) خزانة الأدب ج2 ص438 والأغاني ـ ط ساسي ج16 ص152و154.

(4) الأغاني ـ ط ساسي ج16 ص153 ـ وراجع: سير أعلام النبلاء ج4 ص214و215 والكامل في الأدب ج3 ص170 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص94و92.

فهو يعتبر مضيفه طاغية لا يستحق أن يستغفر له رغم أنه بقي في منزله تلك المدة الطويلة.

ودخل الطرماح على عبد الملك، وعنده الفرزدق، وهو مقبل عليه، فقال الطرماح: «يا أمير المؤمنين من هذا الذي ألهاك عني الخ..».

والظاهر أنه الطرماح بن عدي، وهو الطرماح الأكبر، وهو خارجي[1].

وكان أصحاب قطري بن الفجاءة، يخشون أن يلبسهم العار لكثرة هروبه من وجه المهلب، فخاطبه أحدهم:

أيا قطري الخير إن كنت هارباً ستلبسنا عاراً وأنت مهاجر

إذا قيل قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر

فحتى متى هذا الفرار مخافةً وأنت ولي والمهلب كافر [2]

وحينما أرسل الحجاج من ينادي في أصحاب شبيب: من جاءنا منكم فهو آمن.. كان كل من ليست له بصيرة في دين «الخوارج»، ممن فرّ القتال وكرهه ذلك اليوم يجيئ فيؤمن.

وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب: من جاءنا فهو آمن. فتفوق عن شبيب ناس كثير من أصحابه [3].

وبعضهم «جيئ به ليقتل، فاستثاره منظر الجلاد والنطع؛ فأخذ يستنجد عاطفة الخليفة، ليعفو عنه، ويتركه لأطفاله» [4].

---

(1) تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص55-56.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص275.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص272 وتاريخ الأمم والملوك ج6 ص277 . ط دار المعارف بمصر.

(4) الخوارج في العصر الأموي ص285.

وقد اعترف عمرو بن الحصين بخذلانه أصحابه، حينما قال:

كم من أولي مقة صحبتهم شروا فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب [1] وقال آخر منهم، كان قد خذل أصحابه أيضاً:

إخوان صدق أرجيهم وأخذلهم أشكوا إلى الله خذلاني لأنصاري [2]

ولا مبرر لهذه الشكوى فقد كان بإمكانه أن ينصرهم ويشد أزرهم.

وكان رجل من «الخوارج» قد قال قصيدة، فكان منها:

ومنا يزيد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فسار البيت، حتى سمعه عبد الملك بن مروان، فأمر بطلب قائله؛ فأتي به، فلما وقف بين يديه، قال: أنت القائل:

ومنا أمير المؤمنين شبيب؟!

قال: لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين.

قال: فكيف قلت؟!

قال: قلت: ومنا أميرَ المؤمنين شبيب.

فضحك عبد الملك،وامر بتخلية سبيله. فتخلص بحيلته وفطنته؛ لإالة الإعواب عن الرفع إلى النصب [3] .

وذكروا: أن خارجياً كان قد خرج على ابن عامر .وذلك في زمن معاوية . «فضيق عليه الخناق، حتى اضطره إلى طلب الأمان، فمنحه إياه،

---

(1) المصدر السابق ص281.

(2) المصدر السابق.

(3) المحاسن والمساوئ ج1 ص218 وفي هامشه عن: المحاسن والأضداد ص130 ومعجم الأدباء ج1 ص25 والمستجاد من فعلات الأجواد ص244 وسير أعلام النبلاء ج4 ص147 وعن وفيات الاعيان ج2 ص456 وعن عيون الأخبار ج2 ص155.

ولما علم معاوية بالأمر، كتب إلى واليه، يأمره بقتله، وقتل أصحابه، فلم يستجب لأمره، وردّ عليه متنوّعاً: إني قد جعلت لهم ذمتك!!»[1].

كما أن سهم بن غالب الهجيمي، الذي خرج على زياد، عاد فطلب الأمان من زياد، فلم يؤمنه، وظل يطلبه حتى قتله[2].

كما أن الذين أجبروا امير المؤمنين (عليه السلام) على قبول التحكيم في صفين، قد احتجوا بقولهم: «كنا قد طالت الحرب علينا، واشتد البأس، وكثر الجراح، وحلا الكراع»[3].

فهم حباً بالراحة قد أفسدوا حياة الأمة بأسرها بموقف أرعن، حين أجبروا علياً (عليه السلام) على قبول التحكيم، ثم حاولوا إجباره على التراجع عنه..

رأي ابن خلدون:

وأخيراً.. فإنه يتضح مما قدمناه عدم صحة قول ابن خلدون: «الخوارج المستميتون في شأن بدعتهم.. لم يكن ذلك لنزعة ملك، ولا سياسة، ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصبية القومية»[4].

نعم.. إن هذا لا يصح، إذ قد:

اتضح مما سبق: أنهم كانوا يريدون الملك، وأن يكون لهم الحكم كما صرح به أحد زعمائهم، وبينه تاريخهم، وما إلى ذلك.

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص122 عن الكامل في التاريخ ج3 ص417/418.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص123.

(3) بهج الصباغة ج7 ص161 عن ابن دنيل في صفينه وبقية المصادر في الفصول المتقدمة.

(4) مقدمة ابن خلدون ج2 ص69 وقضايا في التاريخ الإسلامي ص38.

قد زين لهم الشيطان أنهم ظاهرون ومنتصرون، كما صرح به سيد الوصيين علي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)..

إن عدم وصولهم إلى ما يريدون ليس بسبب مزاحمتهم العصبية القومية كما ادعاه، وإنما بسبب سياساتهم الخرقاء، وسلوكهم الأرعن، وإجرامهم، ومزاعمهم الباطلة، وعقائدهم الفاسدة، التي تجعل الناس كلهم ضدهم، لأنهم يكفرون كل من عداهم. كما أنهم يستحلون قتل حتى أطفال ونساء مخالفيهم من المسلمين، وبأبشع الطرق والأساليب، كما أوضحناه في أكثر من مورد من هذا الكتاب.

كما أن استماتتهم إنما كانت لدوافع أخرى، كالحقد الذي يجدونه في أنفسهم، وطموح الترك بهم، وللحصول على بعض حطام الدنيا أحياناً أخرى.

إذن.. فلم تكن الإستماتة لأجل بدعتهم كما ادعاه ابن خلدون،وإن كنا لا نستبعد ذلك بالنسبة لبعض الأفراد من المخدوعين والسذج،والبسطاء منهم كما أشرنا إليه..

الصفحة 84

الصفحة 85

الفصل الثالث

مفارقات.. وتناقضات في

مواقف الخوارج

الصفحة 86

الصفحة 87

بداية:

إن من يراجع عقائد «الخوارج»، ومذاهبهم، يجد مفارقات كبيرة بينها وبين ما كانوا يتخذونه من مواقف عبر العصور..

فبينما نجدهم يكفرون جميع من عداهم، وينقمون على خلفاء الجور، ويحاربونهم بكل ضراوة وعنف.. ويستحلون حتى قتل النساء والأطفال، والشيوخ، وبصورة بشعة ولا إنسانية، فإنهم في ظروف أخرى يتعاملون مع أولئك الحكام، ويبايعونهم، ويعينونهم، ويكونون إلى جانبهم..

وإذا كان مذهبهم يقوم في الأساس على البراءة من علي (عليه السلام)، ومن كل ما يمت إليه بصلة أو رابطة، فإننا نجدهم يتعاملون مع بعض ولده ويؤيدونهم،رغم أن دعوة ولده لا تختلف عن دعوته،وأن خطه هو نفس خطّه صلوات ربي عليه وسلامه وبركاته..

وقد تقدمت نماذج كثيرة تكفي للإعلان بالاختلاف بين ما يدعون أنهم يعتقدون وبين ما يمارسونه..

ونذكر فيما يلي أنموذجاً آخر من هذه المفارقات في مواقفهم،والمناقضة لما قرروه في اتجاهاتهم وعقائدهم: وقد يجد المتتبع لهذه

الواسة نماذج أخرى ذكرت في موضعها ولم نشر إليها هنا، فإننا لسنا في صدد تتبع ذلك واستقصائه.. بل نذكر ما نذكره هنا على سبيل النموذج والمثال.

فنقول:

موقفهم من الإمام الحسن (عليه السلام):

إن من الواضح: أن أساس نحلة «الخوارج» يقوم على الواءة من أمير المؤمنين (عليه السلام) وتكفيره.. وعدم الاستجابة لأية دعوة أو خطة فيها تأييد لنهجه (صلوات الله وسلامه عليه).. وواضح: أنه (عليه السلام) هو الذي أوصى لولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالخلافة[1] ؛ تنفيذاً لأمر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، الذي قال: الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا[2].

كما أن الإمام الحسن المجتبى، قد كان مع أبيه في كل آرائه ومواقفه، يؤيده ويعينه، ويشد من أزره. ولم يفارق نهجه وخطه قيد أنملة، حتى

---

(1) راجع: مقاتل الطالبيين ص55و56 وراجع: ص52و34. والفتوح لابن أعثم ج4 ص151 والمناقب لابن شهر آشوب ج4 ص31 وشرح النهج للمعتزلي ج16 ص36.40 وراجع: ص30 وج1 ص57 والبحار ج44و64 عن كشف الغمة والعقد الفريد ج4 ص474 و475 والبداية والنهاية ج6 ص249 والمناقب للخوارزمي ص278 وتيسير المطالب ص179 والأغاني ج6 ص121 وقاموس الرجال ج5 ص172 وإثبات الوصية ص152 وغير ذلك.

(2) راجع: الفصول المختارة ص303 والإرشاد للمفيد ج2 ص30 والتعجب ص52 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص141.163 والطرائف ص196 والمستجاد من الإرشاد ص157 وغوالي اللآلي ج3 ص130 وج4 ص93 والصواعق المحرقة ص95 وقصص الأنبياء، ج2 ص244 والبحار، ج44 ص2 و16 و43 و68 و278 و291 وج35 ص266 وج36 ص289 و325 وج16 ص307 وج21 ص279 وألقاب الرسول وعترته، ص49.

حينما حارب «الخوارج» في النهروان وقتلهم، وأباد خضراءهم.

ولكننا مع ذلك كله، ومع أنه لم يمر على هذه الوقعة التي كان لها الأثر العميق في «الخوارج» سنتان بعد.. نجد «الخوارج» ينخرطون في جيش الإمام الحسن (عليه السلام)، ويكونون معه في حربه ضد معاوية.

فقد جاء في النص التاريخي: «خف.. ومعه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له،ولأبيه، وبعضهم محكِّمة . [أي خوارج] يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن، وطمع في الغنائم الخ»[1].

إذن.. فقد ساعد «الخوارج» الإمام الحسن (عليه السلام) الذي كان أبوه وكان هو مع أبيه من أشد الناس عليهم، وأعظمهم نكاية فيهم؟!

موقفهم من زيد بن علي (عليه السلام):

ثم إنهم قد بايعوا زيد بن علي (عليه السلام)، حينما قام في وجه الحكم الأموي كما يرويه السيد أبو طالب، يحيى بن الحسين، بن هارون الحسني، في كتاب: «الدعامة»[2].

هذا وقد رثى شاعر «الخوارج»، حبيب بن جوة الهلالي، زيداً (رحمه الله)، فقال:

يا با حسين والأمور إلى مدى أولاد درزة أسلموك وطاروا
يا با حسين لو شواة عصابة علقتك كان لوردهم إصدار[3]

---

(1) راجع: أعيان الشيعة ج1 ص568 والإرشاد للمفيد ص193 وكشف الغمة ج2 ص165.

(2) الحور العين ص185/186.

(3) الحور العين ص187 والكامل في الأدب ج4 ص112 بتقديم البيت الثاني على الأول كتاب: أبو الحسين زيد الشهيد ص98 عن نسمة السحر عن بعض التواريخ وربيع الأوار ج2 ص193 وراجع: لسان العرب ج5 ص348.

قال المبرد: تقول العرب للسقاط والسفلة: أولاد درزة[1].

وقيل: هم الخياطون، فإن زيداً لما خرج كان معه خياطون من الكوفة[2].

وقال أيضاً:

أولاد درزة أسلموك مبلا[3] يوم الخميس لغير ورد الصادر
تركوا ابن فاطمة الكرام تقوده بمكان مسخلة لعين الناظر[4]

هذا مع العلم بأن زيداً هو حفيد علي (عليه السلام) الذي حاربهم، وأباد خضراءهم، وكانت دعوته شيعية علوية خالصة..

غير أن حقدهم على الأمويين، وكذلك عدم قطعهم ببطلان ما كان عليه علي (عليه السلام) وولده، قد جعلهم يتجاوزون كل الاعتبارات، ثم أن يعينوا تلك الفئة التي تنتمي إلى ذلك الرجل الذي لا يمكنهم أن يغفروا له ما فعله بهم، ولا أن ينسوه على مرّ الأيام..

معاونتهم لأبي مسلم الخراساني:

كما أن شيبان بن سلمة، زعيم الفرقة الشيبانية منهم قد أعان أبا مسلم الخراساني القائم بأمر الدعوة العباسية، وعلي بن الكرماني في

(1) الكامل في الأدب ج4 ص12 وراجع: لسان العرب ج5 ص248 وربيع الأبرار ج2 ص193و194 وفيه قال: هم خياطون من أهل الكوفة، خرجوا ثم انهزموا أسرع شيء.

(2) أبو الحسين زيد الشهيد ص98.

(3) لعل الصحيح: مبلّلاً.

(4) الحور العين ص187.

الحرب ضد الوالي الأموي نصر بن سيار [1] ، تلك الحرب التي انتهت بالإطاحة بالحكم الأموي، وتوطيد الأمر للعباسيين..

معونتهم لابن الزبير:

هذا.. وقد أعانوا ابن الزبير أيضاً في حربه ضد الأمويين رغم أنهم لم يتأكدوا بعد من توجهاته، وذلك بعد أن بلغهم خروج مسلم بن عقبة إلى المدينة، وقتله أهل حرة، وأنه مقبل إلى مكة؛ فقالوا: يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم، ونمتحن ابن الزبير؛ فإن كان على رأينا بايعناه؛ فلما صاروا إليه عرفوه أنفسهم وما قدموا له؛ فأظهر لهم ابن الزبير: أنه على رأيهم؛ فقاتلوا معه أهل الشام حتى مات يزيد، وانصرف الجيش الشامي عن مكة..

ثم امتحنوا ابن الزبير، فصرفهم إلى العشي؛ لأنه لم يكن عنده من يمتنع به منهم. وفي العشي خرج إليهم، وقد لبس سلاحه؛ فرفض ما دعوه إليه، من البراءة من عثمان، وتكفير أبيه الزبير؛ ففارقوه، وكان ذلك سنة 64 هـ. وكان فيهم نافع بن الأزرق، ونجدة، وبنو ماحوز، وغيرهم من زعماء «الخوارج» [2] .

(1) راجع: الخطط للمقريزي ج2 ص355 ، ومقالات الإسلاميين ج1 ص167 والملل والنحل ج1 ص132 ، والحور العين ص172 والفرق بين الفرق ص102، وراجع أيضاً العيون والحدائق ص166 والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص65.

(2)راجع فيما تقدم: العقد الفريد ج2 ص391 395، والكامل للمبرد ج3 ص276 282، والكامل لابن الأثير ج4 ص165 و166 و167 و168 وراجع ص123/124 ، وأنساب الأشراف ج4 ص95 و99 و28 و47 و54 و58و102 وتاريخ الطبري ج4 ص436 439 وتاريخ ابن خلدون ج3 ص144/145 والبداية والنهاية ج8 ص239 وراجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص22و23و25و28و29و44 عن بعض من تقدم وعن ابن كثير وابن ابي الحديد والمسعودي وراجع العقود الفضية ص22 وراجع:

<=

وبعد ذلك كتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره فلم يستجب له..

ويلاحظ: أن ابن الزبير الذي اتخذ سبيل التقية قد سكت عن علي (عليه السلام) الذي حاربه هو وأبوه من قبل، ولم يذكره كما ذكر عثمان وطلحة والزبير..

ولعل مساعدتهم لابن الزبير لم تكن بالأمر الذي يثير عجباً كثيراً، بعد إعلانهم: أن هدفهم أولاً هو الدفاع عن حرم الله تعالى، ضد الذين كان عداؤهم لهم لا رجعة عنه، لأن كفرهم لديهم كان أمراً غير قابل للريب والشك إطلاقاً.

وعلى كل حال فإن النص التاريخي يقول: إنه كان قد دخل «في طاعة ابن الزبير رؤوس «الخوارج»: نافع بن الأزرق، وعطية بن الأسود، ونجدة الخ..»[1].

ويقول المعتزلي: «.. إن عبد الله بن الزبير استنصر على يزيد بن معاوية بالخوارج، واستدعاهم إلى ملكه؛ فقال الشاعر:

يا ابن الزبير اتهوى فتية قتلوا ظلماً أباك ولما تنزع الشكك[2]

ضحوا بعثمان يوم النحر يا طيب ذاك الدم الزاكي الذي

ضاحية سفكوا

فقال ابن الزبير: لو شايعني الترك والديلم على محاربة بني أمية لشايعتهم، وانتصرت بهم..»[3].

=>

الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفةً ص83 و84 والغدير ج10 ص52.

(1) سنن البيهقي ج8 ص193 والغدير ج10 ص52.

(2) الشكك: جمع شكة، وهي السلاح.

(3) شرح النهج للمعتزلي ج5 ص131 والكامل للمبرد ج3 ص282.

وقد قيل له؛ حينما كان الخوارج يقاتلون معه أهل الشام: «أتقاتل بهذه المارقة؟ فقال: لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم..»[1].

وقال الذهبي: «وكانت الخوارج وأهل الفتن قد أتوه وقالوا: عائذ بيت الله. ثم دعا إلى نفسه، وبايعوه، وفارقته الخوارج»[2].

وهكذا يتضح: أنه كما أن «الخوارج» لم يكن يهمهم من أجل القضاء على الأمويين حتى أن يعينوا زيد بن علي، وأبا مسلم، وابن الزبير بالذات..

كذلك ابن الزبير.. فإنه لم يكن يهمه من أجل الوصول إلى أهدافه، وتحقيق مآربه بالحكم والسلطان: أن يستعين حتى بالشياطين، فضلاً عن «الخوارج»، كما صرح به، حسبما تقدم..

نعم..ولا غرابة في ذلك. فإنه قد أظهر للخوارج أولاً أنه منهم، وجعل شعاره حينما اتصل بهم نفس شعارهم، وهو: «لا حكم إلا لله»[3].

(4)

كما أنه قد قطع الصلاة على النبي أربعين جمعة بغضاً منه بأهل بيته (صلى الله عليه وآله) .

وقبل ذلك، فإنه هو الذي حارب أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) مع أبيه

---

(1) أنساب الاشراف ج4 ص49 وراجع: الكامل في الأدب ج3 ص282.

(2) سير أعلام النبلاء ج3 ص373 وراجع: تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص410 وتاريخ الإسلام ج3 ص170/171.

(3) شرح الأخبار، ج1 ص360 وج2 0 ص46 وفرائد المقالات، ص233 والاختصاص، ص180 ومناقب آل أبي طالب، ج2 ص369 ومناقب أمير المؤمنين، ج2 ص340و341 والبحار، ج32 ص544 وج33 ص338 و343 و344 و361 و395 وج38 ص183 وج42 ص271.

(4) مقاتل الطالبيين، ص316 والصوارم المهرقة، ص97 والأمالي هامش ص347.

وغيره من الناكثين..

إلى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه، مما يؤكد فيه تلك الخصيصة التي أشرنا إليها آنفاً.

معونتهم للأمويين:

بل نجد: أنهم قد أعانوا حتى الأمويين، حينما كانت دعوتهم موافقة لعصبيتهم، فقد قال ابن خلدون، وهو يتكلم عن حركة الضحاك بن قيس: «.. وولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحرشي، وعزل به عبد الله بن عمر بن عبد العزيز؛ فامتنع عبد الله بالحيرة، وسار إليه النضر، وتحاربا أشهراً، وكانت الصفرية مع النضر عصبة لمروان بالطلبة بدم الوليد، وأمه قيسية الخ..». ثم ذكر كيف أن الضحاك والخوارج قد استفادوا من هذا الخلاف، وحاربوهم، ثم ما جرى منهم[1].

كما أن شيبان الخارجي: قد صالح نصر بن سيار، العامل الأموي المعروف في خراسان[2]. ليتمكن من مواجهة العباسيين وغيرهم.

وقال ابن قتيبة الدينوري: «وسار مصعب بن الزبير بجماعة أهل البصرة، نحو الري، وتخلف عنه المنذر بن الجارود، وهرب منه نحو كرمان في جماعة من أهل بيته، ودعا لعبد الملك بن مروان»[3].

والأزارقة أيضاً قد قبلوا بموادعة المهلب ثمانية عشر شهراً ليتفرغ

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ج3 ص164.

(2) المصدر السابق، ج3 ص120.

(3) الأخبار الطوال، ص 304/305.

لحرب المختار[1].

وقد عرفنا: كذلك أن شبيب بن يزيد الخارجي قد قصد أولاً الشام، وطلب من عبد الملك أن يفوض له في اهل الشوف، فلما رفض طلبه، خرج عليه، واستولى على ما بين كسكر والمدائن. وقد هزم للحجاج عشرين جيشاً في مدة سنتين [2].

وقد اتهم بمكاتبة عبد الملك بعد أن خرج عليه، ووعده عبد الملك ولاية اليمامة، ويهدر له ما أصاب من الدماء [3].

والخريت أيضاً: قد قال للعثمانية: «إنا .والله . علىرأيكم، قد .والله . قتل عثمان مظلوماً» [4].

وسمرة بن الجعد قد أصبح سمراً للحجاج [5].

وكان زياد يرسل إلى جماعة منهم فيحملهم إليه ويسمرون عنده، وقد مدحه عمر بن عبد العزيز على ذلك [6].

وعمران بن حطان أيضاً، قد نزل ضيفاً على روح بن زنباع، وكان أثيراً عند عبد الملك فلما اطلع على أمره ارتحل عنه [7].

وتقدم أن عقفان الحروري خرج في أيام يزيد بن عبد الملك

---

(1) الأخبار الطوال، ص304/305.

(2) راجع: الفرق بين الفرق، ص111 والفتوح لابن أعثم ج7 ص84و85.

(3) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص347.

(4) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص96 والكامل في التاريخ، ج3 ص368.

(5) الخوارج في العصر الأموي، ص261 و262 و279 و280 وراجع مروج الذهب، ج3 ص136/137.

(6) الكامل في الادب، ج3 ص261 و262.

(7) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج5 ص92 و95 ومصادر أخرى تقدمت.

في ثلاثين رجلاً، فأرسل يزيد إليهم أهليهم فردوهم، وبقي عقفان وحده؛ فبعث إليه يزيد أخاه فاستعطفه ورده.

فلما ولي هشام الخلافةولاّه أمر العصاة، بعد أن أراد أن يوليه إمرة مصر.

ولما ولي عقفان أمر العصاة، وعظم أمره قدم ابنه من خراسان عاصياً، فشده، وثاقاً وبعث به إلى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه. ثم استعمل عقفان على الصدقة، فبقي على الصدقة إلى أن مات هشام [1].

وفي المقابل نجد سليمان بن هشام الأموي قد انضم إلى الضحاك بن قيس، وكان معه جيش من أربعة آلاف [2].

خارجيان حاربا الحسين، ثم استشهدا معه:

وقد ذكروا: أن أبا الحتوف ابن الحارث بن سلمة الأنصاري العجلاني، كان مع أخيه سعد في الكوفة، ورأيهمارأي «الخوارج».

فخرجا مع عمر بن سعد لحرب الحسين (عليه السلام).

فلما كان اليوم العاشر، وقتل أصحاب الحسين، وجعل الحسين ينادي: ألا ناصر فينصرنا، فسمعته النساء والأطفال،

فتصارخن. وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين، والصواخ من عياله، قالا إنا نقول: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصاه. وهذا الحسين ابن بنت نبينا محمد، ونحن نرجو شفاعة جده يوم القيامة، فكيف نقاتله وهو بهذا الحال، لا ناصر له ولا معين؟!

(1) النجوم الزاهرة ج1 ص251 وفي هامشه عن الكامل في التاريخ.

(2) الخوارج والشيعة ص103.

فمالا بسيفهما مع الحسين على أعدائه، وجعلا يقاتلان قريباً منه حتى قتلا جمعاً وجرحا آخر، ثم قتلا معاً في مكان واحد. وختم لهما بالسعادة الأبدية بعد ما كانا من المحكّمة. وإنما الأمور بخواتيمها[1].

وإذا كان ميلهما إلى الحسين عليه صلوات ربي وسلامه قد كان بسبب وضوح الأمر لهم، وظهور مظلوميته لديهم، وموافقة ذلك لمنطق العقل والاحتياط للدين..

فإن مساعدتهما للأمويين، وخروجهما في جيش عمر بن سعد، لا يمكن تفسيره على أساس ديني، ولا منطقي على الإطلاق، فإن «الخوارج» الذين لا يقبلون بالقعود عن محاربة السلطان الظالم، لا يمكن أن يكون يزيد - بنظرهم - محقاً في حربه للحسين، ولا في تأمّره على الأمة، في أي من الظروف والأحوال.

فلابد من تفسير هذا الخروج معهم، والعون لهم على أنه قد كان لأجل الدنيا، ولا شيء وراء ذلك على الإطلاق، أو بغضاً بكل من هو من ولد علي (عليه السلام) وحقداً.

ثم تداركهما الله بلطف منه، وأنار بصيرتهما، فختم لهما بالسعادة، وأكرمهما بالشهادة.

(1) الكنى والألقاب ج1 ص45.

الباب السابع

واقع الخوارج

الصفحة 100

الصفحة 101

الفصل الأول

الخوارج في البلاد والقبائل

الصفحة 102

الصفحة 103

تأثير علي (عليه السلام) في خوارج الكوفة:

لقد ظهر «الخوارج» ـ أول ما ظهروا ـ في شرقي الدولة الإسلامية، في مناطق العراق، وخصوصاً في منطقة البصرة والكوفة، ثم بدأوا يظهرون في بقية المناطق.

غير أن نظرة فاحصة نلقيها على كل من خوارج البصرة والكوفة تعطينا: أن ثمة فروقاً فيما بينهما في كل من المنطقتين.

ولعل ذلك يرجع إلى تأثير علي (عليه السلام) في أهل الكوفة؛ لأنه قد عاش فيما بينهم زهاء، وعرفوه عن كثب، ولم يكن ـ والحالة هذه ـ من السهل تضليلهم في شأن علي (عليه السلام)، وفي سلوكه، وسيرته ومواقفه.

هذا بالإضافة إلى تأثير المبادئ الصافية التي أشاعها (عليه الصلاة والسلام) فيما بينهم، حيث تركت لها آثاراً بارزة في عقلية وحياة الكثيرين منهم، وإن كان يختلف ذلك ويتفاوت، بسبب اختلاف الظروف، والحالات بالنسبة لفردٍ وآخر، وفريق أو قبيلة. بالنسبة إلى فريق أو قبيلة أخرى.

الصفحة 104

خوارج البصرة أكثر عدداً:

وعلى هذا الأساس أيضاً يمكن تفسير ظاهرة قلة «الخوارج» في منطقة الكوفة بالنسبة إلى خوارج البصرة. فإن أهل البصرة كانوا يعانون من عقدة ما جرى لهم في حرب الجمل، التي سجل فيها علي (عليه السلام) نصراً ساحقاً وحاسماً، وكانت

لهم فيها هزيمة قبيحة وفاضحة ومنكرة.

والبصريون أيضاً لم يعيشوا مع علي،ولا عرفوا الكثير عنه،وعن مبادئه، ومواقفه، وسلوكياته.

خوارج الكوفة أكثر استعداداً للحوار:

والظاهرة التي نلمح إليها بصورة عابرة هنا هي: أن خوارج الكوفة . بفعل تأثير علي (عليه الصلاةوالسلام) فيهم أيضاً كانوا . فيما يظهر . أكثر استعداداً للحوار،وأكثر تفاعلاً معه.

فلا عجب إذن إذا كثر فيهم الراجعون إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)،والمتراجعون عن مواقفهم منهم. أو الشاكون والمترددون بعد حوار موضوعي بنّاء ومقنع، بخلاف حال خوارج منطقة البصرة الذين كانوا اكثر اندفاعاً نحو الجريمةوأشد امعاناً في اللجاجوالعناد.

ومهما يكن من أمر، فإن البصرةوالكوفة كانتا معقلهم الأساس في بداية ظهورهم، ثم إنهم كثروا بعد ذلك، وظهروا في مناطق مختلفة، ثم انحسروا ليستقر بهم الأمر في مناطق بعيدة عن مراكز القرار، غرباء عن مواقع الحركة السياسية والحضارية،والثقافية، حتى كان آخرهم لصوصاً سلابين على حد تعبير أمير المؤمنين (عليه الصلاةوالسلام).

مناطق «الخوارج»:

ومهما يكن، فإن «الخوارج» قد انتشروا في العديد من المناطق في شرق الدولة الإسلامية، مثل: كرمان، وفارس،وغيرها.

وقد استولوا في بعض الفترات على اليمامة،وحضرموت،واليمن،والطائف.

ويقول ابن خلدون: «وكان بنواحي البحرين وعمان إلى بلاد حضرموت، وشرقي اليمن، ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة، إلى أن خرج علي بن مهدي من خولان باليمن، ودعا إلى هذه النحلة،وغلب يومئذٍ من كان من الملوك باليمن،واستلحم بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين من الشيعة،وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن،واستولوا أيضاً علىزبيد ونواحيها من يد موالي بني نجاح، ومولى ابن زياد..

إلى أن قال: ويقال: إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت،والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء..»[1].

وقال المجلسي: «صاروا نحواً من عشرين فرقة. وكبارها ست: الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق،وهم أكبر الفرق، غلبوا على الأهواز وبعض بلاد فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير.

والنجدات،رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي.

والبهيسية أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر، وكان بالحجاز، وقتل فيزمن الوليد.

(1) تاريخ ابن خلدون ج3 ص170.

والعجلدة أصحاب عبد الكريم بن عجرد.

والإباضية أصحاب عبد الله بن إباض قتل في أيام مروان بن محمد.

والثعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر»[1].

وقال المسعودي: «.. وذكرنا مواضعهم من الأرض في هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور، وسجستان، واصطخر، من بلاد فارس، وبلاد كرمان، وأذربيجان، وبلاد مكران، وجبال عمان، وهراة من بلاد خراسان، والجزيرة، وتاهرت السفلى، وغيرها من بقاع الأرض»[2].

وقال المعتزلي: «.. ويقال: إن في عمان وما والاها، من صحار وما يجري مجراها قوماً يعتقدونه فيه ما كانت «الخوارج» تعتقده فيه، وأنا أبرأ إلى الله منهما»[3].

والخلاصة: أن «الخوارج» كانوا متواجدين بشكلٍ وبآخر في فترات تاريخية تختلف وتتفاوت في العديد من المناطق مثل: فارس، ومكران، وعُمان، واليمامة، ونواحيها إلى حضرموت، وهجر، والموصل، وعامة أرض اليمن، والجزيرة، وسجستان، وخراسان، وكرمان، وقهستان[4].

(1) بحار الأنوار ـ ط قديم ج8 ص572.

(2) مروج الذهب ج3 ص193.

(3) شرح النهج ج18 ص282.

(4) راجع فيما تقدم، كلاً أو بعضاً، المصادر التالية: جمهرة أنساب العرب ص322، والفرق بين الفرق ص85 و98و99 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص272/273 والبحر الزخار ج1 ص42 وأنساب الأشراف ج4 ص28 والحور العين ص202 والملل والنحل ج1 ص118و119و124 وراجع: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص174 والعقود الفضية ص66 عن الموسوعة العربية الميسرة.

وهذه الأربعة الأخيرة كانوا على مذهب عطية، كما أن «عامة الشيبانية بجرجان، ونسا، وأرمينية»[1].

وقد وصف الأصمعي الأمصار في زمنه، فقال: «البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية، والشام كلها أموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنة»[2].

والتعليل الذي أورده ابن عبدربه هو: «والجزيرة خارجية، لأنها مسكن ربيعة، وهي رأس كل فتنة»[3].

وعلى حسب نص المعتزلي: «وأما الجزيرة فحرورية مارقة، والخارجية فيهم فاشية، وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى»[4].

وقال محمد بن علي العباسي زعيم الحركة العباسية لدعاته: «أما الكوفة وسوادها، فهناك شيعة علي وولده، وأما البصرة

وسوادها فعثمانية، وأما الجزرة فحرورية ملقة، وأعواب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى»[5]. ونقل عن الأصمعي أيضاً ما يقرب من هذا[6].

(1) الملل والنحل ج1 ص133.

(2) العقد الفريد ج6 ص248.

(3) العقد الفريد ج6 ص248.

(4) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي ج15 ص293.

(5) معجم البلدان للحموي ج2 ص352 وأحسن التقاسيم ص293 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص204 والسيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص93 وراجع الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1 ص102.

(6) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص67 والعقد الفريد. ط دار الكتاب العربي ج6 ص248.

وقال الأشعري: «.. والكور الغالب عليها الخارجية: الجزرة، والموصل، وعمان، وحضرموت، ونواح من المغرب، ونواح من خراسان.

وقد كان لرجل من الصفرية سلطان في موضع يقال له: سجلماسة، على طريق غانة»[1].

وجاء في سياق كلام أحمد أمين المصري: «كانوا فرعين: فرعاً بالعراق وما حولها. وكان أهم مركز لهم البطائح، بالقرب من البصرة، وقد استولوا على كرمان، وبلاد فارس، وهددوا البصرة... إلى أن قال: وفرعاً بجزرة العرب، استولوا على اليمامة وحضرموت، واليمن والطائف»[2].

لابد من الدقة:

إننا نعتقد أن ما يذكرونه من تواجد «الخوارج» في المناطق المشار إليها تعوزه الدقة، والموضوعية..

ولعلنا نلمس بعض الميل إلى تضخيم أمر «الخوارج»، واعتبارهم ثواراً حقيقيين تجسدت فيهم آمال الجماهير، فانساقت وراءهم، حيث استهوتها شعاراتهم، وبهرتها مواقفهم وبطولاتهم، لاسيما وأنها لمست فيهم الصلابة في الدفاع عن الدين والحق، وعن المظلومين.

ولكننا إذا راجعنا وقائع التاريخ، لاسيما تاريخ «الخوارج»، نجد: أنهم بسبب ما ظهر منهم، قسوة وعنف قد أثاروا جواً من الرعب والخوف

(1) مقالات الإسلاميين ج1 ص191.

(2) فجر الإسلام ص257/258.

والإحباط لدى عامة الناس الأبرياء. إلى حد لم يعد يمكن اعتبار استيلائهم على بعض البلاد يمثل استجابة لحالة شعبية، أو يعكس رضى عامة الناس، أو يدل على قبولهم للعقيدة الخارجية. فإن الناس كانوا يحبون السلامة. وكانت شواذم «الخوارج» لا ترحم أحداً،ولا ترثي لحال أحد، فهي تستحل دماء الناس حتى الطفل الصغير، والشيخ الكبير لأتفه الأسباب، بل وبدون سبب على الإطلاق. ولم تقتصر حالة الخوف هذه على القرن الأول الهجري، بل استمرت إلى ما بعد كسر شوكة «الخوارج» بعد عشرات بل مئات السنين من ذلك، حتى لنجد أن الفضل بن شاذان المتوفي سنة 260 هـ.ق «كان برستاق بيهق، فورد خبر «الخوارج»، فهرب منهم، فأصابه التعب من خشونة السفر؛ فاعتل ومات»[1].

«الخوارج» في إفريقية:

والظاهر أن إفريقية لم تعرفهم إلا في عهد العباسيين، غير أنهم يقولون: إن عكرمة هو سبب نشر الصفرية في بلاد المغرب، مما يعني: أنهم انتشروا في المغرب في وقت متقدم أي منذ عهد الدولة الأموية أيضاً. وقد انتشر مذهب الإباضية منهم في شمال إفريقية، ثم في الساحل الشرقي لإفريقية[2].

وقال الذهبي: «..وخوارج المغرب إباضية، منسوبون إلى عبد الله بن يحيى بن إباض، الذي خرج في أيام مروان الحمار، وانتشر أتباعه بالمغرب»[3].

---

(1) إختيار معرفة الرجال ص543.

(2) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص474..

(3) سير أعلام النبلاء ج15 ص153.

وكان مخلد بن كيدادرأس الإباضية، قد ظهر على أغلب المغرب، ولم يبق لبني عبيد سوى المهدية[1].

وقد قال الذهبي عن مخلد هذا: «كاد أن يمتلك العالم»[2].

ونص آخر يقول عن الإباضية: «هي فرقة خارجية، لازال قائمة في بلاد طرابلس، وفي زنجبار، وعمان»[3].

ويقول آخر: «وهناك إباضيون حتى اليوم في عمان، والجزائر، وزنجبار»[4].

وقد تقدم قول الأشعري، حول تواجد «الخوارج» في نواحٍ من المغرب، وأنه: «كان لرجل من الصفرية سلطان في سجلماسة، على طريق غانة».

«الخوارج» في القبائل وبني تميم:

إن مراجعة النصوص التاريخية تعطي: أن غالبية «الخوارج» كانوا من بني تميم[5].

ويذكر المؤرخون هنا: أنه قد كان في الأزد، وهمدان، وبكر، وغيرهم خوارج[6] أيضاً.

---

(1) سير أعلام النبلاء ج15 ص156.

(2) سير أعلام النبلاء ج15 ص153.

(3) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص174.

(4) العقود الفضية ص66 عن الموسوعة العربية الميسرة.

(5) قضايا في التاريخ الإسلامي ص37و68 عن العبر ج3 ص145 وعن الطوي ج5 ص516 وعن فجر الإسلام ص256.

(6) جمهرة أنساب العرب ص364 والاخبار الطوال ص197 وتاريخ الدولة العربية ص78 وقضايا في التاريخ الإسلامي ص38.

وذكرت بعض المصادر: أن أهل عمان إباضية، وأئمتهم من الأزد. ومن الإباضية باليمن طائفة من همدان في مغارب همدان. وفي حضرموت طائفة من «الخوارج»، من بشق، بطن من همدان[1].

ويستظهر الجاحظ: أن بني صريم .وهم من بني تميم . كانوا من «الخوارج» أيضاً[2].

والظاهر هو أن أكثر «الخوارج» كانوا من بني تميم، من ربيعة اليمن[3].

ولعل ذلك يفسر لنا ما ورد من أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد وصف مسجداً لبني تميم بأنه بيعة[4].

وكان «الخوارج» في البربر أيضاً، فإن بني برزال وبني واشين إباضية[5].

ويقول الذهبي عن البربر: «ثم كان الذين أسلموا خوارج وإباضية، حاربوا مرات، وراموا الملك، إلى أن سار إليهم داعي المهدي، فاستمالهم، وأفسد عقائدهم»[6].

دور العرقية في مواقف ربيعة:

ويقولون: إن ربيعة اليمن كانت تتحرك على أساس عرقي في هذا

(1) الحور العين ص202و203.

(2) البيان والتبيين ج1 ص206.

(3) راجع: تاريخ الإسلام السياسي ج1 ص397 وقضايا في التاريخ الإسلامي ص68و71 وضحى الإسلام ج3 ص332 والخوارج والشيعة ص74 ودائرة المعارف الإسلامية ج8 ص470 وتعليقات الدكتور مشكور على كتاب: المقالات والفرق ص130.

(4) المصنف للصنعاني ج3 ص153.

(5) جمهرة أنساب العرب ص488.

(6) سير أعلام النبلاء ج18 ص429.

المجال.

وبذلك فسروا قول الأصمعي: «..والجزيرة خارجية، لأنها مسكن ربيعة. وهي رأس كل فتنة»[1].

وتقدم: أن علي بن عبد الله بن العباس قد اعتبر الجزيرة خارجية مارقة، ومسلمين أخلاقهم كأخلاق النصارى..

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد: «ما أكثر الخلفاء من ربيعة؛ قال: بلى، ولكن مناوهم الجوع»[2].

فرأى البعض أن: «.. من أعظم هذه الأمور التي حفزتهم على الخروج غير الحق الذي اعتقدوه: أنهم كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة، واستبدادهم بها دون الناس. والدليل على ذلك: أن أكثرهم من القبائل الربعية التي قامت بينها وبين

القبائل المضرية الإحن الجاهلية، التي خفف الإسلام من حدتها، ولم يذهب بكل قوتها، بل بقيت منها آثار غير قليلة مستمكنة في النفوس»..

إلى أن قال: «وإذا كان كذلك؛ فلابد وأن نتصور: أن الخوارج وأكثرهم ربعيون رأوا الخلفاء من مضر، فنفروا من حكمهم، واتجهوا في تفكيرهم نحو الخلافة تحت ظل هذا النفور، من حيث لا يشعرون الخ..»[3].

ويقول أيضاً: «.. والحق أن مبادئهم مظهر واضح لتفكيرهم، وسذاجة عقولهم، ونظراتهم السطحية، ونقمتهم على قريش، وكل القبائل المضرية..»[4].

---

(1) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص67 والعقد الفريد ج6 ص248.

(2) العقد الفريد ج6 ص248.

(3) راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية ص69/70.

(4) المصدر السابق ص71.

أما بروكلمان، فيقول عن حركة الخوارج: «أطلعت رأسها الآن في الجزيرة الشمالية، بين قبائل ربيعة، التي كانت تنفس على قريش بالخلافة»[1].

هذا.. ولربما يمكن الاستشهاد لما أشار إليه هؤلاء بما كان من أبي حمزة الخارجي، حينما غزا المدينة، حيث كان يقتل القرشي، ويدع الأنصاري، كما ذكره المؤرخون.

ربيعة مظلومة:

ولكننا لا نستطيع أن نوافق هؤلاء على مبالغاتهم هذه في اتهام ربيعة، وتأثير العرقية، فيها وإن كنا لا ننكر وجود تأثير للعرقية بدرجة ما..

ولعل ربيعة الذين كانوا من سكان الجزيرة هم الذين اتجهوا نحو نحلة «الخوارج».. دون سائر قبائل ربيعة، فإن تعميم الكلام لربيعة كلها بعيد عن الإنصاف والموضوعية، ولعل هذا التصميم على الإجحاف في حق ربيعة، قد جاء على سبيل المضادة والإدانة لموقف علي (عليه السلام).

وذلك لأن عماد عسكر علي (عليه السلام) كان ربيعة ومضر، وإن كان جيشه (صلوات الله وسلامه عليه) لم يخل من بعض القبائل اليمانية، مثل كندة، ومذحج، وهمدان، وطي، وغيرهم.

وقد استمر وفاء ربيعة لمبادئها بصورة أزعجت الحكم الأموي.

يقول المرزباني:

---

(1) تاريخ الشعوب الإسلامية ص164.

«قال أبو عبيدة: ولما قتل علي بن أبي طالب أراد معاوية الناس على بيعة يزيد؛ فتثاقلت ربيعة، ولحقت بعبد القيس في البحرين، واجتمعت بكر بن وائل إلى خالد بن المعتمر»[1].

فلما تثاقلت ربيعة تثاقلت العرب أيضاً؛ فضاق معاوية بذلك ذرعاً، فبعث إلى خالد؛ فقدم عليه؛ فلما دخل عليه رحب به وقال: «كيف ما نحن فيه؟

قال: أرى ملكاً طويفاً، وبغضا ًتليدا.ً

فقال معاوية: قل ما بدالك، فقد عفونا عنك، ولكن ما بال ربيعة أول الناس في حربنا وآخرهم في سلمنا؟»[2].

وقال المرزباني: «كان حميداً بليغاً، اجتمعت عليه ربيعة بعد موت علي، لما حلف معاوية أن يسبي ربيعة، ويبيع ذراريهم لمسارعتهم إلى علي، فقال خالد»[3]:

أما في ابن حرب حلفة في نسائنا ودون الذي يفوي سيوف قواضب

سيوف نطاق والقناة فتستقي سوى بعلها بعلاً وتبكي الغرائب

فإن كنت لا تغضي على الحنث بحرب شجى بين اللها فاعترف والشوارب

قال فيه أيضاً، وقد ذكر له علياً:

معاوي لا تجهل علينا فإننا نذلك[4] في اليوم العصيب معاوياً

ودع عنك شيخاً قد مضى لسبيله على أي حاليه مصيباً وخاطبيا[5]

(1) راجع الخوارج في العصر العباسي ص67 عن المعتزلي في شرح النهج ج1 ص502 ـ ط الحلبي ـ وكتاب صفين للمنقري ص205 والكامل للمبرد ج3 ص909.

(2) تهذيب تاريخ دمشق ج5 ص92.

(3) هو خالد بن ربيعة، بن مر، بن حارثة.

(4) في الإصابة: يد لك.

(5) تهذيب تاريخ دمشق ج5 ص37 والإصابة ج1 ص460. والقضية في كتاب صفين للمنقري ص294 ولكن باختلاف

كثير، فلتراجع..

وقال علي (عليه السلام) لربيعة في صفين: «أنتم درعي ورمحي»[1].

وحينما طعن الإمام الحسن (عليه السلام)، من قبل المتمردين عليه في جيشه، «دعا ربيعة وهمدان، فأطافوا به، ومنعوه؛ فسار، ومعه شوب من غوغاهم»[2].

وجاء في كتاب من أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ابن عباس: «..وانته إلى أمري ولا تعده، وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة..»[3].

وفي حرب صفين قال (عليه السلام): «.. أما بعد، يا معشر ربيعة، فأنتم أنصاري، ومجيبو دعوتي، ومن أوثق حي في العرب في نفسي»[4].

وفي مقام آخر في صفين، يسأل (عليه السلام): «لمن هذه الرايات؟ قلنا: رايات ربيعة. قال: بل هي رايات الله، عصم الله أهلها وصبرهم، وثبت أقدامهم»[5].

وقال عمرو بن العاص لمعاوية في صفين: «إن أصبحت ربيعة متعطفين حول علي تعطف الإبل حول فحلها، لقيت منهم جلاداً صادقاً، وبأساً شديداً..» إلى أن قال النص التاريخي: فلما نظر معاوية إليهم قد أقبلوا قال:

إن قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد

(1) مروج الذهب ج2 ص386 وكتاب صفين للمنقري ص402 والأخبار الطوال ص186.

(2) كشف الغمة للأربلي ج2 ص166 وراجع: الأخبار الطوال ص217 والإرشاد للمفيد ص209، وشرح النهج للمعتزلي ج16 ص41.

(3) كتاب صفين للمنقري ص105.

(4) المصدر السابق ص287.

(5) المصدر السابق ص288.

وكانت النتيجة: «أن فر معاوية عن سرادقه إلى بعض مضارب العسكر، خوفاً من ربيعة»[1].

وفي نص آخر: «وذكروا: أن علياً كان لا يعدل بربيعة أحداً من الناس»[2].

وقد أساءت له مضر[3] وخذلته بسبب ذلك، ووقفوا على الحياد حتى قال: «أليس من العجب أن ينصرني الأزد وتخذلني مضر؟!»[4].

وقال المسعودي: «.. ولعلي في ربيعة كلام كثير، يمدحهم فيه، ويرثيهم، شعراً، ومنثوراً. وقد كانوا أنصاره وأعوانه، والركن المنيع من أركانه، فمن ذلك بعض قوله يوم صفين» ثم يذكر الأبيات التي يذكر ويمدح فيها حضين بن المنذر:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل: قدمها، حضين تقدما

ومن جملتها قوله:

جزى الله قوماً قاتلوا في لقائه لدى الموت قدماً، ما أعز وأكرما

وأطيب أخباراً، وأكرم شيمة إذا كان أصوات الرجال تغمغما

ربيعة أعني، إنهم أهل نجدةٍ وبأسٍ إذا لاقوا خميساً عرمرما[5]

كما أننا نجده في حرب الجمل، قد اشتد حزنه (عليه الصلاة والسلام) على من قتلهم طلحة والزبير من ربيعة، قبل وروده (عليه السلام)

---

(1) المصدر السابق ص305 و306.

(2) المصدر السابق ص308.

(3) المصدر السابق.

(4) عن شرح النهج للمعتزلي ج4 ص46.

(5) مروج الذهب ج3 ص48 ، والأبيات موجودة في تاريخ الطبري ج4 ص26 ، وكتاب صفين للمنقري ص289.

البصرة؛ وكان يكثر من قوله:

يا لهف نفسي على ربيعة ربيعة السامعة المطيعة[1]

ولما أراد أهل الكوفة، بعد موت يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى أن يؤمروا عليهم عمر بن سعد لعنه الله، حتى ينظروا في أمرهم، جاءت نساء همدان، وربيعة، وكهلان، والأنصار، والنخع إلى الجامع الأعظم صارخات، باكيات، معولات، يندبن الحسين، ويقلن: أما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين، حتى أراد أن يكون أميراً علينا، على الكوفة؟!.. فبكى الناس، وأعرضوا[2]

عنه» .

وحينما أراد ابن عامر انتخاب ثلاثة آلاف من الشيعة لحرب «الخوارج»، نجد أن قائده شريك بن الأعور قد ألحّ على فرسان ربيعة [أي أخرج الأكثر منهم] الذين كان رأيهم في الشيعة، وكانت تجيبه العظماء منهم» [3] .

ومهما يكن من أمر؛ فإن النصوص المتقدمة، تفيدنا أمرين:

أحدهما: أن ربيعة كانت في جانب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان لمواقفها النضالية آثاراً عميقة على معاوية، وعلى سائر خصوم علي (عليه السلام)، وكانت درع علي (عليه السلام) ورمحه.

الثاني: أن الحكام الأمويين والعباسيين، كانوا . على حد سواء . يكنون الحقد والبغض لربيعة، بما لا مزيد عليه. حتى إن هشام بن عبد الملك يرفض الاستعانة بربعي، ويقول:

---

(1) مروج الذهب ج2 ص369.

(2) مروج الذهب ج2 ص105 ومقتل الحسين للمقرم ص246 عنه.

(3) تاريخ الطبري ج4 ص148 وراجع: الكامل لابن الأثير ج4 ص431.

«لا حاجة لي فيه؛ لأن ربيعة لا تسد بها الثغور» [1] .

وتقدم: أن تثاقل ربيعة عن البيعة ليزيد، قد نشأ عنه تثاقل العرب عنها، وهذا ما لا يمكن لمعاوية أن يغفره، أو أن يتغاضى عنه على الإطلاق.

وتقدم أيضاً: أنهم كانوا أول الناس في بغض معاوية وحربه، وآخر الناس في سلمهم.

وأن معاوية قد حلف أن يسبي ربيعة، ويبيع ذراريهم لمسارعتهم إلى علي (عليه السلام).

كما أن العباسيين وأنصارهم يشنون حملات شعواء على ربيعة، حتى إن الأصمعي يعتبر ربيعة رأس كل فتنة وتقدم رأي علي بن عبد الله بن العباس فيها.. وتقدمت محاورة الرشيد مع يزيد بن مزيد.. الأمر الذي يدل على أن ربيعة كانت مصدر متاعب كبيرة لأولئك الحكام، الأمويين والعباسيين على حد سواء، وأنهم كانوا يرونها مصدر كل بلاء وشر لهم.

وفي كلام الرشيد المتقدم: أن أكثر مناوئهم الجزع ما يفيد أن طلاب الحكم والسلطان في ربيعة كانوا كثيرين، وإن كانت نهاياتهم هي القتل والصلب في أكثر، أو في جميع الأحيان..

وطبيعي أن طلبهم للحكم والسلطان، وما يلازم ذلك من حركات مسلّحة، وثورات لم يكن ليحظى بإعجاب السلطات الحاكمة، ولا ليروق لها.

---

(1) الأخبار الطوال، ص340، وراجع ص141.

وهكذا.. فإننا بعد كل ما تقدم لا يمكن أن نطمئن إلى صحة تعليلاتهم التي حاولوا بها توجيه كثرة «الخوارج» من ربيعة، مادام أن أصل القول بأن يكون غالب «الخوارج» منهم محل شك وريب كبيرين.

وإن كنا لا نستبعد أن يكون بعض الربعيين قد انضموا إلى صفوف «الخوارج»،رغبة في حرب الأمويين لأسباب عديدة، أهمها ما يرونه من انحراف الأمويين عن الإسلام.. ثم اضطهادهم لهم بسبب نصرتهم لعلي،.. وكذلك بسبب يمانيتهم.

فقد قال هشام بن عبد الملك: «لا حاجة لي في اليمانية .وكان هشام يبغض اليمانية، وكذلك سائر بني أمية»[1].

فلأجل قحطانيتهم،ولأجل أن «الخوارج» اليمانية قد قويت شوكتهم.ولأن الأنصار محبي علي (عليه السلام) كان اكثرهم من اليمانية أيضاً. .نعم من أجل ذلك كله .راداد كره الأمويين وغيرهم من أعداء علي (عليه السلام) لهم، فصاروا يصفونهم بالخارجية ربما ليجدوا السبيل لملاحقتهم، والقضاء عليهم.

(1) الأخبار الطوال ص340.

الفصل الثاني

تركيبة الخوارج

ما لابد للباحث من معرفته:

إن من الأمور الواضحة والمعروفة: أنه إذا كانت فئة من الفئات ذات كيان متكامل، ولها شخصيتها وأصالتها، ويعرف كل واحدٍ من أفرادها موقعه، وحجمه، وواجباته، ثم هي تملك القيادة الحكيمة والمجربة، والموثوق بها..

وفوق ذلك كله.. لها أطروحة تَعْرِف أُولاها وآخرها، وقد اجتمعت عليها قلوبها، ومشاعرها، وارتبطت بها ارتباطا وجدانيا وعاطفياً، بالإضافة إلى توفر القناعة الكافية بها، من خلال ما رضيته لنفسها من أدلة وشواهد.. ويكون كل آحاد تلك الفئة على

استعداد لتقديم التضحيات الجلى بالمال وبالنفس في سبيلها، حيث يملكون قراً كافياً من الوعي لتلك المبادئ، والمعرفة بآفاقها والانصهار فيها.

نعم.. إن فئة لها هذه المواصفات، يمكن الاعتماد عليها، والتعامل معها على أساس ثابت، ولا توجد مشكلات خطيرة في ذلك..

وأما حين يكون لكل واحد من أفراد تلك الفئة له أهداف، وطموحات، تختلف عن أهداف وطموحات الباقين. ولا يرتبط بالآخرين إلا من خلال، ما يجد فيهم من وسيلة ناجحة يمكن

استخدامها في سبيل تحقيق ذلك، وكذلك حين لا يكون ثمة أطروحة جامعة واضحة المعالم، أو كانت ولكن لا يوجد قدر كاف من الاستيعاب لها، والتفاعل معها، والانصهار بتعاليمها، ولا يريد أحد منهم أن يقدم في سبيلها شيئاً، بل يريدها هي أن تكون من أجله وفي خدمته، وأداة لتحقيق مآربه الشخصية، واذا لزم الأمر فلا مانع من التضحية بها في سبيل تلك المآرب.

وحين يكون كل واحد من الناس لا يعرف موقعه ولا حجمه، بل هو الذي يعطي الحجم لنفسه، ويستولي . إذا قدر . على جميع المواقع، أو على أي موقع تسنح له الفرصة وتواتيه الظروف للاستيلاء عليه.

وكذلك حين يكون مستوى الوعي متدنياً إلى حد لا يمكن لهم تمييز الخطأ من الصواب، والحق من الباطل، بل يصبح المعيار في ذلك هو الأهواء، والمصالح الخاصة، والانفعالات والعواطف، والطموحات والأماني..

وكذلك حين يكون التباين بين أفراد هذه الفئة هو الحاكم والمهيمن، فلا يجد أحدهم ولا يحس بشيء يربطه بأخيه، أو يدفعه لأن يتكامل معه..

وحين لا يكون من هو في الموقع القيادي قد جمع المواصفات المطلوبة، ولا حصل على درجة كافية من الإعداد، ولا بلغ ذلك المقام بصورة طبيعية، من دون طفرة، أو استئثار ظالم..

وحين يكون الجهل والتخلف، والترق، والأهواء، والانفعالات هو المهيمن على كل المواقف والحركات..

نعم.. إنه حين يكون الأمر كذلك، فلابد أن نتوقع لهذه الفئة كل شر وبلاء، وتعب وعناء، وأن تكون عرضة للزلازل الخطيرة، وللفجائع العظيمة.. مادام أنها لابد وأن تجد نفسها إما ألعوبة في أيدي أصحاب المهمات والخوات، والذين يملكون الثروة ومصادرها، والإعلام وأدواته، والسلطة وقواتها. ولا يحجزهم حاجز عن الظلم في سبيل الحصول على الأطماع، ولهم باع طويل في المكر والخيانة والخداع.

أو تجد نفسها قد أقدمت على أمور مهلكة، وتتخذ مواقف لا تنسجم مع منطق الحكمة والتعقل، وتندفع في متاهات ومنحدرات خطيرة، لا تستطيع الخلاص منها.

وذلك بسبب فقدان الوعي الكافي، وعدم التروي، وقلة التدبر، وعدم التفكير بالعواقب..

هذا كله بالإضافة إلى أنه: حين تتضارب مصالح الأفراد، وأهواؤهم، فإنهم لابد أن تحدث الانقسامات، والتباين فيما بينهم، إن لم ينته ذلك إلى التدابر والتناحر، وإلى التهاتر، والجدال والقتال..

ومن ذلك كله.. نعرف: أنه يفترض في أي باحث يريد دراسة حياة الأمم والمجتمعات والشعوب والفئات، ولكي يحصل على نتائج أقرب إلى الواقع أن يبحث في تركيبة ذلك المجتمع أو تلك الفئة، ويرصد كل تلك الحالات فيه وفيها، بدقة وأناة.

وذلك هو ما حدانا إلى الإشارة هنا إلى نبذة توضح لنا التركيبة الاجتماعية، والفئوية للخوارج، ولسوف يتضح: أن تأثير هذه التركيبة لم يزل يظهر بوضوح في مجمل مواقفهم، وحركاتهم، وحالاتهم، حتى

بالنسبة إلى تعاملهم مع بعضهم، فضلاً عن تأثير ذلك في عقائدهم، ومفاهيمهم، وفكرهم، وفقههم، وأدبهم، وغير ذلك..

فإلى ما يلي من مطالب..

العمريون و«الخوارج»:

قد تقدم في بعض الفصول: أن «الخوارج» كانوا معجبين جداً بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وكانوا يعظمونه أشد التعظيم، وقد أعلنوا في النهروان لعلي وأصحابه بالقول: لسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر بن الخطاب..

ولعل هذا القول قد صدر من عرب «الخوارج». الذين نالوا في عهد عمر ما لم يكن يخطر لهم على بال في مجال التفضيل على سائر القوميات، والانتماءات..

وقد وجدوا في تاريخهم معه: أنه يأمر عامله على الكوفة بأن يقرب دار ابن ملجم من المسجد، ليعلم الناس القرآن.. وابن ملجم هذا هو قاتل علي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه).. فهو إذن يتعاطف مع هذا المبغض والحاقد على علي (عليه السلام) كما أن هذا الخليفة بالذات هو الذي هاجم علياً وزوجته، فاطمة الزهراء (عليها السلام)، بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأسقط جنينها، وأهانها، وضربها الأمر الذي انتهى باستشهادها (صلوات الله وسلامه عليه)!..

فلا عجب بعد هذا إذا رأيناهم يتعاطفون مع ذرية عمر، وتتعاطف ذرية عمر معهم، حتى أن ولده عبد الله بن عمر كان يصلي خلف نجدة

الحروري، والحجاج..

وقد بايع أحد أحفاد عمر، الضحاك بن قيس الخارجي، وبقي والياً على واسط من قبل الضحاك هذا[1].

وقد مال عبد الله بن محمد [حفيد عبد الله بن عمر]، وابن حفيد عمر بن الخطاب إلى «الخوارج» أيضاً[2].

فيا سبحان الله. ذرية بعضها من بعض!!

تعقيب على سياسات عمر العنصرية:

ومن المعلوم: أن عمر بن الخطاب قد انتهج سياسات خاصة تجاه غير العرب.. تتمثل في تفضيل العرب عليهم في مختلف

الجهات.. ومنها العطاء، والإرث، والزواج، والمناصب، وحتى في الصلاة، والعبادة ثم في تشييع جنائزهم بعد موتهم.. وما إلى ذلك..

وقد لاقت هذه السياسات رضى لدى العرب، الذين أحبوا عمر لأجلها، وانقادوا له واتخذوه مثلاً أعلى، وأصبح قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع، بل ويؤوّل الشرع والدين ليتوافق مع ما يريده عمر، أو يميل إليه..

وقد أوضحنا هذه السياسات بصورة معقولة ومقبولة في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي»، فليرجع إليه من أحب التفصيل.

---

(1) الخوارج والشيعة ص102.

(2) الخوارج والشيعة ص109 عن تاريخ الأمم والملوك. ط ليدن ج2 ص1012.

ولأجل هذه السياسات وما نشأ عنها رجحنا أن يكون «الخوارج» الذين أحبوا عمر، وعظموه، هم خصوص العرب منهم.. أكثر من الموالي، الذين لم يكن لهم أي شأن في حكومة الذين سبقوا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانوا محرومين من أبسط حقوقهم.

«الخوارج» عرب وموالي:

ومهما يكن من أمر.. فإن ملاحظة تركيبة «الخوارج» تعطينا: أنهم كانوا في وقت ما خليطاً من الأعراب والموالي: «والموالي أشجع الخوارج، وأشدهم جسارة»[1] ولعل ذلك يرجع إلى حالة نفسية نشأت عن معاملة الفاتحين والمتسلطين للموالي قبله (عليه الصلاة والسلام). حيث كانوا يحتقرونهم، ويحرمونهم من أبسط الحقوق..

وعلى كل حال: فقد خرج أبو مريم على أمير المؤمنين (عليه السلام) «في أربع مئة من الموالي والعجم، ليس فيهم من العرب إلا خمسة من بني سعد، وأبو مريم سادسهم، فقضى عليهم أمير المؤمنين، ولم يسلم منهم سوى خمسين قد استأمنوا إليه، وأربعين من جرحاهم، داواهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأطلق سراحهم»[2].

بل لقد زعم الزيدية. وهم شعبة من الإباضية، كما يقال.: «أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، ويترل عليه كتاباً قد كتب في السماء. ويترل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى.

وهم يتولون المحكمة الأولى، والإباضية، ويبرؤون من غيرهم من

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص262 وراجع: الكامل لابن الأثير ج3 ص373.

(2) أنساب الأشراف. بتحقيق المحمودي ج2 ص486 وراجع: البحار. ط قديم ج8 ص570 والكامل لابن الأثير ج3 ص373 ونسب قريش لمصعب الزبيري ص486.

(1)

الخوارج» .

عصبية العرب «الخوارج» ضد إخوانهم:

ومراجعة التاريخ تعطينا: أنه قد كان بين هذين الفريقين من «الخوارج» . العرب والموالي . منافسة قوية، وعصبية عرقية طاغية، إلى درجة أنها تسببت بمشاكل كبيرة فيما بينهم.

ويكفي أن نذكر: أن الحرب التي دارت بين قطري بن الفجاءة ومن معه من العرب من جهة، وبين عبدربه الصغير، ومن معه من القراء، وجلّهم من الموالي والعجم، وكان منهم هناك . أي في مدينة «جيرفت» ثمانية آلاف . من جهة أخرى..

إن هذه الحرب قد أسفرت عن ألفي قتيل، وانتهت بإخراج العجم للعرب من مدينة «جيرفت». وأقام عبدربه بها، كما سيأتي في ما يلي من فصول[2] .

وقد يستفاد من بعض النصوص: أن عصبية العرب لجنسهم، كانت أشد وأعمق، وكانوا يحتقرون الموالي إلى درجة كبيرة[3] . والظاهر أن سبب ذلك هو شدة تأثير سياسات الخليفة الثاني فيهم، حيث كانوا يحترمونه، ويقدرونه كثيراً كما قلنا.

ومن شواهد ذلك ما روي من أن رجلاً من الموالي خطب امرأة

---

(1) الملل والنحل ج1 ص136 ومقالات الإسلاميين ج1 ص171 والفرق بين الفرق ص279 والحور العين ص175 وستأتي إنشاء الله مصادر أخرى.

(2) ستأتي مصادر عديدة لذلك، وراجع: الكامل في الأدب ج3 ص393 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص204.

(3) راجع: فجر الإسلام ص262 أيضاً.

خارجية، فقالوا لها: «فضحتنا»[1] .

وقد أنكر قطري بن الفجاءة أن يكون قد أفسد ابنه بشيء من هذه الأعاجم، ومن هذه السبايا، وقال مخاطباً جرموز المازني: «معاذ الله، أمه الوجناء بنت الجبناء..

ثم قال: يا جرموز، إن به العلامة التي بنا أهل البيت»يعني الوضح[2] .

وربما تكون عبارته الأخيرة تشير إلى وجود شك في انتساب ولده إليه كما لا يخفى.

الهمج والرعاع في «الخوارج»:

ومن جهة ثانية: فقد كان «الخوارج» حشوة، ومن رعاع الناس، ومن العبيد..

فقد قال جارية بن قدامة لأبي مريم: «ويحك، أرضيت لنفسك أن تقتل مع هؤلاء العبيد؟! والله، لئن وجدوا ألم الحديد ليُسلمِنكَّ»[3] .

وحينما أخرج عبدربه الصغير قطرياً من جيرفت، وصار برائهم، قال عبيدة بن هلال لقطري: «إن أقمت لم آمن، هذه العبيد عليك»[4] .

كما أن المهلب بن أبي صفرة، الذي حارب «الخوارج» في عهد الزبيريين والأمويين على حد سواء، قد «دسّ الجواسيس إلى عسكر «الخوارج»؛ فأتوه بأخبارهم، ومن في عسكرهم؛ فإذا حشوة[5] ما بين

(1) راجع: فجر الإسلام ص262 والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص69 عن مقالات الإسلاميين ج1 ص161و162 وفيه: أن ذلك هو سبب الخلاف الذي أحدثه نافع بن الأزرق.

(2) اليرصان والعرجان ص67و68.

(3) أنساب الأشراف [بتحقيق المحمودي] ج2 ص486.

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص204 والكامل في الأدب ج3 ص293.

(5) الحشوة: رذال الناس.

قصّاب، وصباغ، وداعر، وحداد؛ فخطب المهلب الناس؛ فذكر لهم من هناك، وقال للناس: أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم؟»[1].

وقال المهلب لعسكره في خطبة له أيضاً: «.. فألقوهم بجدٍّ وحد، فإنما هم مهنتكم وعبيدكم، وعار عليكم الخ..»[2].

ولما اختلف أمر الخوارج، قال المهلب لأصحابه في جملة كلام له: «..وإنما بين أيديكم عبدربه في خشارٍ من خشار الشيطان»[3].

ومما يصدق قول المهلب: أن زعماءهم كانوا من هؤلاء، فإن عبدربه الصغير، كان معلم كتاب، وعبدربه الكبير كان بائع رمان[4].

كما أن عبيدة بن هلال اليشكري، أحد زعمائهم، قد اتهم بامرأة حدادٍ كان يدخل عليها بلا إذن، فدبر هو وقطري بن الفجاءة الحيلة للخلاص من الورطة، فكان لهما ما أرادا[5].

فإذا كان الزعيم الكبير فيهم يتهم بامرأة حداد، فلابد أن يكون المحيط الذي يعيش فيه لا يستغرب ولا يأبى دخوله على بيت الحداد فيهم، فقد يدل ذلك على أن قياديهم كانوا في مستويات لا تبتعد كثراً عن مستوى الحداد، وبائع الرمان.

وحينما أرسل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) معقلاً لقتال

(1) الكامل للمبرد ج3 ص314 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص147.

(2) الكامل للمبرد ج3 ص316 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص148.

(3) الكامل للمبرد ج3 ص395 والعقد الفريد ج1 ص223 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص206.

(4) شرح النهج للمعتزلي ج4 ص204.

(5) راجع: الكامل للمبرد ج3 ص391 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص203 وقد ذكرنا هذا الحديث في فصل زهد الخوارج.

الخويت الخارجي، قال معقل لمن معه: «وأبشروا في قتالكم بالأجر، إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين، وعلوجاً كسروا الخوارج، ولصوصاً، وأكواداً»[1].

ويقول المؤرخون:

«اجتمع على الخويت الناجي علوج من أهل الأهواز كثير، رأوا كسر الخوارج، ولصوص، وطائفة أخرى من العرب، ترى رأيه، وطمع أهل الخوارج في كسره؛ فكسروه، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس الخ»[2].

وقد تحدثنا في فصل: «زهد الخوارج حقيقة أم خيال» عن أطماع الخوارج، وتأثرها في اندفاعهم في الحروب، واتخاذ المواقف القوية والصارمة.. كما أن في سائر فصول الكتاب شواهد أخرى تدل على واقع الخوارج، وحقيقة تركيبتهم، ومستوياتهم الفكرية، وطموحاتهم..

لحقوا بـ«الخوارج» فراراً من الحجاج:

وقد انضم إلى شبيب في بعض البلاد ناس كثيرون، بعضهم كان الحجاج يطلبهم بمال، أو تباعات [ثارات][3].

تركيبة «الخوارج» عند الجاحظ:

قال الجاحظ: «العلة التي عمت الخوارج بالنجدة، استواء حالاتهم في

(1) البداية والنهاية ج7 ص318 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص95.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص367 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص93.

(3) الخوارج والشيعة ص94.

الديانة، واعتقادهم أن القتال دين؛ لأننا حين وجدنا السجستاني، والخراساني، والجزري، واليمامي، والمغربي، والعماني، والأزرقي، منهم والنجدي، والإباضي، والصفري، والمولى والعربي، والعجمي والأعرابي، والعبيد، والنساء، والحائك والفلاح.. كلهم يقاتل مع اختلاف الأنساب، وتباين البلدان، علمنا: أن الديانة سوّت بينهم، ووفقت بينهم في ذلك»[1].

ونحن لا نوافق الجاحظ على زعمه: أن الديانة هي الباعث لهم على القتال، فإن الوقائع قد أثبتت: أن المطامع والأهواء قد كان لها تأثرها القوي في اندفاعهم في الحرب. بالإضافة إلى التهور والحماس من قبل أحداث تزهم الشعارات الواقة، وتستهويهم المظاهر الخادعة، ويهتمون باتخاذ المواقف الحادة.

وليس لديهم أحلام أي عقول تهيمن على سلوكهم، وتحدّ من طغيان الهوى، وتغلب دواعي الهياج، ولا توجد حدود وضوابط تحكم تصرفاتهم، وتضبط مواقفهم، وترشد حركتهم.

وتقدم وسيأتي بعض الحديث عن شجاعتهم إن شاء الله تعالى.

خلاصة لما سبق:

وبعد.. فإننا إذا أردنا تلخيص ما تقدم في نقاط جامعة، فإن النتيجة تكون هي أن «الخوارج» كانوا خليطاً من فئات شتى، ويمكن أن نجملها على النحو التالي:

وفقاً لما جاء في النصوص المتقدمة:

1. عرب.

---

(1) رسائل الجاحظ ج1 ص51.

2. عجم.

3. موالي.

4. عبيد ومهنة.

5. حشوة من الناس، ما بين قصاب.

6. وصباغ.

7. وداعر.

8. وحداد.

9. خشار.

10. معلم كتّاب.

11. بائع رمان.

12. علوج.

13. لصوص.

14. أكواد، سجستاني، خواساني، جزري، يماني، مغربي، عماني، والخ..

15. شباب أحداث.

16. أعراب جفاة.

17. مطلوبون بمال.

18. مطلوبون بثارات.

19. حائك.

20. فلاح.

الفصل الثالث

مزات.. وخصائص

الغباء.. والسطحية:

وبعد.. فإن نظرة فاحصة على بعض ما كان للخوارج من ممزات وخصائص؛ تجعلنا نخرج بحقيقة: أنهم كانوا، حتى بعد مرور عشرات بل مئات السنين لايزالون أعواباً جفاةً، يهيمن عليهم الجهل. والأمية والقسوة، ومن سماتهم الغلظة، والجفاء، ويتميزون بسذاجة وسطحية، جعلتهم يفقدون المناعة الكافية في مقابل خصومهم، الذين وُجِد فيهم من يعرف كيف يستغل هذه الجهالة وتلك السذاجة، ويستفيد من تلكم السطحية؛ كحربة ماضية، وسيف قاطع ضدهم، فقوى المهلب كان يكثر من الأكاذيب، التي تفوق كلمتهم، وتشتت شملهم حتى عرف بذلك[1] وحتى ليقول الزمخشري:

«راح يكذب، لقب المهلب، لأنه كان يضع الحديث أيام «الخوارج»، فإذا رأوه قالوا: راح يكذب.

قال وائلة السدوسي:

أعور مشؤوم يخالف قوله كما وصفوه: إنه راح يكذب[2]

(1) راجع: ترجمة المهلب في: وفيات الأعيان ج2 ص146 وفي تهذيب التهذيب ج10 ص330 والكامل للمبرد ج3 ص319/318 والإصابة ج3 ـ ص36 وتقريب التهذيب ج2 ص280.

(2) ربيع الأوار ج2 ص369/370 وراجع: فجر الإسلام ص261 عن شرح نهج البلاغة

=>

نعم.. هذا هو حالهم، مع ان من شأن المواجهة الطويلة مع الخصوم أن تصقل الفكر العقائدي لأية فرقة كانت، وتؤثر على سلوكها، وأخلاقياتها، وتركز فيها .ولو شكلياً . حالة من النضج التنظيمي، والسلوكي، والفكري والسياسي، وإدراك المنعرجات السياسية.. ولكن «الخوارج» لم يدخلوا تحت هذه القاعدة؛ حيث إنهم،رغم تطاول الزمن عليهم، ومرور عشرات بل مئات السنين على ظهورهم، لم يسجلوا تقدماً يذكر في أي من هذه المجالات..

لا جامعة فكرية أو عقائدية:

ومن جهة أخرى.. فإن من المعلوم والواضح: أن «الخوارج» لم تكن تجمعهم أصالة فكرية عقائدية، لعدة أسباب وعوامل، نذكر منها:

1. إنهم كانوا شكاكاً.
2. . إنهم كانوا أصحاب أطماع دنيوية، وإن كانت ملونة بلون الإيمان وملبسة بلباس الدين.
3. . إن الشيطان قد غوهم، وزين لهم المعاصي.
4. . إن الشيطان قدزين لهم أنهم ظاهرون ومنتصرون.
5. إنهم محكومون لعصبياتهم القبلية، ولمفاهيمهم الجاهلية.
6. . إنهم خيابون عيابون، حسبما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام).
7. . إنهم كانوا أخلاطاً من الناس، لا تجمعهمرابطة،ولا يهيمن عليهم سلطان.

=>

للمعتولي ج1 ص386 ومصادر ذلك كثيرة، ولذا فلا حاجة إلى إيرادها.

8. إن مواقفهم كانت عفوية، ومرتجلة، لم يكن يسبقها تخطيط دقيق، لأنها كانت في الأكثر استجابة لحالات من الحنق والحقد، الذي أعمى بصائرهم قبل أبصارهم.
9. . ثم هناك حالة الجفاء والغلظة التي كانت تقلل من فرص التفاهم والانسجام فيما بينهم.
10. . يضاف إلى ذلك جهلهم الذريع، وأميتهم القاتلة، فلم يكونوا يستضيئون بنور العلم،ولا يستندون إلى ركن وثيق.

وهذا ما جعل الشعارات الواقة تستهويهم، وتدفع بهم إلى مزيد من التصلب والجرأة.وإن كانوا لا يفقهون كثيراً مما ترمي إليه تلك الشعارات، وليس لديهم القوة على التعمق فيها،ولا على مناقشتها.

ويكفي أن نذكر: أنه قد «ظل صوت التحكيم يتردد في سماء معارك «الخوارج»، ويردده شعراؤهم، بعد أن استحوذ على عقولهم ومشاعرهم طوال العصر الأموي. فكانوا يشحنون به حماس عساكرهم، ويلهبون عواطف أصحابهم في كل موقعة،

(1)

وعند كل لقاء» .

ولكن، هل درسوا هذا الشعار؟!

وهل فهموا ما قاله علي (عليه السلام) وأصحابه لهم حوله؟!

وهل أعدوا أجوبة على تلك النقوض التي أوردوها عليهم..

هذا ما لم يكن أبداً.

فكل تلك الأمور، وسواها مما لم نذكر تجعلنا نفهم بعمق حقيقة أنه لم يكن يجمعهم جامع فكري، يحقق لهم أدنى حالة من الانسجام

([1]) الخوارج في العصر الأموي ص257.

في مفاهيمهم، ولا كان يهيمن عليهم أصالة فكرية أو عقائدية تفيد في صقل شخصيتهم الإنسانية الفاعلة والمؤثرة في صياغة حياة اجتماعية أو دينية أو سياسية معقولة أو مقبولة.

بل إن ملاحظة تركيبهم، وخصائصهم، وواقعهم لا تدع مجالاً للشك. في أنه لم يكن ثمة تقارب في الأغراض والمآرب التي كانوا يتوخون تحقيقها في مجمل مواقفهم وحركاتهم.

ولأجل ذلك، ثم بسبب التدني الفاضح في مستوى وعيهم، كان من الطبيعي أن تكثر الانقسامات بينهم، فسرعان ما يتفرقون شيعاً، وأحزاباً لأتفه الأسباب[1].

حتى إنهم حينما حكّموا في صفين سأل عنهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقيل له: «القراء.

فقال: بل هم الخيابون العيابون»[2].

وحينما كتب نافع إلى ابن إباض، وابن الصفار يدعوهما ومن معهما إلى مقالته، لم يقرأ ابن الصفار كتابه على أصحابه، خشية أن يتفرقوا، ويختلفوا. فلما قرأه ابن إباض وقع الخلاف بينه وبين ابن صفار[3].

ويقول آخر: «لم تكن للخوارج قط. كما رأينا. أية وحدة حقيقية في أعمالهم السياسية، أو العسكرية. ولم تكن لهم كذلك مجموعة متسقة من المبادئ. وتظهر لنا مذاهبهم وكأنها آراء خاصة[4].

---

(1) فجر الإسلام ص261 وراجع ص259 وراجع: ضحى الإسلام ج3 ص333.

(2) المصنف للصنعاني ج10 ص150.

(3) الكامل في التاريخ ج4 ص168 والعقود الفضية ص123.

(4) دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص474.

ويقول البعض: عوف «الخوارج» بعصبيتهم العربية، فقد انتشر مذهبهم في القبائل العربية التي كان لها نزاع مع القبائل المضرية، وكان معظمهم من عرب البادية العربيين. وقد عرفوا بالتعصب والحماسة، والإندفاع السريع في آرائهم. كما عرفوا بتمسكهم بظواهر الألفاظ، لا يتجاوزونها إلى المرمى والموضوع، وعرف عن «الخوارج» أيضاً التشديد في العبادة، وبالإخلاص الشديد لعقيدتهم، والشجاعة في حروبهم، وكانوا كثيراً ما يختلفون. ولعل هذا هو السبب في إخفاقهم في كثير من المعارك رغم شجاعتهم»[1].

أضف إلى ذلك: «.. أن «الخوارج» لم يكونوا يحتملون السلطة عليهم مدة طويلة»[2].

مواصفات «الخوارج» بنظر البعض:

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد: أن البعض قد أجمل بعض خصائصهم وصفاتهم بقوله: «كان في جملة الخوارج لدد، واحتجاج، على كثرة خطبائهم وشعرائهم، ونفاذ بصيرتهم، وتوطين أنفسهم على الموت»[3].

وقال آخر: «فهم كثيرو الخلاف على الرؤساء، كثيرو التفرق شيعاً وأحزاباً، محدودو النظر، ضيقو الفكر في نظرهم إلى مخالفيهم. وهم مع ذلك شجعان إلى أقصى حدود الشجاعة، صرحاء في أقوالهم وأفعالهم..

إلى أن قال: ثم هم لغلبة بداوتهم أبعد عن التطور الديني والعلمي،

---

(1) الخوارج عقيدة، وفكراً، وفلسفة ص54و55 بتصرف وتلخيص.

(2) الخوارج والشيعة ص72.

(3) الكامل في الأدب ج3 ص220.

والاجتماعي..

إلى أن قال: وظلت حياتهم في معيشتهم، ونظرتهم للحياة، وحروبهم، ونحو ذلك حياة بسيطة بدوية، لم تتغير كثيراً بتغير الزمان»[1].

ونقول: إننا لا نوافق على بعض ما ذكروه، ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

1. قول المبرد: كان في جملة الخوارج لدد واحتجاج.. لا يصح إذ أن هذا اللدد والاحتجاج قد ظهر مدى ضعفه حين اثار أمير المؤمنين (عليه السلام)، وابن عباس وصعصعة وغيرهم القضايا معهم، وحاججوهم فيها.

إلا أن يكون مراده: أن حجتهم على الأمويين كانت ظاهرة وموفقة وقوية.

ولكنه أمر غير صالح للتنويه به، فإن حال الأمويين في الفساد والإفساد أظهر من الشمس وأبين من الأمس، وإن أي إنسان يتهيأ له أن يفصح عن مراده في شأنهم، فإنه سيكون ظاهر الحجة عليهم، ولسوف يخصمهم، ويثبت فساد طريقتهم، وعوارها.

على أن ما أثر عن «الخوارج» من خطابة وشعر واحتجاج، لا يحمل في طياته معاني متميزة، ولا يعبر عن واعية خاصة، تنتج لهم الحجج والمعاني، وتظهر لهم المعاني القرآنية، أو تشير إلى تعمق مّا في أمور الفقه، وفي حقائق الدين

والإيمان، أو التاريخ أو ما إلى ذلك.

بل هي مجرد عفوية وبداهة الإنسان العربي، والرجال البدوي، الذي لا يحمّل كلامه شيئاً لافتاً من المعارف واللطائف، بل تجد فيه بعض

(1) ضحى الإسلام ج3 ص333و332 وراجع: فجر الإسلام ص259 و261 و263 و264.

الجماليات العفوية التي تختزنها حياة أعراب البادية، أو حماس رعاع لا عهد لهم بالمكارم، والمآثر.. قد وجدوا المرأة على المباهاة ببطولات صنعها لهم حب المقاومة، القائم على أساس تبييت الخصوم، وتوجيه ضربات خاطفة، يعقبها الإمعان في الهرب، والتحاشي للاشتباك المباشر، الذي غالباً ما ينتج لهم مر الهزيمة، والخيبة الأليمة.

2 .وحديث المرد: عن نفاذ بصيرتهم، وعن توطينهم أنفسهم على الموت، وحديث غيره عن شجاعتهم هو الآخر حديث مبالغ فيه، أو غير مفهوم على حقيقته على الأقل، فأين كانت شجاعتهم وقد كانوا . فيما يذكره أكثر المؤرخين . أربعة آلاف فارس في النهروان. ويقابلهم مثلهم تقريباً في جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان غير راغب كثيراً في مواجهتهم، وهم كانوا مستميتين؟!.

نعم.. أين كانت هذه البصيرة، وتلك الشجاعة، وذلك التوطين آنئذ؟! وكيف قتلوا بأجمعهم، ولم ينج منهم عشرة، ولم يستشهد من أصحاب علي (عليه السلام) عشرة؟! وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وسيأتي إن شاء الله بعض الحديث عن شجاعتهم المزعومة في فصل مستقل.

3 .وعن نفاذ بصيرتهم نقول: قد تقدم بما لامزيد عليه: أنهم في حربهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) كانوا شكاكاً، لا يملكون حجة، ولا يهتدون سبيلاً.

4 .وأما عن صراحتهم إلى أقصى حدود الصراحة، فقد تقدم كيف أنهم يتسترون على علاقة أحد زعمائهم بامرأة حداد.. وقد ذكرنا في هذا الكتاب الشيء الكثير مما يدل على ممارساتهم للتقية إلى حدود

مشينة. وسيرة عمران بن حطان خير شاهد على ما نقول. وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعضاً من فصولها..

بداوة «الخوارج»:

أما فلهوزن فيحاول هو وغيره إنكار بداوتهم، واعتبار هجرتهم إلى المدن كافية في نزع هذه الصفة عنهم، وصيرورتهم حضريين[1].

ولكنه غفل عن أن ذلك بمجرده لا يكفي في تغيير طبيعتهم وعقليتهم، ما لم يصل إلى حدّ التفاعل والانصهار في المجتمع الجديد، وليتبدل جهلهم إلى علم، وقسوتهم وشدتهم بالمرونة واللين، إلى غير ذلك مما لا مجال لذكره..

التقليد والمحاكاة:

هذا.. ولم يكن للخوارج تلك الأصالة الراسخة أو الاستقلالية الفكرية، بل كانوا يتخذون سبيل التقليد والمحاكاة حتى لعدوهم..

يقول ابن رسته: «أول من حذف الدواب يزدجرد، حين ورد أصبهان قاصداً لخراسان مرّ بحرج وكانت الدواب تزحم فيه، وتتعلق أذنابها بالطين فحذفها، ثم حذف المهلب بن أبي صفرة في محاربة «الخوارج»، فنظرت إليه «الخوارج»، وحذفوا أيضاً دوابهم»[2].

وقد قدمنا: كيف أنهم كانوا يحاولون تقليد ومحاكاة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في أحواله وأعماله، فتجدهم يصدرون التعليمات بعدم

---

(1) راجع: الخوارج والشيعة ص33 وقضايا في التاريخ الإسلامي.

(2) الأعلاق النفيسة ص199.

البدأة بالقتال، مع أنهم في عامة حروبهم، وجل انتصاراتهم قد اعتمدوا فيها على عنصر البيات للعدو، ومهاجمة جنده، وهم غارون، ثم يعمدون إلى الفرار إلى جهة لا يتيسر معرفتها أو الوصول إليها بالسرعة المطلوبة، ولاسيما لجيش منظم يحمل أثقالاً مرهقة، تعجزه عن اللحاق بعصابات من الناس؛ تعمل على قاعدة اضرب واهرب. ولهم أيضاً حالات أخرى من التقليد والمحاكاة له (عليه السلام) في أمور لا تخرج في مضمونها عن هذا السياق الذي ذكرناه.

الفصل الرابع

شجاعة الخوارج

شجاعة «الخوارج»، وسر بعض انتصاراتهم:

لقد عرف «الخوارج» بالشجاعة والإقدام، وبالصراحة في أقوالهم واعمالهم[1]. كما زعموا. وكان الموالي. كما تقدم. أشجع «الخوارج» وأشدهم جسارة.

كما أن الملاحظ هو: أن خوارج الكوفة أقوى شكيمة، وأشد مراساً من خوارج البصرة[2].

وقد ذكر الجاحظ للخوارج امتيازات في حروبهم، وهي التالية:

1. صدق الشدة عند أول وهلة.

2. إنهم يصبرون على طول السرى، بحيث لا يظن أن أحداً يقطع تلك المسافة في ذلك المقدار من الزمان؛ فيفاجئون عدوهم، وهم غارون، فيوقعون بهم.

3. إن ضرب المثل بهم واستشهادهم بالقتل يرعب غيرهم.

(1) ضحى الإسلام ج3 ص332 وراجع فجر الإسلام ص263/264.

(2) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص124 عن الخربوطلي في كتابه: تاريخ العراق ص92.

4. إنهم لا سلب لهم، لرغب الجند في لقائهم، أو يثقل حركتهم في التنقل، كما هو الحال في جند غيرهم.

ولكن «الخوارج» إذا ولّوا فقد ولّوا، وليس لهم بعد الفرّ كرّ، إلا ما لا يعد. و«الخوارج» والأعراب. والخوارج منهم. ليست لهم رماية على ظهور الخيل[1].

5. ويعرف عنهم قوتهم على كثرة الركض[2].

وزعموا أنهم يسيرون في ليلة ثلاثين فرسخاً وأكثر[3].

نعم.. إن ذلك هو بعض ما اعتبروه اسباباً فيما سجلوه من انتصارات على بعض الجيوش التي كانت تتصدى لحربهم.

«الخوارج» ليسوا شجعاناً:

ولكننا بدورنا نشك فيما يذكرونه من شجاعتهم، فإنهم كانوا طامعين بالدنيا، محبين للحياة، حتى إن فارسهم قطري بن الفجاءة قد اعترف في شعر له بما اصابه من خوف شديد من خصمه المهلب بن أبي صفرة[4].

ويعترف عمرو بن الحصين بخذلانه لأصحابه، فيقول:

كم من أولي مقةٍ صحبتهم شروا فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب[5]

وقال آخر منهم كان قد خذل أصحابه:

(1) رسائل الجاحظ ج1 ص41 ـ 46.

(2) المحاسن والمساوئ ج2 ص391.

(3) المحاسن والمساوئ ج1 ص217 وفي هامشه عن المحاسن والأضداد ص129/130.

(4)راجع: الخوارج في العصر الأموي ص286.

(5) الخوارج في العصر الأموي ص281.

إخوان صدق أرجيهم وأخذلهم أشكوا إلى الله خذلاني لأصحابي [1]

وقال زيد بن جندب في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة:

قل للمحلين قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناساً على دين ففرقنا طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم عن الجدال وأغناهم عن الخطب

إني لأهونكم في الأرض ما لي سوى فرسي والرمح من نشب [2] مضطرباً

وحين حبسهم زياد بن أبيه، قبلوا بأن يقتل بعضهم بعضاً، مقابل أن يخرجهم زياد من السجن، وهكذا كان، ثم ندموا، وأخذوا يبكون على ما فعلوه بإخوانهم. ثم عرضوا الدية والقود على أولياء المقتولين، فرفضوا [3].

هذا كله.. عدا عن طلبهم الأمان من أعدائهم. واستوحامهم [4].

بل إن التحكم في صفين قد كان سببه أن الحرب طالت عليهم، واشتد البأس، وكثرت الجراح، وحلا الكراع [5].

(1) المصدر السابق.

(2) البيان والتبيين ج1 ص42 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص205 والكامل في الأدب ج3 ص394 ونسب الأبيات فيه إلى الصلت بن مرة.

(3) الكامل في التاريخ ج3 ص516/517 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص144 وراجع: العقود الفضية

ص108/109 لكنه زعم أن زياداً قد سجن الأحوار والموالي، ثم فتن بينهم فقتل الأحوار الموالي.

(3) مع وجود الفتنة لابد من حصول القتل في الطرفين لا في جانب واحد.

(4)راجع: الخوارج في العصر العباسي ص22 و123 و285 ونقل أيضاً الكامل في التاريخ، ج3 ص417 و418.

(5)راجع: بهج الصباغة ج7 ص161 عن ابن دينيل في صفين، وتقدمت مصادر أخرى لذلك في بعض

وحين نادى الحجاج في أصحاب شبيب: «من جاء منكم فهو آمن..» كان كل من ليست له بصيرة في دين «الخوارج» ممن هوّه القتال وكرهه ذلك اليوم يجيء فيؤمّن.

وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب: «من جاءنا فهو آمن. فتفوق عن شبيب ناس كثير من أصحابه»[1].

شهرة فرار «الخوارج» في الحروب:

وفي بعض المواقع طلب عمرو القنا من أصحابه أن لا يتوجلوا،ولا يعقروا دوابهم فقالوا له: «إنا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار»[2].

وفرارهم في المواقف الصعبة مشهور عنهم[3].

وقد قيل فيهم: إنهم إذا ولّوا فقد ولّوا، وليس لهم بعد الفرّ إلا ما لا يعد[4].

مع أن الفرار عندهم يوجب الكفر.

وقد قال البهلول الشيباني يحمس المتخاذلين الخائفين من الموت منهم بقوله:

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجل

(1) شرح النهج للمعتزلي ج4 ص272 وتاريخ الأمم والملوك ج6 ص277 ط دار المعارف بمصر.

(2) الكامل في الأدب ج3 ص402.

(3)راجع: الكامل في الأدب، ج3 ص185 و337 و364 و365 و343 و348 و325 و396 و402 و330 و331 و335 والعقود الفضية ص220 والأغاني ط ساسي ج20 ص109و113 والبرصان والعرجان ص176 والعقد الفريد ج1 ص220و221 وشرح النهج للمعتزلي ج5 ص101و121 وج4 ص271و166 والخوارج والشيعة ص96 و101.

(4) الحيوان للجاحظ، ص41 . 46.

وكان أصحاب قطري بن الفجاءة يخشون أن يلبسهم العار من كثرة هروبه من وجه المهلب، حتى خاطبه أحدهم بقوله:

أيا قطري الخير إن كنت هارباً ستلبسها عاراً وأنت مهاجر

إذا قيل: قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر

فحتى متى هذا الفرار مخافة وأنت وولي الهلب كافر [1]

وقد تقدمت أبيات زيد بن جندب وفيها:

قل للمحلين: قد قرت عيونكم بفوقة القوم والبغضاء والهرب

وتقدم بعض شعر عمرو بن الحصين وغيره في ذلك.

العدة والعدد لدى «الخوارج»:

ونحن لا ننكر ظهور بعض نفحات الشجاعة فيهم، وأنهم قد حققوا أحياناً بعض الانتصارات، بسبب إقدامهم، ونكول خصومهم عنهم. وهي أمور طبيعية، ولها أسبابها الموضوعية والمعقولة، خصوصاً في حالات تبييت العدو، مع عدم وجود دوافع قوية لدى الناس لحربهم لأكثر من سبب كما سنرى.

نعم.. إننا لا ننكر ذلك، غير أننا نقول إن «الخوارج» كانوا يخفقون في تحقيق النصر حتى وهم يملكون مقوماته من العدة والعدد، فقد أظهر تاريخهم: أنهم كانوا يحصلون على الأموال اللازمة من جباياتهم للبلاد التي كانوا يسيطرون عليها [2].

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص275.

(2) راجع: الكامل للمبرد . الجزء الثالث ص239 وغيرها.

وتقدم: أن الجاحظ يذكر: أن قطري بن فجاءة كان يشتري السيف بعشرين ألف درهم.

ومما يشير إلى: حسن استعدادهم، وتوفر مقومات العمل العسكري الذي من شأنه أن يحقق لهم انتصارات قوية، قول المؤرخين عن حرب المهلب وقطري بن الفجاءة: «فخرج إليهم المهلب، فلما أحسّ به قطري يمم نحو كرمان. فأقام المهلب بالأهواز. ثم كرّ قطري عليه، وقد استعد؛ فكان «الخوارج» في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم، بكثرة السلاح، وكثرة الدواب، وحصانة الجُنَنِ، فحاربهم المهلب، فنفاهم إلى رام هرمز» [1].

فترى: أنهم رغم كونهم أحسن عدة؛ فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق النصر، بل كانت الهزيمة من نصيبهم.

وفي مورد آخر: شخص إليهم عمر بن عبيد الله إلى أرجان، وكان عليهم الزبير بن علي السليطي، فقاتلهم، وألح عليهم

حتى أخرجهم عنها، فألحقهم بأصبهان، فجمعوا له، وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور، فسار إليهم عمر بن عبيد الله، فقاتلهم، وهزمهم أيضاً[2]، ثم لقيهم مرة أخرى فهزمهم كذلك.

وهذا ما يجعلنا نبحث عن أسباب تلك النفحات في غير هذا الاتجاه، فما هي يا ترى:

---

(1) الكامل في الأدب ج3 ص347و348.

(2) راجع: الكامل في الأدب ج3 ص335 . 337.

اسباب بعض نفحات الشجاعة فيهم:

ونستطيع أن نذكر من أسباب ذلك:

1. أنهم كانوا يخوضون حروبهم غالباً على قاعدة اضرب واهرب. فكانوا يباغتون عدوهم . خصوصاً بالليل، وهو ما يسمونه بالبيات، فيضربون ضربتهم، ثم ينحسرون عن ساحة القتال، بل عن المنطقة كلها بسرعة، فائقة قبل أن يتمكن عدوهم من التقاط أنفاسه، وإعادة تنظيم صفوفه، هذا بالإضافة إلى ما كانوا يقومون به من عمليات اغتيال مؤثرة[1] تثير الرعب والخوف لدى عامة الناس.

بل لقد أطلقوا على المهلب لقب الساحر[2]، حين رأوا أنه قد أفشل بحذره وتدبره خططهم، ولم يقع في مأزق البيات، وجعلهم غير قادرين على تحقيق نصر يذكر، إذن فلم يكن لهم انتصارات كبيرة، يمكن نسبتها إلى تأثير عنصر الشجاعة فيهم.

بل كانوا يمنون بالهزائم المتتالية، كما تقدمت الإشارة إليه في الأشعار التي يخاطب فيها ذلك الرجل قطري بن فجاءة. وكما تدل عليه الوقائع التاريخية، التي تظهر هزائمهم المتتالية في مقابل المهلب، وفي مقابل عمر بن عبيد الله، وغير ذلك.

2. قد كانت هناك اتهامات متبادلة، فيما بين أجهزة السلطة التي تحارب «الخوارج» تتمحور حول أمر واحد، وهو أن يكون ثمة تعمد لمطاولتهم في الحرب من قبل قادة الحرب باعتبار أن قتالهم اصبح سبباً للشهرة، وللحصول على المال.

---

(1) راجع: كتاب الحيوان للجاحظ ج1 ص41 فما بعدها.

(2) الكامل للمبرد ج3 ص351 وفيه: لأنهم كانوا يدبرون الأمر، فيجدونه قد سبق إلى نقض تدبيرهم .وراجع ص341.

وقد قال عبد بن صبح للمهلب حين وجه ولده المغيرة إلى قتالهم فارس: «أيها الأمير، إنه ليس رأي قتل هذه الأكلب، والله، لإن قتلتهم لتقعدن في بيتك، ولكن طاولهم، وكُلْ بهم...»[1].

وكان الحجاج يتهم المهلب بن أبي صفرة بذلك، فقد كتب إليه يقول له:

«إنك لتحب بقاءهم لتأكل بهم»[2].

وكتب إليه أيضاً: «ولكنك اتخذت أكلاً، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم»[3].

[4]

ويمكن تأييد هذه الحقيقة بما يظهره التاريخ من حسد، ومن منافسات على مقام تولي قتالهم، ليفوز بالمقام وبالسمعة، وبالموقع، وما إلى ذلك.. فراجع.

3 . قد كانت هناك جماعات يتم إجبارها على قتال «الخوارج»، دون أن يكون لديها قناعة في حرب كهذه، لأن «الخوارج» كانوا يرفعون شعار الاعتراض على الحكام في ظلمهم للناس، وجورهم، ومخالفاتهم لأحكام الدين، ويتظاهر «الخوارج» بالعبادة والزهد، والعزوف عن الدنيا، ويركزون على هذه النواحي في أشعارهم وخطبهم، ومجادلاتهم، فكان لذلك تأثيره في بعض الناس، من حيث إنه يقلل من حدة الاندفاع إلى قتالهم، بل هو يثير في الكثيرين ميلاً إلى مسالمتهم، بل والإنضواء تحت لوائهم،

---

(1) الكامل في الأدب ج3 ص365.

(2) الكامل في الأدب ج3 ص373.

(3) الكامل في الادب ج3 ص377.

(4) راجع: الكامل في الأدب ج3 ص353و358و359 وراجع أيضاً، ص 362 و363 و364 ففيها نصوص تدل على ذلك.

لحرب الأمويين، ومن شواهد ذلك أن أحد زعماء «الخوارج» وهو عبد الله بن يحيى: «رأى في اليمن جوراً ظاهراً، وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة.. فجمع أصحابه وبادر إلى محاربة الحاكمين»[1].

4 . إن الناس لا يرون في الأمويين وفي غيرهم من الحكام باستثناء علي (عليه السلام) وأهل بيته من وما يستحق التضحية معه بالنفس، ولا يجدون ريح الشهادة في حربهم للخوارج، والتعرض لسيوفهم. فلا توجد دوافع قوية ولا حتى ضعيفة لدى الكثيرين في هذا الاتجاه.

5 . قد عرف عن «الخوارج» عدم مبالاتهم بما يرتكبونه من جرائم، وإنه ليس لديهم ما يحدّ من اندفاعهم في هذا الاتجاه، بل تجدهم قد حاولوا تشريع ذلك، وتأصيل أصول عقيدية من شأنها أن تحتم عليهم التعاطي بهذا المستوى من العنف، وتسهّل عليهم سفك الدماء، دون أن يكون لديهم أية روادع إيمانية أو إنسانية، أو وجدانية وضميرية، بل هم يرون أن تنكيلهم بخصومهم حتى بالنساء والأطفال عبادة يثابون عليها، وتدخلهم الجنة زعمهم.

وعلى كل حال: فإن نظرة فاحصة لمنطلقاتهم الفكرية تعطي أنهم لا يملكون أية ثوابت تحدد لهم اتجاه مسيرة تعاملهم مع الآخرين. بل هي مجرد لمعات تطلقها مشاعر من الهوى والعصبية، تتضح بالجهل، وتتسم بالارتجال، وتفيض بالجفاء والغلظة، وتتسربل بالبداوة والأعرابية، فيرتكبون جرائمهم، باندفاع، ويتظاهرون بالرضا، وبالاقتناع بذلك.

وأما الذين يحاربون «الخوارج» فهم في غالبيتهم من عامة الناس

---

(1) الأغاني ط ساسي ج20 ص97 وج6 ص149 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص106.

العاديين الذين يريدون التصدي لحربهم، فتحكم حركتهم المبادئ، وقيم أخلاقية، وإنسانية، وتكليف شرعي، وقيود وحدود.

وعلى الأقل لم تصبح الجريمة هي القيمة لديهم، وهي الفرض الشرعي عليهم، وإن كان حكامهم الذين يسوقونهم لهذه الحرب عتاةً وطغاةً وجبارين، لا يرجعون إلى دين، ولا ينطلقون من ضمير أو وجدان.

ومن الطبيعي أن تكون حركة هذا النوع من الناس محدودة.

وهم حتى لو طلب منهم حكامهم ممارسة هذا النوع من الجريمة، فسيجدون في أنفسهم الكثير من الحرج والتردد في امتثال الأوامر التي يصدرونها إليهم.

وحين تدور رحى حرب بين فريقين، لهما هذه النظرة المختلفة، فإن الفريق الأول سيكون جارحاً ومؤذياً في الفريق الثاني نفسياً وروحياً، حتى على صعيد الانطلاق في حركة المواجهة على أرض الواقع.

وقد أشار المهلب إلى هذا الأمر حين خطب أصحابه محرضاً لهم على قتال عدوهم، فقال: «قد عرفتم مذهب هؤلاء «الخوارج»، إنهم وإن قدروا عليكم فتنوكم دينكم وسفكوا دماءكم»[1].

ويتعمق الشعور بالعقدة لدى هذا الفريق الثاني، حين يفرض عليه أن يحارب إخوانه، وأبناء عشيرته، وقومه، ولن يجد في نفسه ذلك الاندفاع القوي نحو ذلك.

أما الفريق الآخر، فهو قد تجاوز موضوع النسب والعشيرة، حين انساق وراء تصورات اعتبرها عقيدة لنفسه،

(1) الكامل في الأدب ج3 ص315.

فرضت عليه الحكم بكفر الطرف الآخر، ولزوم التخلص منه.

ومما يشير إلى وجود العقدة العشائرية: ما ذكره المبرد من أن «الخوارج» قاتلوا خصومهم يوماً إلى الليل، دون كلل أو ملل، ثم قالوا: من أنتم؟!

قالوا: تميم.

قالت «الخوارج»: ونحن بنو تميم.

فلما امسوا افترقوا.

وفي اليوم التالي تقاتل فريقان حتى اعتموا، فقالت «الخوارج»: ارجعوا.

فقالوا: بل ارجعوا أنتم.

فقالوا: ويلكم من أنتم؟

فقالوا: تميم.

[1]

قالوا: ونحن تميم .

6 . إن «الخوارج» كانوا . في الأكثر . من القبائل العراقية، التي تعتبر رابطة الدم هي الأقوى. وكان الحجاج، وغيره من الحكام يمارسون ضغوطاً على الناس ليدفعوهم إلى حرب إخوانهم..

يضاف إلى ذلك: عوامل أخرى كانت تفرض عليهم هذه الحرب، مثل دفع شرهم. أو لأجل الحفاظ على تجارتهم، وزراعتهم. أو تزلفاً وطمعاً. وقليلون جداً أولئك الذين كانوا يحاربونهم تديناً، أو إيماناً

---

(1) راجع: الكامل للمبرد، ج3 ص375 و376.

بلزوم تثبيت العرش الأموي.

ومما يشهد لما ذكرناه: النصوص الدالة على أن قتال أهل البصرة لهم، ومساعدة التجار للمهلب بالأموال قد كان بهدف الحفاظ على تجارتهم، بسبب انقطاع مواد الأهواز وفارس، فراجع [1].

وقد كان اندفاعهم أحياناً لحرب «الخوارج»، بسبب الخوف منهم كما هو الحال في عهد يزيد، وابن الزبير [2].

وشاهد آخر: وهو أننا نجد أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقول لهم: «أفتذهبون إلى معاوية، وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ديلركم وأموالكم؟!» [3].

وإن كنا نجد نصاً آخر يفيد: أنه (عليه السلام) يرى قتال معاوية أهم فقد جاء عنه (عليه السلام) أنه قال: «بلغني قولكم: لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا؛ فبدأنا بهم، إلا أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً، ودعوا ذكر «الخوارج»، قال: فنادى الناس الخ...» [4].

---

(1) راجع على سبيل المثال: الكامل للمبرد ج3 ص312و313 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص146و181.

(2) الأخبار الطوال ص270و271.

(3) المصنف ج3 ص148 ، والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص170 عن صحيح مسلم، وتيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب ص35، وكنز العمال ج11 ص280 ورمز إليه بـ [عب، ما، وخشيش، وأبو عوانة، وابن أبي عاصم، ق].

(4) الإمامة والسياسة ج1 ص145.

ونقول:

لعل هذا القول منه (عليه السلام) قد كان بعد قتل «الخوارج» في النهروان، ولم يعد للخوارج أي شأن، وصاروا يخرجون على شكل شراذم ضعيفة، وغير قادرة على تحقيق نصر يذكر، وبإمكانهم دفعها بأعداد يسيرة.. فكان الناس يتخذون ذلك ذريعة للتهرب من التوجه لما هو أهم، وخطره أعظم. ولكنهم حينما نجم قرن الشيطان، وظهر «الخوارج»، وصاروا يفسدون في الأرض.. حاول أهل الكوفة أن يحسموا أمرهم، ويدفعوا غائلتهم، فكان أهل الكوفة يصرون على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبدأة بـ«الخوارج»؛ لأنهم لا يستطيعون أن يسيروا إلى حرب معاوية، ويبقى هؤلاء بين أظهرهم.

يقول النص التاريخي: «فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشرك الخ..» [1].

وعند الدينوري: «أتدع هؤلاء على ضلالتهم، وتسير؛ فيفسدوا في الأرض، ويعترضوا الناس بالسيف؟! سر إليهم بالناس، فإن تابوا وقبلوا، فإن الله يحب التوابين، وإن أبوا فأذنهم بالحرب، فإذا أزحت الأمة منهم سرت إلى الشام» [2].

(1) تاريخ الطبري ج4 ص61 ، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج2 ص368 ، وراجع: تاريخ ابن خلدون ج2 ـ قسم2 ص180، والبداية والنهاية ج7 ص288 ، والفخري في الآداب السلطانية ص94 ، والكامل لابن الأثير ج3 ص342 وراجع ص340 ، والفصول المهمة لابن الصباغ ص91و90، والإمامة والسياسة ج1 ص147.

(2) الأخبار الطوال ص207.

فإن هذا الكلام قد كان في بداية ظهور «الخوارج»، وقتلهم بن خباب، وإفسادهم في الأرض، كما قلنا.

الشجاعة واليأس:

وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن سرّ إقدام ابن وهب الراسبي على طلب مبارزته مع علمه أن من يبارز أمير المؤمنين لن يكون مصيره سوى النار والفناء هو أحد الأمرين:

1. يأس من الحياة حين لابد من مواجهة الموت في ساحات القتال.

2. أو أنه كان يطمع طمعاً كاذباً، حيث منتّه نفسه أمرا يستحيل عليه تحقيقه، وهو أن ينتصر على أمير المؤمنين (عليه السلام).

فإنه (عليه السلام) حينما طلب منه الراسبي البراز: تبسّم ثم قال: «قاتله الله من رجل ما أقل حياءه! أما أنه ليعلم: أني حليف السيف، وحديد الرمح، ولكنه أيس من الحياة، أو لعله يطمع طمعاً كاذباً»[1].

وربما يكون هذا أيضاً: هو حال الخارجين على حكومات الجبابرة، فإما هم يطمعون بالنصر.. أو أنهم لابد لهم من مواجهة الموت، لأن أولئك الحكام لن يتركوهم وشأنهم، بل لابد أن يقتلوهم، إما في معركة أو بدونها.

وقد قال المهلب بن أبي صفرة لأصحابه وهو يحذرهم من «الخوارج»: «.. فإن القوم خائفون وجلون، والضرورة تفتح باب الحيلة»[2].

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص132، وشرح النهج للمعتزلي.، وكشف الغمة ج1 ص267.

(2) الكامل في الأدب ج3 ص315.

الباب الثامن

ذلك مبلغهم من العلم

الصفحة 164

الصفحة 165

الفصل الأول

الجهل.. والعلم

الصفحة 166

الصفحة 167

الجهل والجفاء:

لاريب في أن «الخوارج» كانوا يعانون من الجهل الذريع، ومن السفاهة القاتلة ما يفوق حد الوصف. وكانوا في الأكثر اعواباً جفاةً، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ونذكر من شواهد ذلك ما يلي:

1 . إن أبا حمزة حينما دخل المدينة في سنة130 هـ. «بلغه: أن أهل المدينة يعيبون أصحابه، لحداثة أسنانهم، وخفة أحلامهم»[1] فقام خطيباً في أهل المدينة، فكان مما قال: «يا أهل المدينة، بلغني أنكم قلتم، تتنقصون أصحابي: شباب أحداث، وأعواب جفاة، ويلكم إلخ..»[2] .

(1) الأغاني ج20 ص105 والعقود الفضية ص209 وراجع ص215.

(2) الكامل في التاريخ ج5 ص390 وتاريخ الأمم والملوك ج6 ص59 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص115 وراجع ص119 وج2 ص267 والأغاني . ط ساسي ج20 ص104و105و107 ونهج البلاغة ج1 ص83 والعقود الفضية ص207 والعقد الفريد ج4 ص144 والبيان والتبيين ج2 ص124 ، ولم يذكر: أنهم عيروه بأصحابه شباب إلخ..

الصفحة 168

2 .وعن علي (عليه السلام): «..وأنتم معاشر أخفاء (صغار خ. ل) الهام، سفهاء الأحلام»[1] .

(2)

وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً قوله: «يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام» .

ومن المضحك: أنهم قد رووا عكس ذلك أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله): فقد روي أنه جاءته صدقة بني تميم، فقال: هذه صدقة قومي، وسمعته يقول: «ضخم الهام، رجح الأحلام، وأشد على الرجال في آخر الزمان» [3] .

ولا ريب في أن هذا الحديث فيه تحريف ووضع، وأخلق به أن يكون قد وضع من قبل «الخوارج»، الذين عرف عنهم: أنهم إذا احبوا أمراً صيروه حديثاً، كما سنرى.

ومن الواضح: ان بني تميم ليسوا هم قوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا منزة لهم من حيث القرابة عن غيرهم من سائر قبائل العرب..

كما أن اللافت هنا هو: أن أكثر «الخوارج» الأولين قد كانوا من بني تميم، فوضعت هذه الرواية على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) في مدحهم!!

ويلاحظ: أنها قد جاءت على نسق العبارة المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله)،

---

(1) تاريخ الطبري ج4 ص63 والكامل في التاريخ ج3 ص344 والمصنف للصنعاني ج10 ص157 ومنحة المعبود ج2 ص185 ومسند الطيالسي ص24 والفصول المهمة لابن الصباغ ص92 ونهج البلاغة بشرح محمد عبده، الخطبة رقم 35 وبهج الصباغة ج3 ص110 عن الطبري ـ والموفقيات ص327 ونور الأبصار ص102.

(2) خصائص الإمام علي (عليه السلام) للنسائي ص140 وسنن أبي داود ج4 ص244 والسنن الكبرى ج8 ص170 ومستدرك الوسائل ج2 ص148 ومسند أحمد ج4 ص357 والبداية والنهاية ج7 ص290.

(3) الموصان والعوجان ص309 وقال في هامشه: أنظر صحيح مسلم 1957.

وعن علي (عليه السلام) في ذمهم، وهي الرواية المتقدمة.

3 . قال رجل من أصحاب أمير المؤمنين لعبد الله بن وهب الراسبي، زعيم خوارج النهروان: «أنت .والله . ما فهمت في دين الله ساعة قط. وما زلت جلفاً جافياً مذ كنت» [1] .

4 . قال الحسن البصري: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق. والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة، وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد.

ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا» [2] . يريد بذلك «الخوارج».

5 .وحينما أرسل علي بن عبد الله بن العباس دعاته، وصف لهم البلاد، فكان مما قاله لهم: «..وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كاعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى» [3] .

ونظير ذلك ورد عن الأصمعي أيضاً، فراجع [4] .

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص126.

(2) جامع بيان العلم ج1 ص165.

(3) معجم البلدان لياقوت ج2 ص352 وأحسن التقاسيم ص293 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص204 والسيادة العربية، والشيعة والإسوائيليات ص93 والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1 ص102.

(4) روض الأخيار ص67 ،والعقد الفريد ج6 ص248.

6 .وما أحسن ما وصفهم به رئيس معتزلة بغداد، بشر بن المعتمر، حيث ذكر خلوهم من العلم والفهم، وذكر حرقوص بن زهير، أحد زعمائهم، المقتول في النهروان، فقال:

ما كان من أسلافهم أبو الحسن ولا ابن عباس ولا أهل السنن

غر مصابيح الدجى مناجب أولئك الأعلام لا الأعراب

كمثل حرقوص، ومن حرقوص؟ فقعة قاع حولها قصيص

ليس من الحنظل يشتار العسل ولا من البحور يصطاد الورل

هيهات ما سافلة كعالية ما معدن الحكمة أهل البادية[1]

الفقعة: الرخو من الكمأة. والقصيص: شجر تنبت الكمأة في أصلها.

7 .وقال لهم عمر بن عبد العزيز: «فاتقوا الله، فأنتم جهال، تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتردون عليهم ما قبل، ويأمن عندكم من خاف، ويخاف عندكم من امن عنده، وشهد إلخ..»[2].

8 .وفي حرب شيبان الخارجي مع مروان يقول النص التاريخي: «فصبر معه جماعة من الأعراب، فلحقوا بأهاليهم»[3].

9 .وقال الحسن البصري في كلام له عن العلم، ويشير به إلى «الخوارج»: «إن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»[4].

(1) الحيوان للجاحظ ج6 ص455.

(2) العيون والحدائق ص46 ومروج الذهب ج3 ص192.

(3) المصدر السابق ص162.

(4) جامع بيان العلم ج 1 ص165.

وقد أشار عدد من المؤلفين والمؤرخين إلى ما كان عليه «الخوارج» من البداوة والجهل والجفاء، فراجع..[1].

قصم ظهري اثنان:

وهؤلاء هم الجهال المتنسكون، الذين قال عنهم أمير المؤمنين (عليه السلام): «قصم ظهري اثنان عالم متهتك، وجاهل متنسك»[2].

وقد ابتلى بهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد كانت الضربة التي تلقاها (صلوات الله وسلامه عليه) من هؤلاء الجهال المتنسكين، الذين كانوا يرون أنفسهم أعلم من باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله)، أشد وأقوى من كل الضربات، فلو أنهم لم يقفوا ذلك الموقف البغيض في صفين وبعدها، وتركوا الأمور تجري على حسب ما يريده (عليه السلام)، لتغير وجه التاريخ، ولربما كان قد عم الإسلام العالم، ولم يكن قد بقي ثمة مبرر لمهادنة الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية، ثم استشهاده، ولا كان ثمة أثرٍ لفاجعة كربلاء، ولا لغير ذلك من مصائب ورزايا تعرضت لها الأمة الإسلامية، والبشرية جمعاء، حيث إنها لم تكن لتوجد من الأساس.

نعم.. لقد كان هذا الجهل المركب، واعتقادهم أنهم أعلم من أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومعه تظاهرهم بالنسك والزهد، من أشد المصائب وأنكاها.. قال ابن الجوزي:

---

(1) راجع: تاريخ ابن خلدون ج3 ص165 وفجر الإسلام ص259و361 وضحى الإسلام ج3 ص332 وبعدها وتاريخ المذاهب الإسلامية ص68/69 والخوارج في الإسلام لعمر أبي النصر ص18 وقضايا في التاريخ الإسلامي ص37 عن تاريخ الأمم والملوك ج5 ص516.

(2) البحار ج2 ص111و106 وج1 ص208 وميزان الحكمة ج6 ص509.

«.. وقد كانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم: أنهم أعلم من علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وهذا مرض صعب»[1].

وقال: «..ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم، واعتقادهم أنهم أعلم من علي (رضي الله عنه)»[2].

«الخوارج».. يرجعون إلى تلامذة علي (عليه السلام):

وبعد.. فإن الكل كانوا يعرفون: أن أهل البيت (عليهم السلام) هم معدن العلم، وموضع الرسالة.. والكل يعلم ايضاً اختصاص ابن عباس بعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومشاركته له في حروبه، [حتى حروب النهروان ضد الخوارج] ودفاعه عن قضاياه، وكونه علوياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وقد أحس «الخوارج» بحاجتهم إلى الإلمام بشيء من الأحكام، إذ لم يعد جائزاً لهم هذا الاستغراق في ظلمات الجهل حتى بأبده البديهيات، وهم يدعون: أنهم يحاربون الأمويين بدوافع دينية، فلم يجدوا أمامهم سوى ذلك الذي كرهوه، وحاربوه، وشيعته وأولياءه فلجأوا إليهم في ذلك، ولذلك نلاحظ أن نجدة الحروري الخارجي كان يسأل ابن عباس عن مسائل أشكلت عليه، ويعتمد على إجابته فيها..

فقد روى يزيد بن هرمز، قال: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن أشياء، فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه، وحين كتب جوابه، فقال ابن عباس: لولا أرده عن شر يقع فيه، ما كتبت إليه، ولا نعمة عين.

---

(1) تلبيس إبليس ـ ص93.

(2) تلبيس إبليس ص95.

قال: فكتب إليه:

إنك تسألني عن سهم ذوي القربى الذي ذكر الله عز وجل من هم؟وإنا كنا نرى قرابةرسول الله هم، فأبى ذلك علينا قومنا.

وساله عن اليتيم متى ينقضي يتمه،وأنه إذا بلغ النكاح،وأونس منهرشد دفع ماله،وقد انقضى يتمه.

وسأله هل كانرسول الله (صلى الله عليهوآله) يقتل من صبيان المشركين أحداً، فقال: إنرسول الله (صلى الله عليهوآله) لم يقتل منهم أحداً.وأنت فلا تقتل، إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الغلام الذي قتله.

وسأله عن المرأةوالعبد، هل كان لهما سهم معلوم إذا حضروا الباس،وأنه لم يكن لهم سهم معلوم، إلا أن يجزن من غنائم المسلمين[1].

وحسب نص البلاذري عن عبد الله بن هرمز قال: كنت كاتب عبد الله بن عباس إلى نجدة، وكتب إليه يسأله عن النساء، هل كنّ يحضرن الحرب معرسول الله (صلى الله عليهوآله)؟وهل كان يضرب لهن بسهم؟!وهل كان للعبد في المغنم سهم؟ ومتى كان يضرب للصبي؟ ويسأله عن سهم ذوي القربى.

فكتب إليه: أن النساء كن يحضرن الحرب معرسول الله (صلى الله عليهوآله)، فيرضخ لهن بسهم،وأنه لا سهم للعبد في المغنم.وانه كان لا يضرب للصبي بسهم حتى يحتلم.وأن عمر بن الخطاب عرض عليه أن يزوج

(1) مسند أحمد ج1 ص248/249 وج4 ص83 ومجمع الزوائد ج5 ص341 وسنن النسائي ج2 ص179 والخراج لأبي يوسف ص24 ـ 25 والأموال لأبي عبيد ص463 وجامع البيان ج15 ص6 وأحكام القرآن للجصاص ص62و60 والسنن الكبرى ج6 ص342و343 وسنن أبي داود بيان مواضع الخمس وشرح النهج للمعتزلي ج12 ص212 ولسان الميزان ج6 ص148..

من سهم ذوي القربى أيمنا، ويقضي عن غرمنا، فأبينا إلا أن يسلمه إلينا،وأبى ذلك علينا[1].

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن عمر الوكاء قال: «بينما ابن عباس في المسجد الحرام،وعنده نافع بن الأزرق، وناس من «الخوارج»، يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبيربيعة في ثوبين مصبوغين مورّدين، أو ممصرّين حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أورائح فمهجر

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: الله يا ابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام، فتتثاقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش، فينشدك: إلخ..»[2].

قال المبرد: «وكان نافع بن الأزرق ينتجع عبد الله بن العباس، فيسأله، فله عنه مسائل من القرآن وغيره، قدرجع إليه في

تفسيرها، فقبله وانتحله، ثم غلبت عليه الشقوة»[3].

ثم ذكر المبرد شططاً من تلك المسائل، فراجع.

وروي: أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في آية (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)؟ فقال ابن عباس:

---

(1) الأغاني ج1 ص34/35 والكامل في الأدب ج3 ص228و229.

(2) أنساب الأشراف ج1 ص517.

(3) الكامل في الأدب ج3 ص222.

هو الذي لا كفؤ له، أي لا ينظر إلى النار برحمته. وأهل الجنة ينظرون إليه في ثوابه، وكرامته ورحمته، ولا يرونه بأبصارهم[1].

وروى الزبيريون: أن نافعاً قال له: مارأيت أروى منك قط. فقال: ابن عباس: مارأيت أروى من عمر، ولا أعلم من علي[2].

ولعله إنما ذكر له عمر ليرضيه بذلك، وإلا، فإن عمر، لم يكن معروفاً بالرواية فضلاً عن أن يكون أروى الناس.

رواية «الخوارج» عن مسلمة أهل الكتاب:

وقد ذكر الحارثي الإباضي: أن مسلم بن أبي كريمة، المتوفى في خلافة ابي جعفر المنصور سنة 135 هـ، وثبت وجوده عام ثمانية وخمسين للهجرة[3]. قال: «من لم يكن له أستاذ من الصحابة، فليس هو على شيء من الدين، وقد منّ الله علينا بعبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، وهم الراسخون في العلم. وعلى آثارهم اقتفينا، وبقولهم اقتدينا، وعلى سيرتهم اعتمدنا وعلى منهاجهم سلكنا»[4].

فهو يجعل عبد الله بن سلام من الراسخين في العلم، الذين اقتفى «الخوارج» آثارهم.

مع أن الراسخين في العلم هم خصوص الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، وحتى ابن عباس فإنه ليس منهم.

---

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً ص105 عن الجامع الصحيح [للربيع بن حبيب] ج3 ص27 رقم 855.

(2) الكامل للمبرد ج3 ص230.

(3) راجع: العقود الفضية ص139.

(4) العقود الفضية ص140.

الفصل الثاني

رجال ينسبون إلى الخوارج

الصفحة 178

الصفحة 179

بداية:

قد ذكرنا في بعض فصول الكتاب سعي «الخوارج» لتزوير الحقيقة، وأنهم يكذبون حتى في ما لا يصح ولا يمكن الكذب فيه، حتى زعموا: أن علياً (عليه السلام) ندم على قتل «الخوارج»، وأنه بكى عليهم.. وغير ذلك من أباطيل.

وزعموا أن عائشة أيدتهم.

وكذلك ابن عباس.

وعدوا صعصعة بن صوحان منهم.

وكذلك أبا الهيثم بن التيهان.

إلى غير ذلك مما لا يرجع إلى أساس، وتكذبه الشواهد القاطعة، والبراهين الساطعة..

ولكن ذلك لا يعني أن لا يكون هنالك من مال إليهم، وأيدهم ومالأهم، إما خوفاً منهم، او بغضاً منه بعلي، أو اعتقاداً.

الصفحة 180

ونذكر هنا طائفة من هؤلاء وأولئك مع التذكير بأن عدداً منهم هم من زعماء «الخوارج» الذين قادوا الحروب، وليس لديهم أثارة من علم، ولا سبيل هدى..

فنقول:

عكرمة من «الخوارج»:

وقد كان عكرمة من «الخوارج» وكان أمره في ذلك أشهر من أن يذكر[1].

وكان يحدث برأي نجدة الحروري، وخرج إلى المغرب، وكان أول من أحدث فيهم رأي الصفرية[2]، فـ«الخوارج» بالمغرب عنه أخذوا[3].

[4]

وفي نص آخر: وقف على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر، وكان يرى رأي الإباضية .

وكان يتهم بالكذب [5] .

---

(1) راجع: ميزان الاعتدال ج3 ص93و95و96 وشرح النهج للمعتزلي ج5 ص76 وفجر الإسلام ص261 والمنتخب من ذيل المذيل ص122 وتنقيح المقال ج2 ص256 والأعلام للزركلي ج4 ص244 وفتح الباري [المقدمة] ص424و425 والعقود الفضية ص65 والطبقات الكبرى ج5 ـ ص292و293 وقاموس الرجال ج6 ص326و327 عن الكافي. وعن المعارف لابن قتيبة، ووفيات الأعيان ج3 ص265 والمغني في الضعفاء ج2 ص438 وتذكرة الحفاظ ج1 ص96 والمعارف ص457 وشذرات الذهب ج1 ص130 والضعفاء الكبير للعقيلي ج3 ص373 ومختصر تاريخ دمشق ج17 ص144و152و151 وراجع: الكامل للمبرد ج3 ص215.

(2) سير أعلام النبلاء ج5 ص20و21و30 وراجع: ميزان الاعتدال ج3 ص96 وقاموس الرجال ج6 ص327 وراجع مختصر تاريخ دمشق ج17 ص142و151 وفتح الباري [المقدمة] ص425و426.

(3) سير أعلام النبلاء ج5 ص21 ميزان الاعتدال ج3 ص96 وفتح الباري [المقدمة] ص425و426.

(4) سير أعلام النبلاء ج5 ص22 وميزان الاعتدال ج3 ص95و96.

(5) الطبقات الكبرى ج5 ص288و289 وميزان الاعتدال ج3 ص93و94و95و96/97

<=

وليس يحتج بحديثه، ويتكلم الناس فيه [1] ، وكذبه على ابن عباس معروف ومشهور [2] .

وقد أوثقه عبد الله بن عباس عند باب الحش، فقيل له: ألا تتقي الله؟

فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبي [3] .

وكان يتختم بالذهب، ويغني، ويُتهم في أمر الصلاة، واللعب بالنرد . فراجع ترجمته..

أبو عبيدة، معمر بن المثنى:

إن البعض ينسب إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى: أنه كان يرى رأي الصفرية من «الخوارج» [4] .

وتقدم قول أبي حاتم السجستاني: «كان يكرمني بناءً على أني من

=>

وقاموس الرجال ج6 ص327 والمغني في الضعفاء ج2 ص439 والمعارف ص438 ومختصر تاريخ دمشق ج17 ص149و151والمنتخب من ذيل المذيل ص122.

(1) الطبقات الكبرى ج5 ص293 وميزان الاعتدال ج3 ص94 وفتح الباري [المقدمة] ص425.

(2)راجع ما قاله ابن المسيب لمولاه: برد. وما قاله ابن عمر لمولاه: نافع. وذلك في المصادر المتقدمة، ترجمة عكرمة.

(3) ميزان الاعتدال ج3 ص94 وقاموس الرجال ج6 ص327 والمعارف ص456 وشذرات الذهب ج1 ص130 والضعفاء الكبير ج3 ص374 ومختصر تاريخ دمشق ج17 ص151 وفتح الباري [المقدمة] ص425 ووفيات الأعيان ج3

ص265و266.

(4)راجع: شوح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص76 وسير أعلام النبلاء ج9 ص446 ونشوار المحاضرات ج3 ص291 وفجر الإسلام ص265 ونقل أيضاً عن المعارف ص543 والبيان والتبيين ج3 ص264 . 266 وج1 ص341 و343 و346 والأمالي للسيد المرتضى ج1 ص636 ونور القبس ص110.

خوارج سجستان»[1].

غير أن أبا عبيدة لم يكن له شأن يذكر في العلوم الإسلامية الرئيسية.

فقد قال عنه الذهبي: «.. لم يكن بالماهر بكتاب الله،ولا العارف بسنةرسول اللهولا البصير بالفقه،واختلاف أئمة الاجتهاد، بل وكان معافىً من معرفة حكمة الأوائل،والمنطق،وأقسام الفلسفة»[2].

إذن.. فلم يكن قوله بنحلتهم مؤشراً للسذج من الناس على صحتها وسلامتها.ولا يفيد ذلك في تأييدها.

اتهام إمام المالكية:

وبعد.. فقد اتُّهِمَ مالك بن أنس، إمام المذهب المالكي، بأنه يرىرأي «الخوارج»[3].

ويذكر الزبيريون: أن مالك بن أنس المديني كان يذكر عثمان وعلياً، وطلحة،والزبير، ويقول:والله ما اقتتلوا إلا على التؤيد الأعفر[4].

ولكن البعض قد أنكر بشدة نسبة الإمام مالك إلى مذهب «الخوارج»، فقد نقل أن أبا حيان كتب على هامش الكامل في سنة 717 هـ: أن الرجل الموصوف بأنه خارجي هو: مالك بن أنس بن مالك بن

(1) سير أعلام النبلاء ج9 ص147 وعن انباه الرواة ج3 ص281 ونشوار المحاضرة ج3 ص391.

(2) سير أعلام النبلاء ج9 ص447.

(3)راجع: الكامل للمبرد ج3 ص215 وشوح النهج للمعتزلي ج5 ص76 والعقود الفضية ص65 وتقوية الإيمان ص55 عن الجوح والتعديل لجمال الدين القاسمي ص28.

(4) الكامل في الأدب ج3 ص215 وشوح النهج للمعتزلي ج5 ص76.

مسمع البكري، ثم البصري، أحد رؤساء أهل البصرة، وفقهائهم، وعبادهم.

وقال أبو حيان: إن مالكاً كان على الخوارج أشد من الموت الزؤام،والداء العقام.

وقد سئل عن أهل حروراء، فقال: أحسب قول الله تعالى: (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا،وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فيهم نزلت)[1].

(2)

و«الخوارج» يبغضون المالكية أشد البغضاء، لأن إمامهم يقول بكفرهم في بعض الروايات عنه .

أبو وائل، أبو بلال:

وربما ينسب إليهم أيضاً أبو وائل شقيق بن سلمة [3] .

وقد تقدم: أن «الخوارج» أنفسهم ينتحلونه، ويروون عن ابن عباس قوله: أصاب أهل النهر السبيل، أصاب أبو بلال السبيل [4] .

لكن ابن أبي الحديد المعتزلي يقول عن أبي وائل..: «.. ولم يختلف في أنه خرج معهم، وانه عاد إلى علي (عليه السلام) منيباً مقلعاً» [5] .

مرداس بن أدية:

وينتحل «الخوارج» أيضاً مرداس بن أدية وعلل المبرد ذلك بقوله: «..

---

(1) الكامل في الأدب ج3 ص215 وشرح النهج للمعتزلي ج5 ص76.

(2) تقوية الإيمان ص55/56 وراجع هامش الكامل للمبرد ج3 ص215.

(3) الغارات ج2 ص947.

(4) العقود الفضية ص68.

(5) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص99.

لفقهه وبصيرته، وصحة عبادته، وظهور ديانته، وبيانه. تنتحله المعتزلة، وتزعم أنه خرج منكراً لجور السلطان، داعياً إلى الحق».

وتحتج له بقوله لزياد، حيث قال على المنبر: والله، لآخذن المحسن منكم بالمسيء، والحاضر منكم بالغائب، والصحيح بالسقيم، والمطيع بالعاصي.

فقام إليه مرداس فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان، وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم (عليه السلام)، إذ يقول: «وإبراهيم الذي وفى. ألا تزر وازرة وزر أخرى. وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى» [1] . وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي، ثم خرج في عقب هذا اليوم.

والشيعة تنتحله، وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي (صلوات الله عليه): «إني لست أرى رأي «الخوارج»، وما أنا إلا على دين أبيك» [2] .

الحسن البصري:

وربما ينسب إليهم أيضاً .وهم كذلك ينتحلونه . الحسن بن أبي الحسن البصري [3] .

وقد ذكر المبرد ذلك، فقال: «فأما أبو سعيد الحسن البصري، فإنه كان ينكر الحكومة،ولا يرى رأيهم.

(1) سورة النجم ـ 37 ـ 41.

(2) الكامل للمبرد ج3 ص214/215.

(3) العقود الفضية ص65.

وكان إذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثاً، ولعن قتلته ثلاثاً، ويقول: لو لم نلعنهم للعنا.

ثم يذكر علياً، فيقول: لم يزل أمير المؤمنين (رحمه الله) يتوقه النصر، ويساعده الظفر حتى حكم، فلم تحكم والحق معك؟! ألا تمضي قدماً لا أبا لك، وأنت على الحق»؟!!.

وقال أبو العباس: «وهذه كلمة فيها جفاء إلخ..»[1] ولا يقول إلا من ينحل مذهب «الخوارج»، أو يميل إليه..

ابن عمر:

كما أن ابن عمر كان يمالئ «الخوارج».

فقد ذكر ابن حزم: أنه كان يصلي خلف الحجاج ونجدة[2]. وكان أحدهما خارجياً، والثاني أفسق البرية.

ونقول:

لعل تعظيم «الخوارج» لأبيه عمر بن الخطاب هو الذي دعاه إلى ممالأة نجدة الخارجي، ويعزز ذلك أنه كان يرى الصلاة خلف كل متغلب، ونجدة متغلب.

لكن كيف صح ذلك له، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخبر بمروق «الخوارج» من الدين؟!

(1) الكامل ج3 ص215و216.

(2) المحلى ج4 ص213 وراجع: بدائع الصنائع ج1 ص156.

إياس بن معاوية:

وقد يقال: إن إياس بن معاوية كان يرى رأي «الخوارج» أيضاً، وذلك لما ذكره الزمخشري، قال: «أخذ الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج إياس بن معاوية، فشتمه، وقال: أنت خارجي منافق، ائتني بمن يكفل بك.

قال: ما أجد أعرف بي منك.

قال: وما علمي بك، وأنا شامي، وأنت عراقي؟!

قال إياس: ففيم هذا الثناء منذ اليوم؟!

فضحك وخلى سبيله»[1].

لكن الحقيقة هي أن ذلك لا يكفي لإثبات هذه التهمة على أياس، فإن الحكام قد يوجهون تهماً لبعض المعروفين ليجدوا السبيل للتنكيل بهم..

أنس بن مالك:

وعن علي بن زيد بن جدعان: «أن أنساً دخل على الحجاج، فقال: يا خبثة، شيخاً جوالاً في الفتن، مع أبي تراب مرة، ومع ابن الزبير أخرى، ومع ابن الأشعث مرة، ومع ابن الجارود أخرى، والله لأجودنك جود الضب».

ثم تذكر الرواية: أن أنساً كتب إلى عبد الملك بذلك، فعالج عبد الملك الأمر بينهما[2].

---

(1) ربيع الأبرار ج1 ص699.

(2) الموفقيات ص328و329.

وقد ذكروا: أن «الخوارج» كانوا ينتحلون أنس بن مالك فواجع [1].

أشخاص اتهموا أو عرفوا برأي «الخوارج»:

وعدا الذين تحدثنا عنهم، كمالك، والحسن البصري، وعكرمة، وأبي عبيدة، وأبي وائل، ومرداس بن أدية، وحتى الذي يحاول «الخوارج» نسبه إليهم أيضاً، فقد ذكر أشخاص آخرون في جملة من ينسبون إلى رأي «الخوارج»، نذكر منهم:

المبرد.

ويزيد بن أبي مسلم والمنذر بن الجارود وصالح بن عبد الرحمن، صاحب ديوان العراق وعمرو بن دينار وجابر بن زيد ومجاهد [2] واليمان بن رباب. وكان على رأس البيهسية وعبد الله بن يزيد ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل. وهؤلاء كانوا إباضية.

ونسب إلى هذا المذهب أيضاً:

---

(1) فجر الإسلام ص261.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص76و77 وراجع: العتب الجميل ص105 . 128 والعقود الفضية ص65 وراجع الكامل للمبرد ج3 ص215.

أبو هارون العبدي وأبو الشعثاء وإسماعيل بن سميع وهبيرة بن يريم [1] وقد عدّ الجاحظ في جملتهم، بعد أن ذكر أبا عبيدة معمر بن المثنى:

عبيدة بن هلال وعمران بن حطان والمقعطل وحبيب بن خوة والضحاك بن قيس وشبيل بن عزرة وقطري وخواشة ونصر بن ملحان ومليل وأصفر بن عبد الرحمن وأبو عبيدة كورين وابن صديقة

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص77.

والجون بن كلاب وعتبان بن وصيلة [1] وعد منهم أيضاً الطرماح، كما سيأتي حين الكلام عن تساهل «الخوارج» عبر الزمن..

أما الجوزجاني فذكر منهم:

عبد الله بن الكواء، رأسهم وعبد الله بن راسب وشبث بن ربعي، أول من حلل الحرورية ومالك بن الحارث [2] وأبو بلال مرداس بن أدية وأخوه عروة بن أدية ونافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وصعصعة بن صوحان [3] وهناك أيضاً ما يقال عن: نافع بن ثابت [4]

(1) راجع: البيان والتبيين ـ ج3 ص264 ـ 266 وج1 ص341و343و346.

(2) الوراد: مالك بن الحارث السلمي، كوفي عداده في التابعين، من رؤوس الخوارج.

(3) أحوال الرجال ص34و35.

(4) جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ص93.

والمسور بن مخرمة، الذي كانت «الخوارج» تغشاه وينتحلونه [1].

وأبي حاتم السجستاني [2]، الذي ذكر أن أبا عبيدة معمر بن المثنى كان يكرمه بناء على أنه من خوارج سجستان، كما تقدم.

توضيح لابد منه:

ومن الواضح: أن عد صعصعة منهم غلط. ولعله لأجل جرأته على الحكام الظالمين أمثال معاوية، فعدوه خارجياً إمعاناً في الإساءة إليه.. وإلا فإن صعصعة كان من أشد المناوئين لهم، وقد كان لخطبه أعظم الأثر فيهم، حتى أصبحت مثلاً.

فقيل: أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت «الخوارج».

أضواء على ما تقدم:

ومن الواضح: أن العدد الأكبر من الذين ذكروا سابقاً هم من زعماء «الخوارج» أنفسهم. وقد اشتهروا بذلك، وليس لهم أي تميز في علم بعينه، بل هم كسائر الناس العاديين.

ورغم قلة عدد الأعلام والعلماء الذين ينسبون إلى هذه النحلة، فإن في صحة نسبة هذه النحلة إلى الكثيرين منهم نقاشاً. بل إن بعضهم كان من أشد الناس عليهم، كصعصعة بن صوحان وغيره حسبما ألمحنا إليه فيما تقدم..

وأيضاً رغم: أن بعضهم قد رجع عن القول بمقالتهم، وأن بعضهم الآخر قد عد منهم، لمجرد خروجه على الحكام، ثم رغم شيوع وذيوع التأكيدات الكثيرة التي تدل على فشو الجهل، وسيطرة ظاهرة البداوة عليهم.

(1) سير أعلام النبلاء ج3 ص391.

(2) سير أعلام النبلاء ج9 ص147 وعن انباه الرواة ج3 ص281.

نعم.. رغم ذلك كله فإن البعض يحرص إظهار فئة «الخوارج» على أنهم هم الطليعة المثقفة في العالم الإسلامي الكبير. وهذا ما يثلج صدر «الخوارج» أنفسهم إن لم يكن ذلك يحصل بسعي مباشر منهم.

وقد سمعنا من قبل مقولتهم عن إخوانهم الحرورية: إنهم «خيار المسلمين، وفقهاءهم» [1].

وقال أبو علي الإيذجي، بعد أن ذكر أن أبا خليفة الفضل بن الحباب بن محمد الجمحي كان يرى رأي «الخوارج»: «أكثر رواة علم العرب. فيما بلغني عنهم. إما خوارج، أو شعوبية، كأبي حاتم السجستاني، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وفلان،

وفلان، وعد جماعة»[2].

بل ادعى البعض: «أن المصنفات الأولى للخوارج قد أبيدت وأحرقت على أيدي أعدائهم من السنة والشيعة على السواء»[3].

ونقول:

أما بالنسبة لدعوى أن مؤلفات «الخوارج» قد أبيدت فهي بلا شاهد ولا دليل، فلا يلتفت إليها.

وأما بالنسبة لرواة علم العرب فقد أشرنا آنفاً إلى أن الرواة الذين ينسبون إلى مذهب «الخوارج» هم قلة قليلة جداً، بالقياس إلى غيرهم.

وأما بالنسبة للشعوبية، فلا ريب في أن معظم علماء الأمة في بعض الفترات قد كانوا من الموالي.

---

(1) العقود الفضية ص67.

(2) نثوار المحاضرة ج3 ص291.

(3) قضايا في التاريخ الإسلامي ص66.

وكانوا يقولون لمن يساوي بين العرب، وبين غيرهم: إنه شعوبي وقد أوضحنا ذلك في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي، فراجع.

ومن الواضح: أن العرب الذين نقلوا كلام، وشعر، وخطب، وأجوبة الناس، هم من الذين يقولون بالمساواة بين العرب، وغيرهم أو من «الخوارج»؛ لأنهم كانوا يختلطون بالأعراب، وبأهل البادية أكثر من غيرهم، لأنهم مثلهم في أعرابيتهم، فمن الطبيعي أن يتولوا هم نقل خطب وشعر، وكلام وأجوبة العرب.

مبررات أخرى للشك في نسبة الخارجية إلى البعض:

أضف إلى ذلك: أننا نشك في صحة نسبة هذه النحلة إلى بعض من تقدمت أسماؤهم؛ وذلك استناداً إلى ما تقدم آنفاً، بالإضافة إلى ما ذكرناه عن عمر بن عبد العزيز، والأشعار التي قالها بشر بن المعتمر، وكذا ما قاله الحسن البصري، وعلي بن عبد الله بن العباس، وسيد الوصيين علي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، وكذلك ما ذكرناه عن صعصعة وغيره.. وغير ذلك مما لا نرى ضرورة لإعادته.. فإن كل ذلك صريح في أنهم لم يستضيئوا بنور العلم، وإنما كانوا أعراباً جفاة، يعشعش فيهم الجهل، ويعصف فيهم الغباء..

إلا أن ذلك لا يعني أن لا يشذ منهم أفراد يأخذون بأسباب المعرفة، وتصير لهم بعض الشهرة.. فإن الظروف قد تساعد هذا الفرد أو ذاك على ذلك، وإن كان عامة الناس ممن هم على مثل نحلته، وطريقته، يعيشون في حالة متناقضة، وفي ظروف مختلفة، وذلك ليس بعزيز..

الصفحة 193

ونحتمل قريباً جداً: أن يكون السبب في نسبة هذه النحلة إلى بعض الأعلام، قد نشأت عن المواقف السلبية لبعض هؤلاء من الهيئة الحاكمة، أو خضوعهم وتقيتهم من «الخوارج»، حين ظهور أمرهم، وقوة شوكتهم، فإن ذلك قد ساعد على نسبة هذه النحلة إليهم، بهدف التنفير منهم، وتشويه سمعتهم.

كما أنه قد يكون السبب في نسبة ذلك إلى عدد منهم هو ما ظهر منهم من الانحراف الشديد عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، والتحامل عليه، وصدور بعض التصريحات الجارحة تجاهه (صلوات الله وسلامه عليه).

وأخيراً.. فقد يقال: إن ذكر المبرد لأخبار «الخوارج» بصورة لافتة في كتابه، قد دعا البعض إلى اتهامه بنحلة «الخوارج».. ولعل هناك من يشارك المبرد في هذه الخصوصية، التي دعت إلى توجيه هذا الاتهام..

الصفحة 194

الصفحة 195

الفصل الثالث

عقائد.. وأقاويل

الصفحة 196

الصفحة 197

عقائد «الخوارج»:

إن بداية ظهور «الخوارج» كانت ترجع إلى دوافع دنيوية، هي حب الراحة من عناء الحرب، والسلامة من أخطارها، ثم تلفعت بشبهة أنتجها الجهل، وحملهم على الإمعان في التحدي، وفرض المواقف والآراء المتباينة طيش ورعونة، وقلة تبصر وغرور، وافتقاد للروادع الدينية والوجدانية. وزين لهم الشيطان أنهم ظاهرون..

فلم تكن للخوارج في تلك المرحلة آراء، وعقائد تميزهم عن سائر الناس سوى تلك الشبهة التي أوقعهم الهوى، وحب الدنيا والشيطان في حبائلها..

ثم إن أهواءهم المختلفة، وجهلهم الفاضح، واندفاعاتهم العنياء قد أسهمت في ارتجال أوهام مختلفة، كانت تهدف إلى تبرير جرائم أو نزوات دعاهم إليها الهوى، وسهل لهم الوقوع فيها ذلك الجهل، حيث غابت عن ساحة الممارسة كل الروادع الإيمانية والوجدانية..

وكانت حصيلة ذلك كله مجموعة من السقطات المخجلة والمشينة، سميت باسم عقائد ومقولات، واعتبرت أساساً لمواقفهم وممارساتهم، وحركتهم السياسية، والعسكرية والدينية.. مع أنها لم تكن

سوى جهالات انتجتها الأهواء، ودعا إليها الجهل والغباء حسبما أشرنا إليه..

ونذكر في هذا الفصل بعضاً من ذلك، فنقول..

عقائد «الخوارج» لمحات وسمات:

ومهما يكن من أمر: فإننا إذا استثنينا الإباضية، الذين فرضت ظروفهم تحديد معالم عقيدتهم، فإننا نلاحظ على «الخوارج»: أنهم «لم تكن لهم كذلك مجموعة منسقة من المبادئ، وتظهر لنا مبادئهم وكأنها آراء خاصة»[1].

و«كانت تتعدل وتتطور وفق مقتضيات الحال، حتى وجدنا «الخوارج» في أواخر العصر الأموي يأخذون بمبدأ التقية. ويعمدون إلى الدعوة السرية المنظمة، كأسلوب يناوؤون به الحكومة الأموية»[2].

«الخوارج» وأهل السنة:

وقد يتعجب البعض من قول بعض المستشرقين إن طالب الحق الذي خرج في أواخر الدولة الأموية: «أكد أنه لا اختلاف بين مذهب «الخوارج» ومذهب أهل السنة والجماعة في الجوهر»[3].

ولا ندري ما الذي دعاه إلى قول ذلك، ونحن نرى الفرق بين هذين الفريقين كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، ولا أقل من أن أهل السنة يترضون على علي وعثمان، ومعاوية وطلحة والزبير، وعائشة

(1) دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص474.

(2) قضايا في التاريخ الإسلامي ص90.

(3) الخوارج والشيعة ص107.

وعمرو بن العاص، وغيرهم، و«الخوارج» يكفرون هؤلاء جميعاً، أو على الأقل لا يرضون عنهم. بالإضافة إلى فروق كثيرة أخرى ستتضح إن شاء الله في هذا الفصل.

«الخوارج» والسبأية:

ولعل أغرب ما سمعناه وقرأناه هو مازعمه البعض، من أن هناك علاقة عقائدية وتاريخية. على الأقل. بين قادة [1]

«الخوارج»، وفرقة السبئية وذلك لمعارضة أولئك القادة لعثمان نفسه، واشتراكهم جميعاً في المسؤولية عن قتله .

وقد رد صابر طعيمة على هذا بأن «الخوارج» كانوا ينعتون الشيعة بالسبئية كما اعترف به هو نفسه [2] .

ثم ذكر صابر طعيمة: أنهم كانوا نبتة إسلامية، وأن ربطهم بابن سبأ يهدف إلى أن يحكم التاريخ عليهم بأنهم بذرة فاسدة، بذرها اليهودي ابن سبأ [3] .

ونريد أن نذكّر القارئ هنا: بأن هذا الزاعم المتحذلق لم يوضح لنا ما هي المواضع العقائدية والتاريخية التي التقى فيها السبئية مع «الخوارج»، وهل ظهر «الخوارج» في عهد عثمان؟ أم في عهد علي (عليه السلام)؟!

ومن هم القادة من هؤلاء وهؤلاء الذين يتحدث عنهم هذا المؤلف؟!

---

(1) الإباضية ص32 عن: الخوارج والشيعة ص38.

(2) الإباضية ص32 عن الخوارج والشيعة ص38.

(3) الإباضية ص32.

وهل يدخل فيهم عائشة وطلحة والزبير، وغيرهم ممن ألّب الناس على عثمان، وشارك في قتله؟!

وكيف يمكنه أن يثبت وجود طائفة باسم السبئية في عهد عثمان.

وهل مشاركتهم في المسؤولية عن قتل عثمان تجعل بين الفريقين . لو سلم وجودهما . علاقة عقائدية وتاريخية؟!

أليس قد شارك عامة الصحابة، وغيرهم من الذين جاؤوا من العراق ومن سائر البلاد في قتل عثمان، فهل يصح القول بأن بين هؤلاء جميعاً وبين «الخوارج» علاقة عقائدية؟!

«الخوارج» كفار مشركون:

ولا حاجة إلى إقامة الأدلة على كفر فرقة «الخوارج»، بعد ان وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.

وعن مصعب بن سعد قال: سئل أبي عن «الخوارج» قال: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وعن أبي مسروق، قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟!

فقلت: مرجئة، وقدرية، وحرورية.

فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة، التي لا تعبد الله على شيء [1] .

الرواية المزيفة:

وإن موقف أهل البيت (عليهم السلام) من «الخوارج»، الذي عبرت

---

(1) الكافي ج1 ص301.

عنه رواية أبي مسروق الآنفة الذكر.. هو كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، وهذا الموقف يفوضه التصديق والانقياد لإخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمروقهم من الدين.

فلا مجال للإصغاء لما يرويه «الخوارج» أنفسهم، وآخرون ممن تابعوهم على ذلك، من ان أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إنهم ليسوا كفاراً ولا مشركين، بل هم إخواننا بغوا علينا وقد تقدم الحديث عن ذلك في فصل: تزوير «الخوارج» للحقائق..

ولنبدأ بذكر نبذة يسيرة من عقائد هذه الفئة، وسنرى كم هي بعيدة عن الصواب، وكم هي مجانبة لمقتضيات الفطرة والوجدان، وغريبة عن هدى القرآن، وما ثبت عن رسول الإسلام (صلوات الله وسلامه عليه) وعلى آله الطيبين الطاهرين..

فنقول:

القلقشندي، وعقائد «الخوارج»:

وقد سجل لنا القلقشندي بطريقة مميزة بعض ما يذهبون إليه في عقائدهم فروى لنا أنهم يقولون: «..وإلا أجزت التحكيم.

وصوبت قول الفريقين في صفين.

وأطعت بالرضى مني حكم أهل الجور.

وقلت: في إمارة بني أمية عدل. وأن قضاءهم حق.

وأن عمرو بن العاص أصاب، وأن أبا موسى ما أخطأ.

واستبحت الأموال والفروج بغير حق.

واجترحت الكبائر والصغائر، ولقيت الله مثقلاً بالأوزار.

وقلت: إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كفر، وإن قاتل خارجة آثم.

وبرئت من فعلة قطام.

وخلعت طاعة الرؤوس.

وأنكرت أن تكون الخلافة إلا في قريش وإلا..

فلا رويت سيفي من دماء المخطئين»[1].

الله تعالى وصفاته لدى «الخوارج»:

وقد قال بعض الإباضية: من قال بلسانه: إن الله واحد، وعنى به المسيح، فهو صادق في قوله، مشرك بقلبه[2].

والخلفية من «الخوارج» قد خالفوا أهل السنة، فهم لا يرون: أن الخير والشر من الله تعالى[3].

والميمونية لا يرون أن الشر من الله تعالى[4].

والإباضية أباحوا قتل المشبهة، وسبي نسائهم وذراريهم، واتباع مدبرهم [5].

(1) صبح الأعشى ج3 ص225.

(2) الإباضية ص75 عن مقالات الإسلاميين ج2 . ص107.

(3) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص59.

(4) المصدر السابق ص58.

(5) الإباضية ص82.

ويعتقد النفاثية: ان الله هو الدهر [1].

النبوة والنبي:

عن عبد الله بن مسلم المروزي قال: كنت أجالس ابن سيرين، فتركته، وجالست الإباضية فرأيت كأني مع قوم يحملون جنازة النبي (صلى الله عليه وآله)، فأتيت ابن سيرين، فذكرته له، فقال:

مالك جالست أقواماً يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله)؟! [2] وبالنسبة للنبوة، فقد قال يزيد بن أبي أنيسة: «إن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، ويترل عليه كتاباً قد كتب في السماء، ويترل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى، ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن».

وفي نص آخر: «وليس هم الصابئة المذكورون في القرآن، ولم يأتوا بعد» [3].

وجوز الأزارقة: «أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل بعثته» [4].

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً ص58.

(2) سير أعلام النبلاء ج4 . هامش ص617 عن ابن عساكر ج15 ص227.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، ج8 ص475 والإباضية ص86و72 عن الملل والنحل، ج1 ص36 و122 وراجع: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص172 والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص135و94 وتبصرة العوام، ص41 والأنوار النعمانية، ج2، ص247 وعن مقالات الإسلاميين ج1 ص171.

(4) الملل والنحل، ج1 ص121/122 والخوارج في العصر الأموي، ص225 عنه والأنوار النعمانية، ج2 ص247 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج7 ص9.

وهو قول ابن فورك من الأشعرية، لكنه زعم أن هذا الجائز لم يقع [1].

وقال بعض الإباضية: قد يجوز أن يبعث الله نبياً بلا دليل [2].

ومن فرق الإباضية فرقة الحسينية، قالوا: يسع جهل معرفة محمد (صلى الله عليه وآله)، وليس على الناس إلا معرفة المعبّر عنه[3].

وزعم يزيد بن أبي أنيسة: «أنه يتولى من شهد بالنبوة لمحمد من أهل الكتاب، وإن لم يدخلوا في دينه، ولم يعملوا بشريعته، وزعم أنهم بذلك مؤمنون»[4].

إنكار شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله):

وكانوا ينكرون شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة[5].

ولعل الوهابيين قد تأثروا بهم في ما ذهبوا إليه، وكذلك بعض المتاخرين الذين ينسبون أنفسهم إلى الشيعة، وقد ظهر أنهم ليسوا منهم..

«الخوارج» والتبرك بآثار الأنبياء (عليهم السلام):

وتشير بعض النصوص إلى أن «الخوارج» ينكرون التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، تماماً كما هو مذهب الوهابية وابن تيمية، فبئس الخلف لبئس

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص9.

(2) الإباضية ص75 عن مقالات الإسلاميين ج2 ص107.

(3) الإباضية ص62.

(4) الإباضية عقيدة ومذهباً ص104 عن مقالات الإسلاميين ج1 ص171 والخوارج عقيدية وفكراً وفلسفة ص95 عنه ايضاً.

(5) الخوارج في العصر الأموي ص205 عن الإيمان لابن تيمية ص142و143. ط سنة 1325 هـ القاهرة.

السلف: «إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً»[1].

وبعد أن ذكر الذهبي تبرك أحمد بن حنبل الذي ينتسب إليه الوهابية، بشعرة من شعر النبي (صلى الله عليه وآله)، يقبلها، ويستشفي بها، وبقصعة النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان يشرب من ماء زمزم يستشفي به، بعد أن ذكر الذهبي ذلك، قال: أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي (صلى الله عليه وآله)، ويمس الحجرة النبوية. فقال: «لا أرى بذلك بأساً، أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج والبدع..»[2].

السياسة الحجاجية الأموية:

والمنع من التبرك بآثار رسول الله (صلى الله عليه وآله) سياسة أموية حجاجية، أظهرها الحجاج بصورة فجّة، ووقحة، وتبعه الآخرون على ذلك، فإنه هو الذي رمى الكعبة. أعزها الله. بالمنجنيق.

بل لقد روي أنه: «رماها بالعذرة لعنه الله وأخزاه» .

وكان الحجاج يريد أن يضع رجله على مقام إبراهيم، فمنعه ابن الحنفية وزجره[4] .

وكان خالد القسري يسمي زمزم أم الجعلان[5] .

وله قضايا صريحة في إهانة الكعبة لا مجال لذكرها، فلتراجع في

---

(1) سورة نوح، الآية: 27.

(2) سير أعلام النبلاء ج11 ص212.

(3) عقلاء المجانين ص178 والفتوح لابن أعثم ج2 ص486 وذكروا: أنه رماها بالعذرة.

(4) المصنف للصنعاني ج5 ص49 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص84 وربيع الأبرار ج1 ص43.

(5) الأغاني ج19 ص60و59 وتهذيب تاريخ دمشق ج5 ص82.

مظانها[1] .

وأنفذ الوليد الأموي رجلاً مجوسياً، ليبني له على الكعبة مشربة للخمر. كما انه في عهد هشام قد ذهب إلى مكة، ومعه خمر، وقبة ديباج على قدر الكعبة، وأراد أن ينصبها عليها، ويجلس فيها، فخوفه أصحابه من ثورة الناس حتى امتنع[2] .

وها نحن نجد زعيم الوهابية يقول عن النبي (صلى الله عليه وآله): ما هو إلا طارش[3] .

ثم يأتي من ينسب إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ويقول: لمن يسأله عن مسك الحديد لضريح النبي (صلى الله عليه وآله) والاتهام بالشرك «ما الفائدة التي نستفيدها من أن نمسك شباكاً، أو نمسك الحديد»[4] .

قال هذا الكلام في كتاب: أجرى عليه بعض تلاميذه بعض الملاحظات بإشرافه.

الإمام والإمامة عند «الخوارج»:

قال النكارية .وهم فرقة من الإباضية .: «بعدم فرضية الإمام»، وبعدم جواز ولاية المفضول، مع أن أئمة الإباضية كانوا يقولون: إنه تجوز ولاية المفضول مع وجود الأفضل، إذا وجدت في المفضول مزايا ترجحه ليست للأفضل[5] .

---

(1) الأغاني ج19 ص60و59.

(2) بهج الصباغة ج5 ص340 عن الطوي، والأغاني.

(3) كشف الإرتياب . ص139 وراجع ص430 عن خلاصة الكلام ص230.

(4) مجلة الموسم: العددان [21و22] سنة 1995م ص299.

(5) الإباضية عقيدة ومذهباً ص67و52و53 عن الإباضية في الخواء ص56 وعن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص262و363.

ويتحدث البعض عن توفر المصادر حول الإمامة عند الإباضية، وعدم توفرها لدى «الخوارج» لندرة تدوين بحوثهم في هذا الموضوع، ويقول: «يبدو أن ندرة مصادرهم لأرمتهم تاريخياً، ولعل ذلك بسبب عدم استواء المذهب فكرياً، بالرغم من العنف السياسي الذي لأرمهم فترة طويلة»[1].

وقال فلهوزن، وهو يتحدث عن «الخوارج»: «ولهذا فمن الصحيح موضوعياً، وإن لم يصح شكلاً أن يؤخذ عليهم أنهم لا يريدون الإقرار بأية إمارة[2]. واي فكرة تدعي دعوى كهذه لابد أن تحطم الجماعات التي أقيمت لأجلها»[3].

وقال السيد نعمة الله الجزائري، عن المحكّمة الذين خرجوا على أمير المؤمنين (عليه السلام): «لم يوجبوا نصب الإمام، بل جوزوا أن لا يكون في العالم إمام»[4].

وقال البعض أيضاً: «وفيما نعتقد .والله أعلم . أن جمهورهم على عدم القول بوجوب نصب الإمام، اكتفاءً بمقولتهم: «لا حكم إلا لله»، وعدم الوجوب على الإطلاق، لا على الله، ولا على الناس»[5].

---

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً ص132 . وأشار في الهامش إلى المصادر التالية: البدء والتاريخ ج5 ص136 وتطهير الجنان للهيثمي ص44 وتلبيس إبليس ص99.

(2) أشار في الهامش إلى الكامل ص555 سطر 18.

(3) الخوارج والشيعة ص44.

(4) الأنوار النعمانية ج2 ص245.

(5) الإباضية ص133و134.

وقال المعتزلي: «إن الخوارج كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك، ويذهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام، ثم رجعوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي»[1].

وقال غيره: «..وحتى عصر شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) لم يكن للخوارج في هذا الموضوع مدونات يمكن الاطلاع عليها، تحدد جوهر معتقدهم السياسي والديني في موضوع الإمامة. ولذا يقول (رحمه الله): وأقوال «الخوارج» إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة»[2].

ومن مبادئ النجدات: «أنهم يرون أن إمامة الإمام ليست واجباً وجوباً شرعياً، بل هي واجب وجوبا مصلحيا. أي أنهم يرون أنه إذا أمكن للمسلمين أن يتواصلوا بينهم بالحق، وينفذوه، فهم في هذه الحالة ليسوا في حاجة إلى إقامة إمام، ماداموا قد تناصفوا فيما بينهم، فإذا أقاموه جاز»[3].

وبتعبير آخر: «قالت النجدية من الخوارج: الأمة غير محتاجة إلى إمام ولا غيره، وإنما علينا وعلى الناس، أن نقيم كتاب الله عز وجل فيما بيننا»[4].

(1) فجر الإسلام ص260 عن شرح النهج للمعتزلي ج2 ص209.

(2) الخوارج عقيدة ومذهباً ص133 وأشار إلى مجموعة الوسائل الكبرى ج1 ص37.

(3) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص76و77.

(4) فرق الشيعة ص29 والأنوار النعمانية ج2 ص247 والخوارج عقيدةً وفكراً وفلسفة ص127 ومقالات الإسلاميين ج2 ص33 ونقل أيضاً عن الملل والنحل ج1 ص167و168 وراجع: الإباضية ص133و134 عن المواقف ج8 ص393.

وقال الربيع بن حبيب الإباضي: «.. يجوز تولية رجل من المسلمين، إذا كان فيهم من هو أفقه منه»[1].

والربيع هذا هو فقيه الإباضية، وصاحب الجامع الصحيح، المسند الإباضي المشهور.

وفي المواقف: «قالت الخوارج: لا يجب نصب الإمام أصلاً»[2].

واستدلوا على عدم وجوب نصب الإمام بأن نصبه يثير الفتنة، لأن الأهواء مختلفة، فيدعي كل قوم إمامة شخص، فيقع التشاجر والتناحر، والتجربة شاهدة بذلك[3].

ومن الواضح: أن دليلهم هذا لو صح، فإنما يصح لو كان نصب الإمام يعود إلى الناس الذين يختلفون في أهوائهم، وفي آرائهم، وانتماءاتهم، أما إذا كان الله هو الذي يختار لعباده، فليس لأحد من الناس أن يعترض، أو أن يرشح، أو أن ينصب، أو أن يختار، أو أن يوالي غير من نصبه الله سبحانه.

«الخوارج» والمهدية:

إنه وإن لم تصرح كثير من الفرق الخارجية بشيء حول اعتقادهم بالمهدية أو عدمه، إلا أن بعضها الآخر قد صرح بأنه يذهب إلى هذا الاعتقاد بلاريب.

وقال الفرد بل: «إن حركة الخوارج لم تنطفئ بغزو الشيعة في مستهل القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي]، بل استمرت

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً وفلسفة ص51.

(2) الإباضية ص133 عن المواقف وعن الصواعق المحرقة ص8 وعن الملل والنحل ج1 ص116.

(3) الإباضية ص134 عن المواقف ج8 ص348 وعن الصواعق المحرقة ص8.

قوتها بعد ذلك بعدة سنوات، وهددت . زعامة أبي يزيد الملقب بصاحب الحمار . المهدية نفسها، وهي عاصمة المهدي الشيعي، في محاولة أخوة، قام بها البربر في سبيل استقلالهم سنة 945م» [1] .

قال عبد الرحمن بدوي: [عن مخلد بن كيداد اليغرني]، «نشأ في مدينة توزون من بلاد الجريد، وادّعى أنه ابن المهدي..» إلى أن قال: «وكان نكلرياً، يكفِّر أهل السنة، ويستحل أموالهم ونساءهم، وثار على محمد عبيد الله المهدي في جهات طرابلس سنة 333 هـ. وحاصر طرابلس، ودخل القيروان» [2] إلا أن يقال: إن ادعاءه البنوّة للمهدي إنما كان قبل أن يصير من «الخوارج».

ولكنه احتمال بعيد: والظاهر أنه قد نشأ خارجياً منذ البداية، فليتأمل في ذلك ولراجع.

إمامة المرأة:

وينسب لبعض فرق «الخوارج» وهم الشيبية تجويز إمامة المرأة. واستدل على ذلك بأن غزالة [أم شبيب الخارجي] تولت إمامة «الخوارج» بعد ابنها شبيب [3] .

بل إن ابنها شبيباً هو الذي استخلفها، «فدخلت الكوفة، وقامت خطيبة، وصلت الصبح بالمسجد الجامع، فقرأت في الركعة الأولى

---

(1).....

(2).....

(3) الإباضية ص135 عن الفرق بين الفرق ص113 وراجع: شذرات الذهب ج1 ص83.

البقرة، وفي الثانية آل عمران» [1] .

أئمة الجور:

ومع أن من مذهب «الخوارج» وجوب محاربة حكام الجور بلا هوادة.. إلا أن بوادر التساهل في هذا الأمر، قد ظهرت في وقت مبكر، حيث صار عدد من زعماء «الخوارج» يتعاملون مع حكام الجور، بل ونجد بعضهم يقدم لهم النصيحة، ومنهم من عمل لهم كما تظهره فصول هذا الكتاب.. فلا حاجة إلى الإعادة هنا.

إذا كفر الإمام كفرت الرعية:

ومن الغريب هنا ما ذكروه عن الصفرية، وهم فرقة من البهيسية، من أنهم قالوا: «إذا كفر الإمام، فقد كفرت الرعية، الغائب منهم والشاهد» [2] .

مع أن الله سبحانه يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) [3] ، ويقول سبحانه: (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) [4] .

الموقف من الصهرين ومن الصحابة:

وقدرأينا بعض علماء الإباضية يقول: «يجب احترام الصحابة، وقول الحق فيهم»[5].

(1) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص99 عن الخطط للمقريزي ج4 ص180.

(2) الخوارج عقدية وفكراً وفلسفة ص98.

(3) سورة فاطر/18 وسورة الزمر/17 وسورة الأنعام/164 وراجع: سورة النجم/38 وسورة الإسراء/15.

(4) سورة المائدة/105.

(5) العقود الفضية ص63

وهذا يخالف قولهم في العديد منهم كطلحة، والزبير، وعائشة، وغيرهم. لكنهم لم يلتزموا بما قاله الأزارقة حيث كفروا علياً، وصوبوا قتل ابن ملجم له، وكفروا عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الله بن عباس[1]. فخالفوهم في ذلك. وخففوا من لهجتهم حتى ليقول صابر طعيمة عنهم: «الذي نعتقده أن جمهور الإباضية من خلال ما كتب علماؤهم ومؤرخوهم لا يرون في الخليفة عثمان (رض) وبقية أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير ما يرى جمهور المسلمين، بل إن أئمتهم يعنون عناية طيبة بالصحابيين علي وعثمان (رضي الله عنه) ما، تستحق التقدير. وإسحاق بن أطيفش الإباضي في رسالته النقد الجليل في الرد الجميل يسجل ثناءً ودعاءً للخليفة عثمان بن عفان (رض)»[2].

ونقول:

لعل هذا هو أحد موارد عملهم بالتقية.. وإلا، فإن الإباضية يصرون على تضليل عثمان، وعلي (عليه السلام) بعد التحكيم، وعلى تصويب أهل النهروان في حربهم علياً[3].

وقد قال ابن بطوطة: «[إنه رآهم في عمان]: إذا أرادوا ذكر علي كنوا عنه بالرجل، ويرضون عن الشقي اللعين ابن ملجم، ويقولون فيه: العبد الصالح، قامع الفتنة»[4].

واللافت هنا هو: موقفهم العجيب من الحسنين (عليهما السلام)، حيث يعتبرون

(1) الملل والنحل ج1 ص121 والخوارج في العصر الأموي ص225 عنه.

(2) الإباضية عقيدة ومذهباً ص8 و87.

(3) راجع: الاستقامة لمحمد بن سعيد الكندي ج1 ص118و119و120و55و66.

(4) رحلة ابن بطوطة ج1 ص172 والنص والاجتهاد ص99 عنه.

قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وسم الإمام الحسن (عليه السلام)، من الأمور العظيمة[1].

عذاب القبر:

وقد حكى الأشعري عن «الخوارج»: أنهم كانوا ينكرون عذاب القبر[2] وقد يكون سبب إنكارهم هذا هو أن هذه القضية إنما تستفاد من النصوص الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكن للخوارج معرفة بالرواية كما سيأتي.

سورة يوسف ليست من القرآن:

وقالت الميمونية: ليست سورة يوسف من القرآن[3] ونسب هذا القول إلى العجاردة أيضاً[4].

«الخوارج» ضد تأويل القرآن:

وكان أكثر «الخوارج». كما يقول القلقشندي. ضد تأويل القرآن[5].

---

(1) العقود الفضية ص213.

(2) مقالات الإسلاميين ج1 ص206 والإباضية عقيدة ومذهباً ص125.

(3) البدء والتاريخ ج5 ص138 وراجع: مقالات الإسلاميين ج1 ص166 عن الكوابيسي والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص62و134، والعتب الجميل ص53 عن نقد عين الميزان لمحمد بهجت البيطار ودائرة المعارف الإسلامية ج8 ص475 والأنوار النعمانية ج2 ص248 وراجع: الإباضية ص36 عن الملل والنحل ج1 ص129 وراجع: الإسلام لهنري ماسيه ص187 . 189.

(4) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص56 . والإباضية عقيدة ومذهباً ص36 عن الملل والنحل ج1 ص128.

(5) صبح الأعشى ج3 ص222 والخوارج في العصر الأموي ص204 عنه.

وهذا الاتجاه هو الذي فرض نفسه على الوهابيين وعلى سلفهم من اهل الحديث.. حتى إن بعضهم منع من المجاز، وعبر عنه بالطاغوت[1].

سهولة التكفير عند «الخوارج»:

وإننا في حين نجد المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[2] لكن الأزارقة قد «أخرجوا مرتكب الكبيرة عن دائرة الإسلام»[3] بل يرمونه بالشرك أيضاً[4].

لكن فرقة أخرى من «الخوارج» لا تكفر مرتكب الكبيرة في ديار هجرتهم إلا إذا كان قاتلاً لأحدهم[5].

أما النجدات، فيقولون: «من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة، ثم أصر عليها فهو مشرك. وأن من زنى، وسرق، وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم، إذا كان من موافقيهم»[6].

وقد رأى الأزارقة أن سائر المسلمين مخلدون في النار[7].

وسيأتي المزيد من النصوص الدالة على تكفيرهم المسلمين، واستحلالهم قتلهم.

(1) راجع: بحوث مع أهل السنة والسلفية.

(2) الإبانة للأشعري ص2.

(3) الملل والنحل ج1 ص121و122 والخوارج في العصر الأموي ص225 وراجع: الأنوار النعمانية ج1 ص247.

(4) الفرق بين الفرق ص73 وراجع: الأنوار النعمانية ج2 ص247 عن الزيدية.

(5) الكامل في الأدب ج3 ص153 والخوارج في العصر الأموي ص225 عنه وعن المصنف المجهول ص94.

(6) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص76 و77.

(7) الملل والنحل ج1 ص121و122 والخوارج في العصر الأموي ص225 عنه.

بين القدرية و«الخوارج»:

وقبل أن نستعرض بعض التفاصيل في عقائد «الخوارج» نشير إلى ما روي..

عن رجل عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: لعن الله القدرية، لعن الله «الخوارج»، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة.

قال: قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة، ولعنت هؤلاء مرتين؟

قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون، فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة. إن الله حكى عن قوم في كتابه: لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل: قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات، وبالذي قلتم، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين؟

قال: كان بين القاتلين والقائلين خمس ماءة عام، فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا[1].

وذلك يدل على أن اعتقاد «الخوارج» في مخالفيهم الذين يكفرونهم يهون عليهم لرتكاب جريمة القتل في حقهم، حتى قتل أهل البيت (عليهم السلام).

وأما من يعتقد بأن مخالفيه من المسلمين، فإن إقدامه على قتل من يراه مسلماً يصبح أكثر قبحاً ويحتاج إلى المزيد من الجرأة على الله سبحانه، وعلى أحكام دينه، ولا يقدم على ذلك إلا بعد أن يبلغ الغاية في القسوة والجحود والطغيان والبغي.

المرجئة و«الخوارج»:

لقد ادرك الناس خطر «الخوارج» بصورة عميقة، وقد أصبحوا

(1) الكافي ج2 ص300/301.

يجعلونهم مقياساً لدرجة الخطورة في الدعوات المنحرفة، وقد كان إبراهيم النخعي يقول: لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة[1].

قسوة التعاليم:

ولعل من أهم الآثار التي نشأت عن تسوعهم في التكفير، ثم المباهاة لاتخاذهم الموقف القاسي والشرس ضد من يكفرونه، أن هذه العقيدة قد استطاعت أن تفصلهم تماماً عن كل الآخرين.. وتجعلهم أكثر تصلباً في مواقفهم، بعد أن لم يعد هناك أية فرصة للنقاش في أية مفردة من المفردات التي كانت تحكم تفكيرهم، وتهيمن على مواقفهم، وتدفعهم لممارسة أشد أنواع العنف في حق خصومهم.

حتى اصبح الشباب الذين ينساقون وراء شعاراتهم أسرى تلك الشعارات والأفكار، فهم يعيشونها بانفعال وتشنج يمنعهم من ممارسة أي نوع من أنواع التفكير الهادئ، والموضوعي والرصين. وتمنعهم من سماع وجهات نظر الآخرين، الذين يرون أنهم كفرة، لابد من استئصال شأفتهم، فهم ليسوا معنيين باي شيء يفكرون فيه،ولا مهتمين بالتفكير بأي مبرر يمكن أن يرضوه لأنفسهم مهما كان نوعه.

رغم القسوة:

ورغم قسوة تعاليمهم، وشراستهم في التعاطي مع خصومهم، فإنهم هم أنفسهم قد تخلوا عن كثير من تعاليمهم . كما سنرى . كما أنهم في

---

(1) سير أعلام النبلاء ج4 ص523 وفي هامشه عن ابن سعد ج6 ص274.

المجال العملي لم يصبروا على المكاره، بل التجأوا إلى أسلوب التقية، فمارسوه بصورة تصل أحياناً إلى حد الإسفاف، والاستهتار، الذي يرفضه الضمير، ويأباه الوجدان، كما سيتضح في الفقرة التالية..

جنون التقية:

إنه رغم أن «الخوارج» الأولين كانوا يحرمون التقية،ولا يجيزونها في قول أو عمل[1].

فإن أتباع زياد بن الاصفر قد جوزوها في القول دون العمل[2].

وقال النجدات بجوازها[3].

وقد أمر أبو بلال امرأة من بني يربوع بالتقية، وقال لها: «إن التقية لا بأس بها، فتغيبي، فإن هذا الجبار قد ذكرك»[4].

وأجاز بعض زعماء الصفرية تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية، دون العلانية[5].

وكذلك فإن الضحاكية .وهم فرقة من الإباضية . قد اجازوا ذلك الزواج، وأضافوا إلى ذلك قولهم: كما يسع الرجل منهم أن يتزوج المرأة الكافرة من قومه في دار التقية[6].

---

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً ص35.

(2) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص65 وعنه في الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص79.

(3) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص76.

(4) العقود الفضية ص110و112.

(5) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص122 والملل والنحل للشهرستاني ج1 ص143 والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص79.

(6) مقلات الإسلاميين ج1 ص175/176 والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص96 عنه.

وفرقة الحسينية . من الإباضية . أباحوا الزنى، وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك، يتقي به، ويغرم بعد ذلك[1] .

وقال النكارية .وهم من الإباضية . «يجوز شرب الخمر على التقية»[2] .

وستأتي قضية ابن إباض والسيد الحموي حين بلغه أن عبد الله بن إباض راس الإباضية، يعيب على علي (عليه السلام)، ويتهدد السيد بأن يذكره عند المنصور بما يوجب القتل، وكان ابن إباض يظهر التسنن، ويكتم مذهب الإباضية.

فكتب إليه السيد قصيدة طويلة يذكر فيها فضائل علي (عليه السلام)، فامتعض ابن إباض منها جداً، وأجلب في أصحابه، وسعى بها إلى الفقهاء والقواء، فاجتمعوا وساروا إلى المنصور.

ثم تذكر القصة: «ما اتهموه به، ودفاع السيد عن نفسه، وإحراج ابن إباض أمام المنصور حيث أمر بحبسه، فمات في الحبس، ثم أمر بمن كان معه فضربوا بالمقارع، وأمر للسيد بخمسة آلاف درهم»[3] .

ومما ذكرناه يتضح: أن قول البعض: «وجدنا «الخوارج» في أواخر العصر الأموي يأخذون بمبدأ التقية، ويعمدون إلى الدعوة السرية كأسلوب ينلوذ به الحكومة الأموية»[4] .

غير دقيق.. فإن التقية قد بدأت منهم منذ بدايات ظهورهم..

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً ص54 عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص363 (2) الإباضية ص62.

(3) أخبار السيد الحموي للمرزباني ص53/54.

(4) قضايا في التاريخ الإسلامي ص90.

تأثرات الإباضية بالمعتزلة في عقائدهم:

هذا.. وربما يتصور أحياناً تاثر الإباضية في بعض أصولهم العقائدية بالمعتزلة[1] وذلك بملاحظة مخالفتهم لأهل السنة في أصول عقائدية هامة، مثل مسائل التشبيه، والتجسيم. وعدم رؤية الله تعالى في الآخرة الذي هو رأي جمهور «الخوارج» أيضاً والجبر والقدر[2] . ومسألة خلق القرآن[3] حتى لقد قال نلينو: «إن الجزء الأكبر من مذهب الإباضية في شمال إفريقية إذن معتزلي»[4] .

هذا.. ولكن الذي يبدو لنا: أن الأمر ليس كذلك، إذ أن «الخوارج» وميهم الإباضية لم يتح لهم الاختلاط بالمعتزلة،ولا عايشوا التيارات

---

(1) راجع: ضحى الإسلام ج3 ص337 وليراجع ص334 والإباضية عقيدة ومذهباً ص72 و61 و73 و80 و95 و101 و147 والعقود الفضية حول نفي التشبيه ص287 وحول كون صفات الله عين ذاته ص285 وحول رؤية الله وحول عدم رؤيته في الآخرة ص287 وحول نفي الجبر ص144 وحول تولية المفضول ص155.

(2) إلا أن «من مذهب شيبان أنه قال بالجبر إلخ» الملل والنحل ج1 ص133.

(3) فإن جميع الخوارج يقولون بخلق القرآن راجع: المقالات للأشعري ج1 ص203 والخوارج في العصر الأموي ص203 عنه والإباضية عقيدة ومذهباً ص100و103و104 وراجع: مقدمة الأستاذ محمد عمارة لكتاب: رسائل العدل والتوحيد ج1 ص53 ، حيث ذكر عن المستشرق نلينو بعض أوجه الشبه بين فكر المعتزلة وعقيدة الإباضية استناداً الى كتاب: العقيدة الإباضية لعمرو بن جميع الإباضي، الذي عاش في القرن التاسع الهجري، وراجع أيضاً دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص476 وضحى الإسلام ج3 ص334 والإباضية عقيدة ومذهباً والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص92.

(4) مقدمة محمد عمارة لكتاب رسائل العدل والتوحيد ج1 ص53 وفي الهامش عن: بحوث في المعتزلة ص204 و205 و206 و208 وراجع دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص476.

الفكرية بصورة فعالة.. كما أن تفوقهم في البلاد، وبعدهم عن العواصم الإسلامية قد جعلهم أقل تعرضاً لذلك المد العارم للأحاديث الإسرائيليات، المنسوبة للنبي (صلى الله عليه وآله) ولبعض صحابته، وبقوا في تعاملهم مع النصوص القرآنية على طبعهم العربي الساذج.

ولأجل ذلك نقول: إن الظاهر هو أن الخوارج قد توصلوا إلى آرائهم العقائدية تلك بانفسهم، ومن دون اعتماد على الغير، أو تاثر بأحد.

بل نجد البعض: قد تنبه إلى هذا الأمر لذلك فهو يعكس القضية، ويقول: «لاحظ الدارسون حديثاً... العلاقة الوثيقة بين عقائد الإباضية والمعتزلة..

ويمكن أن نقول أيضاً: إن المعتزلة استوحوا الخوارج في بعض المسائل..»[1] .

مع العلم: «أننا لا نعرف فقه «الخوارج» وعقائدهم في مجموعها إلا عند الإباضية»[2] لأنهم هم الذين استمرت نحلتهم، ودونت عقائدهم وفقههم.

ونجد هذا التضارب في الآراء في هذا التأثر والتأثير قد سرى إلى زعيم الإباضية نفسه.

ففي حين نجد من يقول: إن عبد الله بن إباض قد رجع إلى الاعتزال. حتى قال أبو القاسم البلخي: والذي يدل على ذلك: أن أصحابه لا يعظمون أمره[3] .

نجد بعضهم الآخر يقول: إنه رجع إلى قول الثعالبة من فرق

(1) دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص476.

(2) دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص475.

(3) الحور العين ص173.

«الخوارج» «فوئ منه أصحابه، فهم لا يعرفونه اليوم. وقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم [1] فما عرفه منهم أحد» [2].

ثم أنكر ذلك المؤرخ الإباضي علي يحيى معمر حيث قال: «لم نزعم احد من الإباضية: أن عبد الله بن إباض رجع إلى قول الثعالبة، ولا يوجد أحد من الإباضية يبرأ منه، فهم مجمعون على ولايته، ويعتبرونه من أئمة المسلمين، ومن كبار التابعين» [3].

بل يدعي الإباضية: أن ابن إباض قد فارق جميع الفرق الضالة، وعد منهم الخوارج [4].

وهكذا يتضح: أن دعوى تأثر الإباضية بالمعتزلة تقابلها دعوى تأثر المعتزلة بالإباضية. وإن كان ظاهر الحال يقتضي صحة الدعوى الأولى.

وذلك بملاحظة الخلاف حول تقلبات ابن إباض نفسه، في الناحية العقائدية حسبما أشرنا إليه آنفاً.

فرقة الإباضية و«الخوارج»:

قد عرفنا فيما سبق: أن إحدى فرق «الخوارج»، وهي فرقة الإباضية تمتاز عن سائر فرق «الخوارج» بفقهها وعقائدها، وتختلف عنهم ومعهم، وقد ظهرت ملامح هذا الاختلاف في كثير من الموارد التي سجلناها فيما سبق، حتى قال البعض في ما يرتبط بموقع الإباضية من سائر فرق «الخوارج»:

(1) لعل الصحيح: عنه. أي عن ابن إباض.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج4 ص191.

(3) الإباضية ص46 عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص354.

(4) العقود الفضية ص121.

«.. والخلاف الذي بين فرق الخوارج من جانب، وفرقة الإباضية وحدها من جانب آخر، هو أعلى خلاف فيما بين الخوارج. وهذا الخلاف قد جعل بعض المؤرخين الإباضيين المحدثين لا يعد فرقة الإباضية بما انتهى إليه فقهها، وجملة معتقدها من الخوارج» [1].

بل لقد قيل: «إن معظم الكتاب والمؤرخين الإباضيين، فضلاً عن الأئمة منهم ينكرون علاقة المذهب تاريخياً [2]

بـ«الخوارج»» .

ويدعي الإباضية: أن إمامهم عبد الله بن إباض قد فارق جميع الفرق الضالة، وعدّ منهم «الخوارج» [3] .

تنكر الإباضية حتى للاسم:

وقال عامر النجار: «.. الإباضية غاضبون ممن يعتبروهم فرقة من «الخوارج»، ويقولون: إنما هي دعاية استغلتها الدولة الأموية لتنفير الناس من الذين ينادون بعدم شرعية الحكم الأموي.

كما أن للإباضية العديد من المواقف ضد «الخوارج» [4] .

وأصبح لفظ «الخوارج» مستقبحاً عندهم إلى درجة كبيرة ثم زاد استقباحه حين استبد به الأزارقة والصفرية» [5] .

---

(1) الإباضية ص35.

(2) المصدر السابق ص145.

(3) العقود الفضية ص121.

(4) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص81.

(5) العقود الفضية ص70 وراجع ص167.

الفصل الرابع

الفقه.. وأصوله

للتوضيح فقط:

إن ظهور «الخوارج» وإن كان قد يبرر على أنه بسبب شبهة أو خطأ في فهم أمر ديني.. ولكن صبغتهم في بادىء الأمر كانت سياسية محضة، ثم إنهم في عهد عبد الملك بن مروان مزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث لاهوتية، كما يقوله البعض [1] .

ثم جاء الإباضية بعد ذلك؛ فسنحت لهم الفرصة لتنظيم عقائدهم، وفقههم أكثر من غيرهم من فرق «الخوارج».

وتوضيحاً لذلك نقول: إن من يلاحظ الأحداث التاريخية، والاحتجاجات المتبادلة في الصدر الأول، يجد:

أمر «الخوارج» قد بدأ من خلال فهمهم الخاطىء . لو أحسنا الظن بهم . لمسألة بعينها، هي قضية التحكيم، وكان المفروض أن يقتصر خلافهم واختلافهم على هذه القضية بالذات. ولكن رأينا أنهم فيما بعد ارتدادوا بعداً عن المسار العام، وصارت تظهر لهم أقاويل في العديد من المسائل.

والدارس لحال هذه الفئة يلاحظ أنهم كانوا يعتمدون على فهمهم

(1) فجر الإسلام ص259.

الخاص للآيات القرآنية، وعلى استنباطاتهم العقلية المحدودة، في مجال التحديدات العملية للتصرفات والمواقف التي كانت تفرض نفسها . آنياً . عليهم، حيث كانوا يواجهونها باستفادات مرتجلة وسريعة، وما أكثر ما تكون سطحية، توجيها الميول، والعواطف، والأحاسيس الشخصية، ثم لا تلبث أن تتحول إلى مبدأ، وعقيدة، تخاض من أجلها اللجج، وتبذل في سبيلها المهج، وتزهق النفوس والأرواح.

ثم تصير سبباً في حدوث انشقاقات جديدة في صفوفهم، وتنشأ . من ثم . فرقة، أو فرق على الساحة، يرأ بعضها من بعض. ويستحلّ هؤلاء دماء أولئك، وبالعكس. حتى لنجد زيد بن جندب يهنِّئ أعداء الشراة من المحلين، بعد أن تفرق الأزارقة، وأصابهم التجابن، وتلهّوا باللعب دون الجد؛ فيقول:

قل للمحلّين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناساً على دين، ففرقنا ... قرع الكلام، وخلط الجدّ باللعب

ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم ... عن الجدال، وأغناهم عن الخطب

إني لأهونكم في الأرض مضطرباً ... ما لي سوى فرسي والرمح من نشب[1].

ثم إن تحريمهم العمل بالتقية الذي كان كثيراً ما يسقط تحت تأثير واقع الحروب القاسية التي كانوا يخوضونها، كان هو الآخر من أسباب إحداث تمزقات فكرية وعقيدية تنتهي بتكفير بعضهم بعضاً، ثم مواجهات حامية لبعضهم البعض..

أضف إلى ذلك: أن إيجابهم الخروج ضد الحكام وضد الكافرين إذا انضم إلى حكمهم بتحريم العمل بالتقية، فإنه كثيراً ما ينتج ثورات

(1) الخوارج في العصر الأموي ص280.

ارتجالية لم تبلغ درجة النضج،ولا حظيت بالإعداد والاستعداد الكافي.

«الخوارج».. والعلم:

إن من يراجع قائمة مؤلفات علماء الإسلام في العالم الإسلامي، يجدها لا تقع تحت عد،ولا يحيط بها حصر.. وقد شاركت مختلف الفرق الإسلامية وغيرها في التأليف والتصنيف بالمستوى المقبول والمعقول..

غير أن «الخوارج» لم يكن لهم حظ يذكر في هذا الاتجاه، فلم يكن ليخطر لهم على بال أن يشاركوا في النشاط الفكري والثقافي.. وكأن بينهم وبين هذا الأمر حالة من المنافرة السافرة.

وقد حاول البعض: تفسير ذلك فجاء بما لا ينفع ولا يجدي،ولا يصح، فقال: «.. وفيما نعتقد: أن السرّ وراء ندرة كتب الخوارج بينما توفر بين صفوفهم الشعراء والخطباء، هو أنه بجانب عدم استواء المذهب في هذا الموضوع يوجد عامل التكتم الشديد، والحذر من الناس، خشية أن يقع في أيديهم شيء يجمع قواهم ضد الخوارج، أو ينفر الناس منهم إلخ..»[1].

وهذا الكلام: مرفوض جملة وتفصيلاً لأنهم كانوا يجاهرون بعقائدهم تلك، فيقتلون الناس عليها.

ولأن من مذهبهم تحريم التقية. ورفض العمل بها، بل السر هو أعرابيتهم، وجهلهم، والإنسان عدو ما يجهل كما هو معلوم.

وليس ثمة أعظم محنة من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) على مر التاريخ، وهذه هي مؤلفاتهم تملأ الخافقين..

(1) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، ص133.

مؤلفو «الخوارج» في الفقه:

واللافت هنا: أن ابن النديم قد عقد فصلاً مستقلاً لفقهاء الشراة وذكر لهم مؤلفين وكتباً. وذكر مثل ذلك في دائرة المعارف الإسلامية مادة: أعز ابن.

ولكن ذلك لا يعني: أن ذلك يستحق التنويه به، والاهتمام بشأنه، لا من حيث الكيف،ولا من حيث الكم.. غير أن أصحاب الفهرستات يحبون أن لا تخلو كتبهم من ذكر شيء من ذلك، ليتمكن من يحتاج إلى الوقوف على مقالات هذه الطائفة أو تلك أن يرجع إلى كتبها، ليحصل على بغيته، ويبلغ مراده.

أسباب التخفيف من حدة التعاليم:

ويلاحظ: وجود بعض التخفيف من حدة التعاليم لدى فرقة الإباضية من «الخوارج»، ولعل ذلك من أجل أنهم شعروا أن ذلك هو ما يمكنهم من الاستمرار والبقاء، ومما سهل لهم وعليهم ذلك انحسارهم عن مواقع الاحتكاك والهيجان والتحدي، إلى مناطق

نائية، تنوقوا طعم الاستقرار، وأنسوا تدريجياً بالحياة الرافهة، وبتعبير أدق بحياة الراحة، فأتاح لهم ذلك الفرصة للتأليف في العقائد وفي الفقه، وتلطيف آرائهم، وإخضاعها للتبويب والتنظيم، وإن كانت قد بقيت مجرد تجارب بدائية، وغير ناضجة، ولا غزيرة.

وعلى كل حال: فقد قال بعض المستشرقين هنا، بعد أن ذكر أن جذوة «الخوارج» قد انطفأت منتصف القرن الثامن [أي الميلادي] أي في القرن الثاني الهجري. قال: «وبعد ذلك انحرفت فعالية «الخوارج» شيئاً

فشيئاً نحو التجارة، وتأليف الكتب الدينية الفقهية، والتاريخية»[1].

كما أن أبازهرة يعتقد: أن الإباضية: «لهم فقه جيد، وفيهم علماء ممتازون»[2].

ولكننا بملاحظة ما قدمناه لا نستطيع أن نوافق أبازهرة في هذا المجال، إلا في حدود بعض الجزئيات على النحو الذي أشرنا إليه آنفاً، وما عداه يفتقر إلى الدليل البرهاني القوي.

ولعل أبازهرة وغيره قد أخذوا ذلك من ابن خلدون، الذي يقول: «وتطير إلينا في هذا العهد من تلك البلاد [أي التي يتواجد فيها الخوارج] دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين، وتمهيد عقائده، وفروعه، مباينة لمناحي السنة وطرقها بالكلية، إلا أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب، وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة»[3].

وقد عرفنا من خلال الإطلالة على واقع تآليفهم: أن هذه أقوال مبالغ فيها، غير أن علينا أن لا ننسى أن جمودهم وسطحيتهم قد أديا في حالات كثيرة إلى ظهور كثير من السخافات المضحكة، بالإضافة إلى أنه قد جعل آرائهم تتسم بالسطحية والبساطة[4].

قال أحمد أمين: «.. من أجل هذا لم يرو لنا عن الخوارج مذهب مفلسف، ولا فقه واسع منظم، ولا نحو ذلك، إلا ما كان من الإباضية،

(1) الإسلام ـ ص188/189.

(2) تاريخ المذاهب الإسلامية ص85.

(3) تاريخ ابن خلدون ج3 ص170.

(4) ضحى الإسلام ج3 ص334و335.

أتباع عبد الله بن إباض الخارجي، الذي مات في عهده عبد الملك بن مروان، فإن هذه الفرقة عاشت، وانتشرت في شمالي إفريقية، وفي عمان، وفي حضرموت، وزنجبار، واستمرت إلى يومنا هذا؛ فكان من الطبيعي أن يكون لهم أصول اعتقادية، وتعاليم فقهية. وكذلك كان.. فقد تعدّل مذهبهم مع الزمان إلخ..»[1].

وقال الغرابي: «ويلاحظ: أنه لما ضعفت قوتهم الحربية اتجهت نفوسهم نحو الإنتاج العلمي، حتى أصبحت لهم مؤلفات

فقهية، وكلامية، ولغوية، وأدبية»[2].

و لسنا بحاجة إلى إعادة التذكير بأن ذلك لم يكن في المستوى اللائق، والمقبول، بل هو مجرد تجارب بدائية، فيها الكثير من السطحية، والضعف، ولا يمكن أن تقاس من حيث الدقة والاتقان بغيرها من مؤلفات سائر الفرق.

أضف إلى ذلك: أن عنفهم وحدّتهم في مواجهة المخالفات لتلك الآراء الفقهية والعقائدية كان من شأنه أن يضفي عليها لوناً غير مرغوب فيه، وينفر الناس حتى من ذلك الرأي الفقهي الذي ربما صادف وجاء صحيحاً في بعض الأحيان.

هل للإباضية فضل على العلوم الإسلامية:

وقد ادعى أحدهم أن: «.. الحق: أنه لا أحد يستطيع أن ينكر دور الإباضية في خدمة العلم

---

(1) ضحى الإسلام ج3 ص336 و337.

(2) تاريخ الفرق الإسلامية ص284.

الإسلامي، فقد اشتغلوا بالتدوين، فكانوا من أوائل من دوّن الحديث.

فإمامهم جابر بن زيد، من أوائل من دوّن الحديث، وأقوال الصحابة في ديوانه الذي وصفوه بأنه وقر بعير، ثم تلاميذه من بعده. وهم حملة العلم»[1].

ونقول:

أولاً: إن اعتبار جابر بن زيد من الإباضية بصورة قاطعة.. غير دقيق، وقد سئل جابر بن زيد نفسه. كما يقولون. عن انتحال الإباضية، فقال: أبرأ إلى الله من ذلك[2].. وكيف يكون اباضياً خارجياً، وقد روى عن معاوية وابن الزبير.

ثانياً: إن مجرد أن يتصدى رجل أو بضع رجال لتدوين الحديث، فذلك لا يعني أن ينسب إلى طائفته التي ينتمي إليها: أنها قد أسهمت إسهاماً كبيراً في خدمة العلم الإسلامي. بل لابد أن ينظر إلى حقيقة دوره في ذلك، وتقاس إسهاماته في هذا المجال مع ما أسهم به الآخرون، فقد يكون إسهامه لا يكاد يذكر إلى جانب ما أسهم به الآخرون..

ثالثاً: إننا لا نجد أثراً ظاهراً ومحسوساً لما دونه جابر بن زيد في مجمل التراث الحديثي الإسلامي. وكذلك ما دونه تلامذته من بعده.

رابعاً: إن من عدوهم من تلامذة جابر بن زيد ليسوا في عداد الإباضية، ولا «الخوارج»، فلماذا تعطى الأوسمة لهذه الفرقة جزافاً، وبلا حساب.

---

(1) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص82.

(2) الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ج1 ص494و495 وتهذيب التهذيب ج2 ص38.

خامساً: إنه قد ادعي: أن «الخوارج» هم حملة العلم.. وهي دعوى لم نعرف لها وجهاً معقولاً وليس لها شاهد أو دليل..

فإن حملة العلم هم علي والأئمة من ولده عليهم الصلاة والسلام، وأعني بهم الحسنان، والسجاد، والباقر، والصادق.. وتلامذتهم، ومن أخذ عنهم.

بالإضافة إلى آخرين حملوا شيئاً من ذلك، وهم ليسوا من «الخوارج» بالتأكيد.

تضييق «الخوارج» على أنفسهم:

ثم إن علينا: أن نضيف إلى ما تقدم أن جمودهم، وعدم مرونتهم في التعامل مع النصوص قد أوقعهم في ضيق فاحش، كما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «الدين واسع، ولكن «الخوارج» ضيقوا على أنفسهم من جهلهم»[1].

ومن مظاهر جمودهم هذا، وتضييقهم على أنفسهم بجهلهم أن أكثرهم كان ضد تأويل القرآن كما قدمنا.

الفتيا والعلم عند «الخوارج»:

ولكن ضحالة علم «الخوارج»، وقلة بل ندرة تآليفهم، لا تعني أنهم استمروا على هذا الحال إلى ما لانهاية.

بل الأمر قد شهد شيئاً من التغيير وإن كان طفيفاً، بالمقايسة بما كان عند غيرهم من الفرق والمذاهب، إذ قد كان من الطبيعي أن يعلق في أذهانهم بعض من أحكام الدين وتعاليمه، خصوصاً وأنهم يشنعون

---

(1) الكافي ج2 ص298 والوسائل ج3ص332 ح1 وج2 ص1072 ح3.

على بني أمية، ويرمونهم بالجهل وبالفجور، ومخالفة أحكام الله..

ثم إنهم يجتذبون بعض الشباب، والسذج والبسطاء بشعاراتهم الدينية، وبادعائهم أنهم حماة الشريعة، ودعاة الإيمان.. فكان لابد لهم من الإلمام بما يعوضهم جهلهم به إلى السخرية من الناس، وتهجين أمرهم.

ولعل هذا الذي ذكرناه يفسر لنا لجوء نجدة الحروري إلى ابن عباس لتعلم بعض ما أشكل عليه. واللافت: أن ما سأله عنه هو من أبسط مسائل الفقه وأوضحها..

ولا نبعد كثيراً إذا قلنا: إنه قد يكون لبعض ما عندهم من فتاوى ومعارف يسيرة نصيب من الصحة، لأنه في معظمه مأخوذ من السيرة العملية للناس، أو نابع من الطبيعة البدوية من حيث انسياقه مع الفهم الفطري والعفوي لبعض الآيات، أو لبعض الأحاديث النبوية.

وبذلك يكونون أفضل من العجلية. الذين هم فرقة من الزيدية. وأقرب منهم إلى فهم النصوص، حسبما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام).

فعن حمدويه، عن أيوب بن نوح، عن صفوان، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)؛ قال: «ما أجد أحداً أجهل منهم. يعني العجلية. إن في المرجئة فتيا وعلماً، وفي «الخوارج» فتيا وعلماً إلخ..»[1].

(1) اختيار معرفة الرجال ص229 و346.

ولكن من الواضح: أنه (عليه السلام) إنما قايسهم بالعجلية، وفضلهم عليهم، واعتبرهم كالمرجئة. ولم يقايسهم بفقهاء وعلماء سائر الفرق الإسلامية، فضلاً عن أن يقايسهم بالشيعة الأبرار رضوان الله تعالى عليهم..

فهم بالنسبة للعجلية من الزيدية لديهم فقه وعلم. إذن فمقدار ما عندهم إنما يعرف إذا قيس إلى ما عند العجلية، الذين يظهر من الإمام أنهم كانوا أجهل الخلق وأبعدهم عن العلم، ولذلك قال: «مارأيت أجهل منهم». حتى إن «الخوارج» والمرجئة يعدون من العلماء إذا ما قسناهم بالعجلية الذين بلغوا الغاية في الأمية والجهل..

ثم إنهم مالبثوا أن انكمشوا على أنفسهم من جديد، وانحسروا عن مناطق الثقافة والعلم، ليعيشوا في حواشي البلاد الإسلامية، في مناطق نائية، ولتعود إليهم أعرابيتهم. وأصبحوا لصوصاً سلابين، كما أخبر أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

تقييم إجمالي:

ولكن المهم في الأمر: هو أن تلك الفتاوى الصحيحة التي كانت عندهم مهما كانت قليلة، فإنها إنما كانت مجرد حالات جزئية أدركوها بالنقل، أو بالسليقة والفطرة الساذجة، منفصلة تماماً عن كل ما سواها، فلم يكونوا يملكون تصوراً عاماً، ولا نظرة شمولية، من شأنها أن تعطيهم القدرة على استيعاب المعارف المختلفة، وتوجيهها وجهة صحيحة في مجال الاستفادة منها والاستنتاج، وإدراك أبعاد الموضوع، وما يرتبط به..

وذلك هو بعض ما يرمي إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، حينما طلب من ابن عباس أن لا يخاصمهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه.

ابن حجية مخدوع، أم ماكر؟!

وعلى أساس ما قدمناه يظهر لنا جلياً: أن لا مجال لقبول المبالغات في إغداق الألقاب على «الخوارج» إلى درجة اعتبارهم من الفقهاء، والقراء، كما هو الحال بالنسبة ليزيد بن حجية الذي كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد ولاه الري، ودستبى؛ فسرق أموالهما، ولحق بمعاوية..

ثم كتب لأحد بني عمه رسالة جاء فيها: «.. والثالثة: أن قراءكم، وفقهاءكم، وفرسانكم خالفوكم، فعدوتم عليهم فقتلتموهم»[1].

فإن هذا الكلام غير مقبول، وهو دليل جهل ابن حجية، أو دليل سعيه لتضخيم الأمور، مضادة منه لعلي (عليه السلام)، ثم تبرير خيانته لدينه وامامه، بهذه الطريقة التي تعتمد التزوير للحقائق، والتضليل للناس.

وخلاصة القول:

1. إن هذا الكلام يدخل في سياق الكيد الإعلامي ضد علي (عليه السلام) وشيعته من قبل رجل خائن لأمانة الله، ورسوله،

والمسلمين. قد التحق بعدو ولي الله، ويريد أن يتزلف إليه.

2 . إن هذا الرجل . أعني يزيد بن حجية . لم يكن هو نفسه من أهل العلم والفقه، ليؤخذ بقوله في معرفة درجات الآخرين في هذه المجالات، فإن حاول شيئاً من ذلك، فإنما يقيس الآخرين على نفسه، ويقارن علمهم . أو ما توهم أنه علمهم . بجهله.

3 . ولو أردنا أن نغض الطرف عن ذلك، ونعتبره مخدوعاً بمظاهر هؤلاء القوم، فنقول:

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ـ ج2 ـ ص263 عن الموفقيات.

إن من الواضح: أنهم لم يكونوا هم الفرسان الموهوبون الأشداء في جيش علي (عليه السلام)، وقد ظهر ضعفهم وخورهم في حرب النهروان إلى درجة مزرية، وممعنة بالخزي والهوان.

4 . كما أنهم لم يكونوا الفقهاء في دين الله، بل كانوا على درجة من الغباء، إذ كانوا يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم كما قدمناه.

من فقه «الخوارج»!!

وكنموذج نشير إلى درجة فقاهتهم، وعلمهم بالشريعة نذكر ما يلي:

يقال: إن نجدة أسقط حد الخمر [1].

وقالت النكارية: إن الله لم يأمر بالنوافل. وأنه يجوز شرب الخمر على التقية [2].

والنكارية هم فرقة من الإباضية كما هو معلوم.

«وقد شهر نافع بقوله في الوراءة، والاستعراض، واستحلال الأمانة، وقتل الأطفال» [3].

كما أن الأزارقة: قد حرموا قتل النصارى واليهود، وأباحوا قتل المسلمين [4].

---

(1) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص76 و77.

(2) الإباضية عقيدة ومذهباً ص54 عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص363.

(3) راجع: مقالات الإسلاميين . ج1 . ص169 والكامل في الأدب . ج3 . ص1040 والمصنف المجهول . ص78 والخوارج في العصر الأموي . ص224 عمن تقدم.

(4) الفصل لابن حزم ج4 ص189 والخوارج في العصر الأموي ص226 عنه.

وذكر البعض: «أن الإباضية يجيزون شهادة غير الإباضي، ومناكحته، والتوارث منهم، وتحريم دمائهم» [1].

وكان الأزارقة: يستحلون أمانة غيرهم من الناس لكونهم مشركين؛ فأنكر عليهم ابن إباض، وصاحب الصفرية ذلك.

وقالا: إن الأمانة مؤداة للبر والفاجر على السواء [2].

وأنكرت النفائية خطبة الجمعة، وقالوا: «إنها بدعة. وأنكروا على الإمام استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية، ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا»[3].

وفرقة الحسينية من الإباضية: «أباحوا الزنى، وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك، يتقي بها، ويغرم بعد ذلك.

كما أنهم فرقوا بين الأسماء والأحكام، فسموا اليهود منافقين، وسموا المتأولين مشركين، وأجازوا السبي، وأحلوا النكاح منهم. وهم عندهم مشركون»[4].

والسكاكية من الإباضية يقولون: صلاة الجماعة بدعة. والأذان للصلاة عندهم بدعة، فإذا سمعوه، قالوا: نهق الحمار[5].

---

(1) الإباضية ص78و83 عن الفرق بين الفرق ص103 وراجع: الملل والنحل ج1 ص134.

(2) مقالات الإسلاميين ج1 ص174 والخوارج في العصر الأموي ص225و226 عنه وعن المصنف المجهول ص84.

(3) الإباضية ص58.

(4) الإباضية ص62.

(5) الإباضية عقيدة ومذهباً ص65 عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص275.

وذكروا: أن الأزارقة يوجبون على الحائض الصلاة والصيام في حيضها. وأنكره بعضهم[1].

أما البدعية فإنهم يزعمون: «أن الصلاة صلاتان؛ بالغداة ركعتان، وبالعشي ركعتان لا غير»[2].

وأبطلوا رجم المحصن، وأوجبوا قطع يد السارق من الإبط[3].

والميمونية يجيزون نكاح بناتهم[4].

وكان الربيع بن حبيب يقول بحلية المتعة[5].

وأما الميمونية، فإنهم يجيزون نكاح بنات الابن، وبنات البنات، وبنات بني الأخوة، وبنات بنات الأخوات.

قالوا: لأن الله عز وجل قال (وأحل لكم ما وراء ذلكم)[6].

وقال بعض البيهشية: السكر من شراب حلال، لا يؤاخذ صاحبه[7].

---

(1) الفصل لابن حزم ج4 ص189 والخوارج في العصر الأموي ص226 عنه، والنص والاجتهاد ص99 والعتب الجميل ص53 عن كتاب: نقد عين الميزان لمحمد بهجت البيطار.

(2) البدء والتاريخ ج5 ص138 والعتب الجميل ص53 عن كتاب: نقد عين الميزان للبيطار.

(3) النص والاجتهاد ص99.

(4) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص57 والإباضية عقيدة ومذهباً ص39.

(5) العقود الفضية ص156.

(6) البدء والتاريخ ج5 ص138. وراجع: الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص62و134، ومقالات الإسلاميين ج1 ص166

عن الكوابيسي والعتب الجميل ص53 عن نقد عين الميزان للبيطار، ودائرة المعارف الإسلامية ج8 ص475 والأنوار النعمانية ج2 ص248 واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص56 والإباضية ص36 عن الملل والنحل ج1 ص128 عن العجلدة وص129 عن الميمونية..

(7) الأنوار النعمانية ج2 ص246.

وعن الأخنسية تجويز نكاح المسلمات من مشركي قومهم [1].

علم علي (عليه السلام) بنظر الإباضية:

وإذا كانت هذه هي بعض النماذج من فقه هؤلاء القوم.. فإن ما يثير عجبنا هو أنهم كغيرهم يعترفون بتقدم علي (عليه السلام) في العلم والفقه، مع أن «الخوارج» هم ألد أعدائه (عليه السلام). ونكتفي هنا بما قاله الحارثي الإباضي عنه (عليه السلام): «كان علي آية في غزارة العلم، واستنباطه للأحكام، وحله للمشكلات. وكان عمر بن الخطاب يرجع إليه في القضايا المشكلة» [2].

السنة النبوية والإجماع:

كما أن فرقة السكاكية المتفرعة عن الإباضية قد أنكرت الإجماع كدليل على الحكم الشرعي. بل لقد أنكروا السنة النبوية، وزعموا: أن الدين كله مستخرج من القرآن [3].

وقال البعض: «كان من بينهم من يقول: بأن القرآن وحده هو المصدر المعترف به» [4].

(1) الأنوار النعمانية ج2 ص249 والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص65..

(2) العقود الفضية ص42.

(3) الإباضية عقيدة ومذهباً ص65 عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص275..

(4) دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص476.

«الخوارج» والرواية:

ولأجل ما تقدم، فإن «الخوارج» لم يكن لهم حظ في نقل السنة النبوية الشريفة.

قال الشيخ المفيد (رحمه الله) تعالى: «إن الخوارج ليسوا من أهل النقل والرواية، ولا يعرفون حفظ الآثار، ولا الاعتماد على الأخبار؛ لإكفارهم الأمة جميعاً، واتهام كل فريق منهم فيما يروونه، واعتمادهم لذلك على ظاهر القرآن، وإنكارهم ما خرج عنه القرآن، من جميع الفرائض والأحكام إلخ..» [1].

الاجتهاد:

وبالنسبة للاجتهاد فقد: «شهر ابن الأزرق بملاحقاته لابن عباس، وعرض مسائله الفقهية عليه»[2].

ومهما يكن من أمر: فإن «الأزارقة لا تعتبر الاجتهاد أصلاً في الأحكام، حتى إنه عند الأزارقة: أن ما لا ينص عليه من الأحكام ليس بواجب القيام به، كحدّ من يقذف الرجال.

وأما النجدات: فاهتموا بالاجتهاد أعظم الاهتمام. حتى إنه عندهم من اجتهد في شيء، وأخطأ فيه فهو معذور. بل جعلوا نصف الدين يعرف عن طريق الاجتهاد»[3].

---

(1) الجمل ص38.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص221 عن الاتقان ج1 ص149 و165.

(3) الخوارج عقيدة وفكراً، وفلسفة ص75.

هكذا صور لنا هذا المؤلف نظرة النجدات إلى موضوع الاجتهاد، لكن الأشعري لا يظهر هذا المستوى من الحماس. حيث إنه يكتفي بالقول: إن النجدات أجازوا الاجتهاد في بعض الأحكام الشرعية[1].

ونفهم من عبارته هذه: أن غيرهم من «الخوارج» ما كانوا يجيزون الاجتهاد، فلا غرابة في ندرة وجود فقهاء مشهورين يشار إليهم بالبنان فيهم، أو في وجود فقهاء تذكر لهم أقوال في سياق تعداد أقوال من يعتد بقوله.

ولعل سبب نسبة القول بجواز الاجتهاد إلى النجدات هو أنهم ينقلون عن نجدة الحروري قوله: «من استحل محرماً من طريق الاجتهاد فهو معذور، حتى إن من تزوج أخته أو أمه مستحلاً لذلك بجهالة، فهو معذور ومؤمن»[2].

عملهم بالقياس:

وقد وصف الشهرستاني: المحكمة الأولى بأنهم كانوا أشد الناس قولاً في القياس[3].

وقد أنكر البعض ذلك على اعتبار: أنهم لم يقبلوا احتجاج علي (عليه السلام) عليهم بالقياس في مسألة التحكيم بأمر الله بالتحكيم في الخلاف بين الرجل وزوجته، وزعموا: أن الله لم يأمر بالتحكيم في الحرب[4].

---

(1) مقالات الإسلاميين ج1 ص206 والخوارج في العصر الأموي ص204.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج4 ص134.

(3) الملل والنحل ج1 ص116 وحول قولهم بالقياس راجع: العقود الفضية ص166.

(4) الخوارج في العصر الاموي ص204 عن الكامل في التاريخ ج3 ص327.

ونقول:

إن قولهم هذا لا يدفع قول الشهرستاني، فإنه زعم أنهم كانوا يستعملون القياس في مسائلهم الفقهية الكثيرة. وموقفهم من

التحكيم في الحرب، ورفضهم قياسه على التحكيم بين الرجل وزوجته، يمكن أن يقال: إنه من أخطائهم الظاهرة لسببين:

أحدهما: إن ما احتج به علي (عليه السلام) عليهم ليس من قبيل القياسات الظنية التي يلتزم بها «الخوارج»، بل هو من قبيل تطبيق الحكم الكلي على موضوعاته، والاستدلال بالنص العام على موردٍ هو من مصاديقه.

الثاني: إنهم حتى إذا كانوا قد اعتبروا ذلك من قبيل القياس الظني، كانوا يعملون به في سائر المسائل الفقهية، فإن عدم قبولهم به يكون بسبب قلة تدوهم وهو أحد التناقضات التي وقعوا فيها وما أكثرها.

الثالث: إننا نقول: إن «الخوارج» الأولين الذين خرجوا على علي (عليه السلام) لم يكونوا من الفقهاء الذين يستنبطون الأحكام، ولا كانوا أصحاب اجتهاد، فضلاً عن أن يكون لديهم منطلقات وأسس اجتهادية والتفات إلى أن هذا من القياس، أو ليس منه، بل كانت مواقفهم منطلقة من نزوات، وارتجالات لا تستند إلى دليل معقول، ومقبول..

ومهما يكن من أمر، فإن التنصيص على أن السكاكية، وهم فرقة من الإباضية. قد أنكروا القياس[1]، يشير إلى أنهم بقولهم هذا قد خالفوا أهل نحلتهم. وبذلك يتأيد قول الشهرستاني. وهو يتحدث عن اطلاع، ومعاينة وهو أصح من اجتهاد غيره الظني.

(1) الإباضية عقيدة ومذهباً ص65 عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص275.

الفصل الخامس

أدب الخوارج

شواء «الخوارج»:

لقد عرف من «الخوارج» خطباء وشعراء، ولا سيما في الصدر الأول، حيث إن أكثر قادتهم كانوا من البدو، من جند الكوفة والبصرة[1]، وكان الإنسان البدوي يمتاز بالفصاحة في منطقه، ويمتلك قوات تعبيرية يمتاز بها عن غيره من سائر الناس.

الأرجاز في شعر «الخوارج»:

وحيث إنهم قد اتخذوا طريق العنف، والحرب وسيلة لتحقيق أهدافهم السياسية، فإن الرجز في الحرب يصبح ضرورة لهم، لأجل تشجيع الجبان، ومكابدة الحرب والطعان. ولأجل ذلك فإن غالب ما قالوه من الشعر قد جاء في وصف الحرب، وفي التشجيع على خوض غمارها، مادام أن حياتهم كانت تتخذ الطابع الحربي في غالب مقاطعها، وتميز شعرهم بكثرة الأرجاز فيه[2].

وهذا هو الطابع الذي يطبع أدب أهل البادية بشكل عام..

ولاسيما حين يواجه فرسانهم الأقران في ساحات الحرب والنزال.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية ج8 ص476 وراجع: الخوارج في العصر الأموي ص296.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص292.

شعراؤهم من العرب والموالي:

ورغم كثرة من نطق بالشعر فيهم، وكونهم من القبائل والفرق المختلفة؛ فإننا نلاحظ: أنهم لا يهاجمون الفرق الخارجية الأخرى، ولا كانوا يذكرون عقائد وخصائص فرقهم هم أنفسهم. بل إن شعرهم يكاد يكون لوناً واحداً.

وقد كان الذين قالوا شعراً من «الخوارج» ينتمون إلى قبائل عربية مختلفة باستثناء قريش[1].

وذكروا: أن لهم شعراء من الموالي أيضاً، مثل حبيب بن خدرة، الذي كان من موالي بني هلال[2].

وعمرو بن الحسن الإباضي، وهو من موالي الكوفة[3].

وعمرو بن الحصين، أحد موالي بني تميم[4].

وزياد بن الأعسم، الذي قيل: إنه من بني عبد القيس، أو من مواليهم[5].

ولكننا بدورنا: لا نجد لدى هؤلاء ما يستحق أن يجعل أياً منهم جديراً بأن يصنف أو يكون في عداد الشعراء، فإن وجود بعض المقطوعات لهم هو أمر عادي جداً في المجتمع العربي، الذي يكثر فيه أمثال هؤلاء.

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص250.

(2) البيان والتبيين ج3 ص261.

(3) معجم الشعراء للمرزباني ص229.

(4) الأغاني ج20 ص102.

(5) عن أنساب الأشراف ج7 ص118.

نعم يمكن أن يعد عمران بن حطان من شعرائهم،رغم تجاهل الأدباء له، ولعله لأنهم لم يروا في شعره ما يستحق أن يجعله يصنف في عداد الشعراء أيضاً.

كيف يرى المؤلفون أدب «الخوارج»:

وقد أفاض الكتاب والمؤلفون في تسطير الآراء التي يقترب بعضها من الحقيقة، بينما يهاجر بعضها عنها مغاضباً لها، ليستقر في أعماق الخيال والأوهام، غير آسف على شيء؛ لأنه آثر أن يعتصم بصوامع المجهول، وينعم بزيف الغي والجهالة إلى غير رجعة..

ونحن نذكر هنا: بعضاً من ذلك، مما ظهر فيه الخلط بين الحق والباطل، والمزج بين الواقع والخيال، فنقول:

1 . قد وصف البعض شعر «الخوارج» بقوله: «.. إنه شعر ثورة جامحة. محوره الأنا، ونحن. وإطاره المذهب الخارجي. وغايته فراديس السماء» [1] .

ونحن لا نوافقه على قوله: «شعر ثورة جامحة» ونقول: بل هو شعر البدوي، الذي يعتمد على سيفه ورمحه لنيل ما يطمح إليه، حقاً كان أو باطلاً.ولا يعتمد على المنطق، والبرهان..ولا ينطلق من دواعي الضمير والوجدان،ولا تقيده الروادع الدينية والإيمانية.. فلا يمكن أن نعتبر هذا السلوك الطبعي المتأصل في الأعراب الغارقين في بحار الجهل والهوى.. أنه ثورة، أو أنه إحساس وجداني نبيل.

ونرفض أيضاً: أن تكون غاية ذلك الشعر هو فراديس السماء.. فإن

(1) الخوارج في العصر الأموي ص292.

الله لم يطلع هذا القائل على غيبه، ليقرأ في قلوب أولئك الشعراء غاياتهم ونواياهم..

وإذا كان الشعر مبنياً على التبجح، والادعاء، والمبالغة..

ثم إذا كان «الخوارج» . كما ظهر من فصول هذا الكتاب بالنصوص والأرقام . طلاب دنيا، ورواد حكم، يبحثون عن ذلك بكل خف، ويسعون له بكل حافر وظلف.

وإذا كانوا أيضاً لا يتورعون عن ارتكاب أي شيء في سبيل ذلك، حتى الكذب على رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) وآله، فكانوا إذا أحبوا شيئاً صيروه حديثاً..

فهل يمكن بعد هذا استكشاف نواياهم، وغاياتهم من شعرهم الذي ينشدونه في مواقع المواجهة؟! حيث يهيمن الغرور، وتستيقظ العنجهيات.

أضف إلى ذلك: أن أهم ما يجذب الناس إلى «الخوارج» هو إدعاؤهم أنهم ملتزمون لخط الشريعة، ومتصلبون في الدين. فلماذا لا يستخدمون هذا الأمر في إعلامهم من أجل ذلك أيضاً.. بهدف إثارة الحماس لدى السذج والبسطاء من الذين لم يطلعوا على حقيقة نوايا قادتهم وزعمائهم؟!

2 . ثم إن ثمة نصاً آخراً، يقول: «يمكن القول: إن الشعر عند شعراء الفرق الخارجية . بشكل عام . كان إما تسجيلاً لأعمال حربية، أو رثاء لقتلاهم . تزغيباً أو ترهيباً»[1] .

(1) المصدر السابق ص252.

«ولعل الظاهرة العامة الأخرى، التي تطغى على شعر «الخوارج»: أنه جاء في أكثره يخاطب المشاعر، والوجدان، دون أن يعمد إلى مخاطبة العقل والمنطق؛ لإعطاء الحجة المقبولة، والبرهان العقلي لما ينادون به، فكان عملهم أشبه ما يكون بعمل الصحافيين، الذين يعمدون إلى إلهاب عواطف الناس، واستثارة حماس جماهير العوام، بالكلمات المؤثرة، والشعارات المثيرة.

ولا ننسى مدى فعالية هذا الأسلوب على جماعة «الخوارج» الذين كانوا بأكثريتهم الساحقة، من الأعراب، والقراء المتدينين»[1] .

وهذا الكلام: وإن كان في أكثره معقولاً ومقبولاً، لكن لنا تعقيب على العبارة الأخيرة، فإن تدينهم، لم يكن قائماً على أسس فكرية، وقناعات حقيقية، وإنما هي ظواهر ومظاهر ألفوها، ووجدوا فيها سبيلاً إلى الحصول على بعض ما عجزوا عن الحصول عليه بالأساليب الأخرى؛ وقد أخبر النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): أنهم يقرأون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم. وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وقد دلت ممارساتهم على ما نقول فلا حاجة إلى الإعادة.

مبالغات لا مبرر لها:

ثم إن بعض الكتاب: قد زعم.. أن للخوارج أدباً له طابع مميز، وخصائص معينة، تنسجم مع واقع الحياة، ومع المفاهيم التي كانوا يعيشونها، فقد كانت لديهم نفوس بدوية، تملك سرعة الخاطر، والقدرة على البيان، بأوجز عبارة وأقوى لفظ، إلى جانب ذلك تحمس،

(1) المصدر السابق ص286.

وصراحة، وعاطفة، وليس في أدبهم أثر للخمر والمجون، وإنما فيه القوة والصلابة، والجمال، والقتال، وهو أدب لساني، لا أدب مكتوب، بل هو خطب وشعر، وبديهة واحتجاج[1] .

وقالوا أيضاً: «هذه الصفات، أعني الشدة في الدين والإخلاص للعقيدة، والشجاعة النادرة، يضاف إليها العربية الخالصة هي التي جعلت للخوارج أدباً خاصاً يمتاز بالقوة، شعراً ونثراً، تخيّر للفظ، وقوة في السبك، وفصاحة في الأسلوب»[2] .

ونقول: إن هذا الوصف المتورع لشوهم مفرط في المبالغة، ولا يعبر عن الحقيقة.. وهو ظاهر الخلل، بيِّن الزيف والخطل.

فلاحظ ما يلي:

1 . قوله: إن لأدب «الخوارج» طابعاً مميزاً، وخصائص معينة.. ليس بذي قيمة، لأن «الخوارج» إذا كانوا أعرابا ًجفاة، يطغى عليهم الجهل، والهوى، والبداوة، فإن شعرهم سوف يكون حتماً شعر الأعراب الجفاة، الذي يفقد الطلاوة، ولا يملك صوراً خلابة، ولا خيالاً رائعا ًومثيرا.ً

2 . إننا لم نجد في شعر «الخوارج» ذلك الجمال الذي ادعاه، بل هو شعر تقريري يقتصر على ألفاظ عادية ومتداولة. ولا يقدم أية صورة شاعرية، تحمل شيئاً من الإبداع والجمال اللافت..

3 . لا نجد للخوارج احتجاجاً قوياً ًولا مؤثرا،ً ولاسيما في مقابل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه الأخيار والأبرار. بل كانت احتجاجات غيرهم هي التي تؤثر فيهم، فيتراجعون عن مواقفهم بالمئات والألوف..

---

(1) راجع: ضحى الإسلام ج3 ص344 و345.

(2) فجر الإسلام ص264.

وأما حين يواجهون الأمويين فإنهم لا يحتاجون امتلاك قوة احتجاجية خاصة، بل يكفي ذكر وسرد مثالب بني أمية، التي يمكن أن يقوم بها أضعف الناس فيستطيل بها على أبرع الناس في الاحتجاج..

4 .وأما الخطب.. فإن سرد مخازي بني أمية يكفي أضعف الناس عن أي خطاب، لكننا نجد في المقابل أن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) كانوا هم مضرب المثل في ذلك، حيث يضرب المثل بصعصعة بن صوحان في ذلك، فقيل: «أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج».

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ردهم بكلامه الحلو في غير موطن حسبما اعترفوا به هم أنفسهم كما تقدم.

5 . أما بعض العبارات المتميزة التي تنسب لبعض زعمائهم.. فيجدها الباحث المتتبع في ثنايا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهي إما مسروقة منه (عليه السلام)، منحولة لغيره.. وإما أن «الخوارج» أنفسهم كانوا يحفظونها عنه، وقد استفادوا منها في خطبهم، فأعطتها قوةً ورونقاً..

وما أكثر الغارات على كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، وخطبه، وفضائله وكراماته كما لا يخفى على الباحث الأديب، والمتتبع اللبيب..

6 .وأما بالنسبة للصراحة، فإن من بيده السيف قادر على أن يتكلم بما يشاء.. ولكن حين يقع السيف من يده، فإنك تجده يستعمل التقية في القول وفي الفعل بإغراق شديد. وبإمعان بالغ، كما كان الحال بالنسبة للخوارج.

7 .وأما الإخلاص للعقيدة، فقد ذكرنا الكثير مما يدل على أن أمر الدنيا كان هو الأهم عندهم، والأولى بنظرهم.

8 .وعن شجاعتهم الناذرة ذكرنا أيضاً، ما يكذب الشائعات التي أعطتهم صورة الشجعان الأتقياء، والبررة الأوفياء..

9 .ويضحك الثكلى حديثه عن: «تخير للفظ، وقوة في السبك». فإننا لم نجد في شعرهم إلا عفوية البدوي الجاهل، الذي

يبتدر الكلام بما تيسر له من ألفاظٍ يلتقطها مما يجده في طريقه، وهو على عجلة من أمره..

وحسبنا ما ذكرناه: فإننا لا نريد أن نفسح المجال للذين يحاولون أن يتورعوا بأوسمة الاتهامات الجاهزة، ليخلعوا علينا حللاً منها موشّاةً بالتعصب لتعصب المذهبي تارة، أو الاتهام بالانطلاق من أفكار عنصرية أخرى، أو ما إلى ذلك..

دعاوى أخرى حول أدب «الخوارج»!!

يقول البعض: «إذا كان شعر الخوارج ونثرهم، يمثلان أصدق تمثيل حياتهم الحربية، وأحاسيسهم الوجدانية، وعواطفهم الدينية، وآمالهم العريضة؛ فإن هذه الآثار الأدبية قد فشلت فشلاً تاماً في إعطاء صورة واضحة للفكر الخارجي، أو للعقائد الخارجية السياسية منها والدينية، هذا إذا استثنينا ما يستخلص من مزاعمهم: نحن الإسلام، والإسلام نحن».

ولعل هذه الظاهرة تخالف ما عهدناه عند معاصريهم من الفرق الإسلامية الأخرى؛ فإن الشعر الشيعي، يسجل لنا بوضوح مبادئ الشيعة، وعقائدهم، على اختلاف نظرياتهم.

وكذلك الحال عند المرجئة: «فإن لثابت قطنة قصيدة أودعها مختلف آراء هذه الفرقة وعقائدها..»[1] انتهى.

(1) الخوارج في العصر الأموي ص253/254.

ونقول: من أين للخوارج الفكر العقائدي والسياسي، الذي يمكن التعبير عنه في الأدب والشعر، وهم إنما كانوا في بادئ أمرهم أصحاب أطماع، وسفاحين، ثم انتهى أمرهم إلى أن أصبحوا لصوصاً سلابين.

وإن كان لدى بعضهم حب للوصول إلى الحق، فإن جهود هؤلاء لم تنته إلى نتيجة ظاهرة، فإنهم بعد أن اتبعوا غير سبيل الصالحين، بتخليهم عن إمامهم، ثم محاربتهم له، واصرارهم على الوراءة منه، وتكفيره، قد تاهوا في خضم الشبهات، ثم وقعوا في فخ أصحاب الطموح والأطماع، حركتهم . كما بدأت . حركة عدوانية طامعة في الحصول على شيء من حطام الدنيا..

وقد بقوا غارقين في مشاكلهم مع الآخرين، يهيمن عليهم الجهل، والأعرابية، ويسوسهم الهوى؛ فلم يكن لديهم علماء يهذبون لهم أفكارهم، ويحددون لهم مذاهبهم، ويهتمون بإعطائها صفة معقولة ومنسجمة، إلا بعد أن مضت المئات من السنين، وقد كان ذلك في مستويات بدائية ضحلة، وغير ناضجة..

فمحاولة مقايستهم بالشيعة وحتى بالمرجئة تصبح محاولة فاشلة، ليس لها ما يبررها.

ويقول البعض: «.. ولعل ما يلفت النظر بشأن شعراء الفرق الخارجية، أن شعر كل جماعة منهم جاء متناسباً مع حجم الأعمال العسكرية، التي قامت بها كل منها؛ فالأزارقة كثر شعرهم الحربي؛ تسجيلاً لبطولاتهم، وانتصاراتهم الحربية؛ لان وجودهم كان سلسلة متصلة من المعارك المتواصلة.

والصفرية قل شعرهم الحربي، لأن اكثرهم مال إلى القعود.

ولكن يبدو أن الرواة قد حالوا بيننا وبين ما قيل في تصوير انتصارات شبيب الحروري الأسطورية.

أما النجدية: فإن الخلافات المبكرة في صفوف زعمائهم حالت بينهم وبين الأعمال الحربية العظيمة المستمرة، فقل شعرهم بذلك.

والإباضية: لم نسمع لهم شعراً إلا بعد أن قاموا بمحاولاتهم الجديّة للاستيلاء على بلاد الحجاز، واليمن، وما دونهما»[1].

خلاصة الرأي في أدب «الخوارج»:

ونقول:

إن ما يقال عن وجود حياة أدبية ذات قيمة لدى «الخوارج» لا يمكن قبوله على إطلاقه، فإن غاية ما يمكن أن يقال هنا هو:

إنه قد ظهرت منهم في حروبهم أو في غيرها بعض المقطوعات، النثرية والشعرية، التي جاء أكثرها حماسياً، ولكن لم يكن فيها الكثير من الجمال والإبداع، بحيث يهتم بتدوينها هواة الشعر والأدب، وجامعوه في كتبهم ومصادرهم.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن أبا الفرج والمسعودي لم يوردا إلا النزر اليسير من أخبارهم الأدبية، كما أن ابن قتيبة لم يأت على ذكرهم في كتابة الشعر والشعراء، إلا بشأن سرقات الطرماح من الشعراء الآخرين، بينما ابن سلام لا يرى احداً منهم يستحق التصنيف في طبقاته[2].

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص252.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص253/254.

وإذا كانت الكتب التاريخية، وهي تسجل لنا تاريخ «الخوارج» قد أوردت ما أنشأوه في مواقفهم المختلفة، فإن ذلك قد جاء رعاية لأمانة النقل، وحفاظاً على تناسق الأحداث.. لا لأنها كانت تمتاز بجمال لافت، استحقت لأجله التسجيل.

وقد حاول البعض: إرجاع عدم وجود رواية لمقطوعات أدبية بكثرة لهم، في ما بأيدينا من كتب الأدب وغيرها إلى تعمد الرواة، والمؤرخين تجاهل ذلك. وهو الأمر الذي نشأ عنه ضياع نتاجهم الأدبي، فلم يصلنا إلا القليل من شعرهم[1].

وقد رأوا: أن هذا التعمد يرجع. كلاً أو بعضاً. إلى الأسباب التالية:

1. إن اللعنات التي انصبت على «الخوارج»، عامة قد انعكست على آثارهم الأدبية، فاضطهدهم الرواة والمؤرخون، وأهملوا إنتاجهم وتركوه نهباً للضياع[2].
2. إن بعض المؤرخين قد يكون قد أهمل شعر «الخوارج» كرهاً لهم.
3. أو تجنباً لإثارة خصوم «الخوارج» عليهم.
4. إن «الخوارج» لم يتخذوا الشعر حرفة للتكسب، فلم يحرصوا على روايته وإثباته.
5. إن سيطرة القرآن ووجدانهم عليهم قد حال بينهم وبين الاهتمام الزائد بفنّ الشعر.

(1) الخوارج في العصر الأموي ص253/254.

(2) القاضي النعمان في كتابه: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص406 نقلنا ذلك عنه بواسطة كتاب: الخوارج في العصر الأموي ص253/254..

6 . إن موت العديد من الشعراء في الحروب المتواصلة كان سبباً لضياع أكثر شعرهم، لأن أبرز شعرائهم كانوا هم فرسانهم الذين قتلوا[1].

ونقول:

إن نفس ذلك الشخص الذي ذكر ما تقدم قد أجاب على النقاط الثلاث الأولى. فلا حاجة إلى الحديث عنها.

وأما بقية النقاط فنحن نشير فيما يرتبط بها إلى المناقشات التالية:

1 . «إن آخرين منهم [أي من الرواة والمؤرخين] أبدوا اهتماماً زائداً بشعرهم. وأخبارهم أيضاً؛ فلم يتحرجوا من نقل أخبار بطولاتهم الحربية، وشجاعتهم النادرة؛ فهذا ما نلحظه في كامل المبرد، وتاريخ الطبري، وأنساب البلاذري، وغيرها من المصادر القديمة.

2 . يضاف إلى ذلك: أن جمع الأدب وتسجيله، قد تم في فترة زمنية لم يكن فيها للخوارج شأن خطير، ولا شوكة ظاهرة. وفي وقتلم يجد فيه بعض المؤرخين حرجاً في إثبات روايات أبي عبيدة، معمر بن المثنى، الخارجي، اليهودي الأصل[2].

فلا يصح بعد هذا أن يعمم الحكم؛ فيقال: إن أخبار «الخوارج» قد طمست، وإن أشعارهم قد دفنت.

3 . فالرواة الذين نقلوا إلينا أعنف افتراء على علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في مديح عمران بن حطان لابن ملجم، لا يتحرجون في نقل ما هو أخف حدّةً، وأقل عنفاً»[3].

(1) الخوارج في العصر الأموي ص254 فما بعدها.

(2) أحال هذا القائل هنا على كتاب: وفيات الأعيان ج4 ص227.

(3) الخوارج في العصر الأموي ص254.

4 .وأما دعوى: أنهم لم يحرصوا على إثبات شعرهم، لكونهم لم يتخذوه للتكسب.

فهي غير وجيهة؛ إذ قد رأينا أن المؤرخين قد أثبتوا جميع أنواع الشعر، ورووه، بل إن رواية الشعر الذي يقال: إنه لغير التكسب أدعى، وأولى بالإثبات، سواء بالنسبة لصاحب الشعر، أو بالنسبة لغيره ممن تصدى من الناس للرواية وللكتابة.

5 .وحول سيطرة القرآن على وجدان «الخوارج»، حتى صرفهم ذلك عن الاهتمام الزائد بفن الشعر، نقول: إن هذا الكلام يستبطن إنكار أن يكون للخوارج أدب وشعر من الأساس..

أضف إلى ذلك: أنها دعوى يكذبها ما ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصف «الخوارج»، من أنهم يقرؤون

(1)

القرآن،ولا يجاوز تراقيهم .

فإن معنى ذلك هو أنه لا سيطرة للقرآن على وجدانهم، فلا تأثير له إذن على موقفهم من الأدب والشعر، لا سلباً ولا إيجاباً..

6 . ثم إن ما ذكر أخيراً من أن شعراءهم إنما كانوا فرسانهم، وقد قتلوا في الحروب؛ فذلك هو سبب عدم نقل شعرهم إلينا.. لا يصح أيضاً، إذ أن الشعر إنما يرويه الآخرون عنهم، ممن سمعه منهم. وقد عاش هؤلاء الفرسان: الشعراء (حسب الفرض) إلى حين قتلوا . عاشوا . بين المئات والألوف من الناس، فلماذا يختفي شعرهم فقط،ولا يختفي شعر الكثيرين من الفرسان، الذين أكلتهم الحروب، وقد خلدها عنهم الرواة والمؤرخون.

---

(1) تقدمت مصادر هذه الرواية في أوائل الكتاب، فراجع.

إلا أن يكون المقصود بالشعر الذي لم ينقل هو تلك الأرجاز التي تأتي على البديهة في ساحة الحرب والنزال، وهي جهد ضئيل، لا يكاد يصل إلى درجة أن يصبح حياة أدبية لطائفة واسعة الانتشار في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

صعصعة.. و«الخوارج»!!

ولابد من التذكير هنا بحقيقة أن كل خطب «الخوارج»، وكل أراجيزهم الحماسية، لم تستطع أن تصمد أمام المنطق القوي، والبليغ، والحزم الذي كان يواجههم به اصحاب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)،ولاسيما صعصعة بن صوحان العبدي، الرجل الفذ، الذي جمع إلى بلاغة المنطق، صواب القول، وسطوع الحجة، فبهرهم بذلك، وأعجزهم عن مجاراته، حتى أصبحت مواقفه معهم مثلاً سائراً في الناس.

يقول الجاحظ: «إن أشيم بن شقيق، بن ثور، قال لعبد الله بن زياد، بن ظبيان: ما كنت تقول لربك . وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟!

قال: أسكت، فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان، إذا تكلمت الخوارج»[1] .

وقد بلغ من تأثير خطب صعصعة: أنه وعظهم مرةً، فرجع منهم خمس مئة، فدخلوا في جملة علي وجماعته[2] .

بل يذكر طه حسين: أن صعصعة وعظهم؛ فرجع منهم ألفان[1] ولعل ذلك كان في مناسبة أخرى له معهم.

وقال البلاذري: «.. فبعث إليهم عليٌّ، ابن عباس، وصعصعة، فوعظهم صعصعة وحاجهم ابن عباس، فرجع منهم ألفان»[2] .

من خطب ومواقف صعصعة مع «الخوارج»:

وقد ذكر المفيد: ((رحمه الله)) أحد مواقف صعصعة مع «الخوارج»، وهو يدل على ثبات قدم صعصعة في مجال الخطابة والوعظ، وعلى قوة عارضته، ثم على ثباته في عقيدته، وثاقب فكره، ووعيه.

يقول النص المحكي عنه: لما بعث علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) صعصعة إلى «الخوارج» قالوا له: أرأيت لو كان علي معنا في موضعنا، أتكون معه؟!

قال: نعم.

قالوا: فأنت إذاً مقلد علياً دينك!! ارجع فلا دين لك.

فقال لهم صعصعة: ألا أقلد من قلد الله فأحسن التقليد؛ فاضطلع بأمر الله صديقاً لم يزل؟! أو لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا اشتدت الحرب قدمه في لهواتها؛ فيطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، عنه يعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون؛ فأنى تصرفون؟ وأين تذهبون؟ وإلى من ترغبون؟ وعمّن

---

(1) البيان والتبيين ج1 ص326/327 وذكر المعتزلي هذا النص في شرحه للنهج ج3 ص398 ، لكنه لم يذكر الخوارج، ونص عبارته هكذا: [إن تركت أحتج، كنت أخطب من صعصعة بن صوحان].

(2) أنساب الأشراف [بتحقيق المحمودي] ج2 ص354.

تصدفون؟ عن القمر الباهر؟والسواج الزاهر، وصواط الله المستقيم، وحسان الأعد[1] المقيم. قاتلكم الله أنى تؤفكون؟ أفي الصديق الأكبر، والغرض الأقصى ترمون؟ طاشت عقولكم، وغلرت حلومكم، وشاهت وجوهكم. لقد علوتم القلة من الجبل، وباعدتم العلة من النهل.

أتستهدفون أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ووصي رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ لقد سوّلت لكم أنفسكم خسواناً مبيناً. فبعداً وسحقاً للكوفة الظالمين، عدل بكم عن القصد الشيطان، وعمى لكم عن واضح المحجة الحرمان.

فقال له عبد الله بن وهب الراسبي: نطقت يا بن صوحان بشقشقة بعير، وهدرت فأطنبت في الهدير. أبلغ صاحبك أنا مقاتلوه على حكم الله والتنزيل.

فقال عبد الله بن وهب أبياتاً. قال العكلي الحوملي:ولا أدري أهي له أم لغوه:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكم

فإن تبتغوا حكم الإله نكن لكم إذا ما اصطلحنا الحق والأمن والسلم

وإلا.. فإن المشرفية محذم بأيدي رجال فيهم الدين والعلم

فقال صعصعة: كأني انظر إليك يا أخاراسب متوملاً بدمائك، يحجل الطير بأشلائك، لا تجاب لكم داعية،ولا تسمع لكم واعية، يستحل ذلك منكم إمام هدى. قال الراسبي:

سيعلم الليث إذا التقينا دور الرحى عليه أو علينا

(1) في بعض النسخ: وسبيل الله المقيم.

أبلغ صاحبك: أنا غير راجعين عنه، أو يقر لله بكفره، أو يخرج عن ذنبه، فإن الله قابل التوب، شديد العقاب، وغافر الذنب؛ فإذا فعل ذلك بذلنا المهج.

فقال صعصعة: عند الصباح يحمد القوم السُّرى.

ثم رجع إلى علي (صلوات الله عليه)، فأخبره بما جرى بينه وبينهم إلخ[1].

فالراسبي لم يجب صعصعة إلا بالشتم والإهانة، ولم يكن لديه حجة،ولا دليل منطقي يبرر به ما يقدم عليه.. بل هو حتى لم

يقابل الموعظة، بالموعظةولا النصيحة بالنصيحة، بل أعلن عن أطماعه الدنيوية بالوصول إلى الحكم،وأن يكون لهم دون غيرهم. ونجد صعصعة يقدم صوراًرائعة من البلاغة،والوعي،والعقلانية،والغيرة على مصلحة الأمة،والعمق العقيدي القائم على أساس قوي، ومتين وعلى الرؤية الواضحة.

وفي نص آخر: أنه لما فارقت «الخوارج» علياً (عليه السلام)، وتولوا حروراء مع ابن الكواء بعث علي (عليه السلام) إليهم ابن عباس، وصعصعة.

فقال لهم صعصعة: إنما يكون القضية من قابل؛ فكونوا على ما أنتم حتى تنظروا القضية كيف تكون.

قالوا: إنما نخاف أن يحدث أبا [كذا] موسى شيئاً يكون كفواً.

قال: فلا تكفروا العام مخافة عام قابل.

فلما قام صعصعة، قال لهم ابن الكواء: «أي قوم، ألستم تعلمون أني دعوتكم إلى هذا الأمر؟

قالوا: بلى.

---

(1) الإختصاص ص121/122.

قال: فإن هذا ناصح فأطيعوه»[1].

هفوة ظاهرة:

ولا حاجة بنا إلى التعريف بصعصعة، ووفائه الظاهر لامير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن مات، ودفاعه عن قضيته (عليه السلام) في قبال «الخوارج» وغيرهم بكل ما أوتي من قوة وحول. فإن ذلك من بديهيات التاريخ التي لا يرقى إليها أدنى شك أو شبهة.

ولكننا: مع ذلك نجد الجوزجاني يعد صعصعة بن صوحان بالذات في جملة «الخوارج» الذين نبذ الناس حديثهم اتهاماً لهم[2] فاقرأ ذلك واعجب ما بدا لك، فإنك ما عشت أراك الدهر عجباً.

---

(1) لسان الميزان ج3 ص329 عن يعقوب بن شيبة.

(2) أحوال الرجال ص35.

الباب التاسع

تلك هي البداية .. وهذه هي النهاية

الصفحة 264

الصفحة 265

الفصل الأول

يكون آخوهم لصوصاً سلابين

الصفحة 266

الصفحة 267

بداية:

قد أشرنا فيما سبق إلى أن «الخوارج» من بين سائر الفرق كانوا أسرع ما يكون إلى التشعب والتفرق إلى فرق، ومذاهب شتى.. ولذا.. فقد ظهرت لهم فرق كثيرة.. ولكنها سرعان ما اختفت وبادت.

بل إن أكبر فرقهم وأهمها، وهي: الأزارقة والنجدات، والعجاردة، قد بادت واختفت أيضاً كغيرها من الفرق الصغيرة.. ولم يبق منهم إلى عهد ابن حزم سوى فرقتي الإباضية والصفرية، وكان الغالب على خوارج الأندلس في زمانه النكار من الإباضية[1].

وكان الخلاف ينشب بينهم لأتفه الأسباب، فيصيرون لأجلها فرقاً دينية، يقتل بعضهم بعضاً، ويرأ بعضهم من بعض، على حد تعبير ابن شاذان[2].

ويكفي أن راجع: . على سبيل المثال . ما فعلته فرقة الحمزية منهم بـ«الخوارج» من أتباع الفرق الأخرى من القتل والجرائم[3].

(1) الفصل لابن حزم ج4 ص190و191.

(2) الإيضاح ص48.

(3) الفرق بين الفرق ص98و100.

كما أنهولأجل سبب بسيط تافه نجد أصحاب قطري بن الفجاءة يفترقون إلى فرقتين: إحداهما معه،والأخرى مع عبدربه الصغير، ثم تنشب معركة فيما بينهم أجلت عن ألفي قتيل[1] ..

وقد أدرك المهلب بن أبي صفرة نقطة الضعف هذه فيهم، فكان يهتم في خلق الأسباب .وكثير منها حقير وتافه . لإلقاء الخلاف فيما بينهم وتمزيقهم[2] ؛ ولمواجهتهم . من ثم . في ساحة الحرب،وهم جماعات صغيرة، لا تكاد تقوى على تسجيل نصر حاسم، مهما كانت الظروف والأحوال..

ويكفي أن نذكر هنا: .كشاهد على ذلك . النص التاريخي الذي يقول: «وكتب المهلب جواب الحجاج: إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موتاً ذريعاً، أو جوعاً مضراً، أو اختلافاً في أهوائهم»[3] .

نعم..وهذا ما نبه إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، حينما قال لهم: «وأنتم معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام».. وقد أشار الآخرون إلى هذه الناحية فيهم حسبما قدمنا، فلا حاجة إلى الإعادة.

«الخوارج»: فورة وخمود:

قال بروكلمان: «كان الخوارج الذين هزموا في كل مكان تقريباً قد ثبتوا فترة طويلة في سجستان جنوب شرقي إيران،وهي المقاطعة التي تفصل اليوم بين إيران الحاليةوأفغانستان، ولكنهم كانوا قد انحطوا إلى ترك

(1) الكامل للمبرد ج3 ص393 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص204.

(2)راجع: الكامل للمبرد ج3 ص393 و382 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص196 و197 و405 وتاريخ ابن خلدون ج3 ص161.

(3) الكامل للمبرد ج3 ص374 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص190.

اللصوصيةوالنهب في ذلك الإقليم النائي، الذي ترك أمره في أيام هارون الرشيد للحكام الوطنيين، فلم يشدّ إلى الإدارة المركزية شداً محكماً، ومن هنا اضطر اهل البلاد إلى مقاتلتهم دفاعاً عن النفس إلخ..»[1] .

وقد تنبأ أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا المصير لهم أيضاً، حينما قال عنهم: «كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين»[2] .

يقول المعتزلي في شرحه: «وهكذا وقع، وصح إخباره (عليه السلام) أيضاً: سيكون آخرهم لصوصاً سلابين، فإن دعوة

الخوارج اضمحلت، ورجالها فنيت، حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطاع طريق، متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض»[3].

وقال أيضاً: «.. وقد وقع ذلك؛ فإن الله تعالى سلط على الخوارج بعده الذل الشامل، والسيف القاطع، والأثرة من السلطان، ومازالت حالهم تضمحل، حتى أفناهم الله تعالى، وأفنى جمهورهم إلخ..»[4].

أما ابن ميثم البحراني؛ فيقول: «.. وأما كون آخرهم لصوصاً سلابين؛ فإشارة إلى ما كانوا يفعلونه في أطراف البلاد؛ بأصبهان، والأهواز، وسواد العراق، يعيثون فيها بنهب أموال الخراج، وقتل من لم يدن بدينهم جهراً، وغيلةً. وذلك بعد ضعفهم وتفرقهم، بوقائع المهلب وغيرها، كما هو مذكور في مظانه إلخ..»[5].

---

(1) تاريخ الشعوب الإسلامية ص216و217.

(2) نهج البلاغة [مطبوع مع شرح محمد عبده] الخطبة رقم 58 والبحار [ط حجرية] ج8 ص572.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج5 ص73.

(4) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج4 ص132.

(5) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج2 ص155.

ويقول فلهوزن عن خوارج البصرة: «وهؤلاء الخوارج البصريون كانوا يسلكون مسالك اللصوص والسفاحين»[1].

ومما سهل عليهم ذلك: طبيعة تعاليمهم، وعقيدتهم بالنسبة إلى كل من سواهم، حيث دعاهم ذلك إلى اتباع كل أسلوب حتى أسلوب اللصوصية والسلب بالنسبة إلى غيرهم، ممن لا يتبع مذهبهم، ولا يدين بدينهم.

أضف إلى ذلك: أن جفاءهم وقسوتهم، ومعه جهلهم أيضاً قد سهل عليهم إرتكاب أمور كهذه، ولاسيما إذا كانت موافقة لأهوائهم ومطامعهم، وملبسةً بلباس الدين، ومبررة على اساس شرعي مزعوم.

ومما زاد الطين بلة والخرق اتساعاً، وأطلق لهم العنان في هذا الاتجاه، وجعله أمراً مألوفاً، ذلك الرفض الاجتماعي لهم، والتحاشي والحذر منهم، الذي جعلهم معزولين عن الحياة الاجتماعية، وعن النشاطات الحيوية فيها، وحرمهم من لذة المشاركة الإنسانية في تيارها الزاخر بالعواطف النبيلة، ومدها العارم الحنون.

وأخيراً.. فإن هذه الحال التي أخبر عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) لم تزل قائمة إلى يومنا هذا فإن أتباع الفرقة الإباضية التي عاشت وانتشرت في شمالي إفريقية، وفي عمان، وفي حضرموت، وزنجبار، واستمرت إلى يومنا هذا[2].

«كانوا لا يختلفون إلا من حيث الاسم عن اللصوص الأدنياء، وكانوا

---

(1) الخوارج والشيعة ص60/61.

(2) ضحى الإسلام ج3 ص336 وراجع تاريخ الفرق الإسلامية ص284 عن العقيدة والشريعة لجولد تسيهر 173 وفيه:

أنهم يقيمون في إقليم جبل نفوسة بطرابلس الغرب، وزنجبار وراجع: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص150 وأضاف فيه: جربة وسيوة.

يستحقون أن يعاملوا كما يعامل اللصوص»[1].

من عوامل الانحسار:

ولا يخفى أنه قد كان لسرعة تفوق «الخوارج» آثار كبيرة على حياتهم ومصيرهم.. وقد ساعد على حصول هذه الحالة وتفاقمها فيهم: أنهم كانوا في كثير من الأحيان، بل في أكثرها أخلاطاً من الناس، لا تربطهم إلا رابطة المصالح والأهواء، مع ما يصحب ذلك من بداوة وجهل، وغير ذلك.

ولعل طبيعة الشعارات التي كانوا يرفعونها كانت تجذب إليهم أولئك الشباب الأحداث المتحمسين، الذين كانوا من مختلف الفئات، والطبقات والثقافات، ولكن من دون أن يكون لمضمون تلك الشعارات أي تأثير على سلوكهم الشخصي، شأن المنافقين في هذه الأيام، فإن الشعارات التي يرفعونها، وما يترتب عليها من إثارات عاطفية على العناصر التي يستفيدون منها من شأنها أن تولد في نفوس تلك العناصر أحقاداً على الآخرين، بلا سبب ظاهر، ثم يتصرفون تجاههم ويرعونه ظاهرة، ويتخذون المواقف القوية والمتطرفة، على أساسها.

وهذا ما يفسر لنا: ما جاء عن أئمتنا (عليهم السلام): من أن الحقد الذي كان يعتمل في نفوس «الخوارج» كان وراء كل مواقفهم المتطرفة تلك.

هذا.. ويلاحظ: أنهم حين يرتجلون المواقف، لم يكونوا مهتمين بالبحث عن فرصة للأناة وللتروي في مواقفهم، والتخطيط لها، بل هم يمعنون في العفوية والارتجال، ولا يروق لهم العمل السوي المنظم؛ إذ أنهم كانوا يتجنبون قدر الإمكان العمل بمبدأ التقية. وكان الأزارقة لا

(1) تاريخ الدولة العربية ص118.

يجيزون التقية، وخالفهم في ذلك نجدة الحنفي[1].

كما أن الحدة والقسوة التي امتازت بها عقائدهم، ومواقفهم، كانت هي النتيجة الطبيعية لما ذكرناه آنفاً، بالإضافة إلى عدم وضوح كثير من الأمور الدينية لديهم، حتى إنهم كانوا غير قادرين على التمييز بين الإيمان والكفر، وموجباتهما، فاختلطت الأمور عليهم، وعانوا من الشبه الكثيرة، التي كانت تعرض لهم وتمزقهم، إلى شيع وأحزاب..

وكان لطبيعة حياتهم وظروفهم، وواقعهم الخاص. الذي كانوا يعانون منه. الأثر بشكل أو بآخر في جنوحهم إلى التسرع في إصدار الأحكام الفاصلة والحادة، التي تبيح لهم، حسب فهمهم استباحة الأنفس، والأموال، والأعراض بسرعة.

بل نجد: أن زعماء الأزارقة يتخذ الخلاف بينهم طابعاً عنصرياً، «فقد تكتلت الموالي والأعاجم ضد اموهم قطري بن الفجاءة، ومن معه من العرب، وأخرجوهم من ديارهم بعد قتال أسفر عن قتل ألفي رجل»[1].

وقد كان لتشتتهم هذا: أثر كبير في القضاء على دعوتهم، بالإضافة إلى ما قدمناه من نظرتهم، وتعاملهم مع غيرهم من المسلمين، بسبب قسوة كثير من تعاليمهم، وتطرف آرائهم وعقائدهم بصورة عامة، فلم يكن لغيرهم خيار سوى خيار الحرب لهم، والسعي للقضاء عليهم وعلى دعوتهم بأي ثمن.

وهكذا.. يتضح: أن تلك الآراء قد ساهمت بشكل فعال في انحسار دعوتهم عن مراكز النفوذ والحركة، والقوة والازدهار الثقافي في الدولة الإسلامية؛ ليعيشوا في مناطق نائية، فيها الكثير من مظاهر

---

(1) الكامل في الأدب ج3 ص285.

(2) الكامل للمبرد ج3 ص393.

الجهل، والحرمان، والبداوة، وحرمتهم إلى حد كبير من السير بخطى واسعة نحو المشاركة في المد الثقافي، والعلمي، الذي كان يجتاح العالم الإسلامي، ويزداد طغياناً وقوة باستمرار..

وكذلك حرمتهم من التمتع بملذات الحياة، وبالطيبات من الرزق. حتى انتهى الأمر بهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين، حسبما أخبر به أمير المؤمنين (عليه السلام).

مواقفهم من غير المسلمين:

لقد كان لموقف «الخوارج» على اختلاف نحلهم من غير المسلمين تأثيرات هامة على مجريات الأمور بالنسبة إليهم، ولا زال هذه التأثيرات باقية بسبب بقائهم على مواقفهم تلك.

فإن «الخوارج» الذين يقولون بوجوب قتل المسلمين، وبعض كبريات فرقهم، تجيز حتى قتل الأطفال والشيوخ منهم. قد وقفوا من غير المسلمين موقفاً إيجابياً ومتعاطفاً معهم للغاية..

ويكفي أن نذكر: أن واصل بن عطاء قد استطاع هو ومن معه التخلص من الموت المحتم على أيديهم، حين ادّعى أنه هو وأصحابه مشركون، يريدون أن يسمعوا كلام الله، وأن عليهم أن يبلغوهم مأمنهم، كما نص عليه القرآن.. فكان له ما أراد وبعد أن أسمعوهم دعوتهم، ساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم مأمنهم، والقضية معروفة ومشهورة[1].

---

(1) راجع على سبيل المثال: شرح النهج للمعتزلي ج 5 ص80و81 وج2 ص281 والكامل في الأدب ج3 ص164/165 والأذكياء ص124/125 ونشوار المحاضرة ج2 ص250 وكشف الارتياب ص118 وراجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص34 عن تاريخ الإسلام السياسي ج1 ص389 وفجر الإسلام ص263.

وقد جرى مثل ذلك بين بعض النصارى، وبين شبيب الخارجي[1].

(2)

كما أن سهم بن غالب الخارجي، كان يأخذ المسلمين؛ فيقتلهم، بينما يخلي سبيل يهود صوحوا له بيهوديتهم .

وحين لقي ابن عوباض «الخوارج» وهم يجزون الناس بسيوفهم، قال لهم: هل خرج إليكم في اليهود شيء؟ [يوهمهم أنه يهودي].

قالوا: لا.

قال: فامضوا راشدين، فمضوا وتركوه[3] .

وهذه التورية كتورية مؤمن الطاق؛ حينما لقيه خارجي وبيده سيف، فقال له الخارجي: والله لأقتلنك أو تبرأ من علي (عليه السلام).

فقال له: أنا من علي، ومن عثمان بريء، يريد: أنه من علي (عليه السلام) وبريء من عثمان[4] .

وقال الطبري: «وجاء أهل البيت إلى شبيب، وكان قد نزل ببيعتهم، فقالوا له: أصلحك الله، أنت ترحم الضعفاء، وأهل الجزية، ويكلمك من تلي عليه، ويشكون إليك ما نزل بهم؛ فتنظر لهم، وتكف عنهم. وإن هؤلاء القوم [يعني العراقيين، أتباع السلطة] جبابرة، لا يكلمون، ولا يقبلون العذر. والله، لئن بلغهم أنك مقيم ببيعتنا ليقتُلُنّا، إن قضى لك ان ترتحل عنا؛ فإن رأيت فانزل جانب القرية، ولا تجعل لهم علينا مقالاً؟

قال: فإني أفعل ذلك.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص58.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص418.

(3) العقد الفريد ج2 ص465.

(4) المصدر السابق.

ثم خرج، فنزل جانب القرية إلخ..»[1] .

كما أن من طريف أخبارهم: «أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً، ونصرانياً؛ فقتلوا المسلم، لأنه عندهم كافر؛ إذ كان على خلاف معتقدهم. واستوصوا بالنصراني، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم»[2] .

كما أن رجلاً منهم عرض لخنزير، فقتله؛ فقالوا: هذا فساد في الأرض فمضى الرجل إلى صاحب الخنزير فأرضاه.

وحسب نص البلاذري، قالوا له: بم استحللت قتل هذا الخنزير وهو لرجل معاهد؟![3] .

وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة: فقال: هي لكم.

فقالوا: ما كنا لنأخذها إلا بثمن.

فقال: ما أعجب هذا؟! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون منا جنى نخلة؟![4] وقال عمر بن عبد العزيز لشوذب الخارجي ورفيقه:

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص76.

(2) شوح نهج البلاغة للمعتزلي . ج2 . ص280 والكامل للمبرد ج3 ص212 وبهج الصباغة ج7 ص112 عنه وأنساب الأشواف [بتحقيق المحمودي] ج2 ص412 و366 و368 وراجع تاريخ الأمم والملوك ج4 ص60 و61 وشذرات الذهب ج1 ص51 والعقد الفريد ج2 ص390.

(3) الإمامة والسياسة ج1 ص147 وكشف الارتياب ص118 والبداية والنهاية ج7 ص288 والكامل في التاريخ ج3 ص342 والفخري في الآداب السلطانية ص94 وراجع: شوح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص281 وأنساب الأشواف ج2 ص366, وبهج الصباغة ج7 ص 112.

(4) الكامل في الأدب ج3 ص213 والعقد الفريد ج2 ص390 و391 وشوح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص282 والجوهرة في نسب علي (عليه السلام) وآله ص106 وبهج الصباغة ج7 ص112.

«أفلستم تلقون من خلع الأوثان، ورفض الأديان، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، تستحلون دمه وماله، ويلعن عندكم. ومن ترك ذلك وأباه: من اليهود والنصارى، وأهل الأديان، فتحرمون دمه، وماله، ويأمن عندكم؟!»[1].

ويقول البعض: «.. وهم يهرقون دم أعدائهم من المسلمين، وجهادهم ليس موجهاً ضد المشركين، ولكن ضد المسلمين، لأنهم يرونهم أشنع من المشركين، ومن النصارى، واليهود، والمجوس. ومنهم الذين يجعلون أهل الكتاب من اليهود والنصارى على قدم المساواة مع المسلمين إذا اعترفوا بكلمة التوحيد، وأن الرسول رسول العرب، وليس رسولاً لهم»[2].

وقال فلهوزن: «ولم يعد جهادهم ضد الكفار، بل ضد أهل السنة والجماعة من عامة المسلمين، إذ كانوا يرون في هؤلاء كفاراً بل أشد كفراً من النصارى، واليهود والمجوس، ويحسبون قتال عدوهم هذا الداخلي أهم الفروض»[3].

نتائج وآثار:

وقد كان لهذا الموقف الغريب للخوارج في المتعاطف مع غير المسلمين، والحاد والقاسي مع المسلمين أنفسهم نتائج متفاوتة في ثلاثة اتجاهات:

(1) العقد الفريد ج2 ص403 وقريب منه في الكامل في التاريخ ج5 ص47.

(2) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص172.

(3) الخوارج والشيعة ص43.

الأول: بالنسبة لعلاقاتهم هم بالمسلمين. فإنها وصلت في ترديها إلى نقطة اللاعودة، حيث لم يعد بإمكان أي مسلم أن يقترب منهم، أو أن يطمئن إليهم، ودفع الناس إلى العمل بكل جدية وتصميم إلى التخلص منهم.. يقابله تصميم من قبلهم على إبادة

الناس وقتلهم. واندفاع مجنون إلى ذلك دون أن يكون هناك أي حدود أو قيود..

فنتج من بين هذا وذاك حروب ضارية أهلكت الحرث والنسل. من دون فائدة ظاهرة.

هذا عدا عن تكريس انفصالهم الأبدي عن جماعة أهل الإسلام.

ودفع الناس إلى حروب تحمل في مضمونها الدفاع عن حكومة الجائرين من بني أمية وغيرهم.

الثاني: بالنسبة لعلاقاتهم بالنصارى واليهود، فإنهم قد استفادوا من سياساتهم هذه تجاههم، مزيداً من التأييد من أهل الكتاب لحركتهم.

وهو ما أشار إليه فلهوزن حيث قال عن شبيب الخارجي: «.. ويهجم على العدو على غرة منه، وكان في الغالب على اطلاع على عمليات العدو وتحركاته، لأنه كان على تفاهم تام مع نصارى البلاد، الذين رأوا فيه نصيراً ضد المستبدين بهم، وإذا كان هؤلاء النصارى لم يقفوا إلى جانبه علناً، فقد قدموا له خدمات جليلة، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً»[1].

وكان من نتائج ذلك أن سهّل على أعداء الله، وعلى الدول الاستعمارية على مدى التاريخ إقامة علاقات طبيعية بل وحميمة جداً مع البلاد التي يسيطر عليها «الخوارج»، أو من هم على مثل رأيهم، وجعل

(1) الخوارج والشيعة ص99.

ذلك مقبولا لدى عامة الناس منهم؛ لأنه منسجم مع نظرتهم الدينية، أو هكذا صُوِّر أو شُبِّه لهم!!

ونقصد بمن هم على مثل رأيهم خصوص الوهابيين، الذين لهم وجه شبه كبيرة مع «الخوارج»، كما سيأتي إن شاء الله في مقايسة أجريناها بين مبادئ وعقائد وواقع «الخوارج»، وبين الوهابيين.

الفصل الثاني

مفارقات في الموقف والممارسة

مرونة أم تحلل:

قلنا: إن «الخوارج» كانوا يظهرون التزمت في التزامهم الديني، وأن تعاليمهم الدينية قاسية، وحادّة، بحيث أن التخلف عن هاتيك التعاليم، أو عن بعضها يكون مساوقاً للتخلف عن الإسلام نفسه، والعدول عنه إلى الكفر والشرك..

وموقف «الخوارج» من كل من عداهم موقف شديد للغاية، حيث يكفرون جميع من عداهم، ولا يقبلون منهم إلا الإسلام أو السيف، ويحل قتل أطفالهم ونسائهم، والغدر بهم، ويكفرون القعدة عن القتال، ولا يجيز أكثرهم التقية، إلى غير ذلك من أحكام تقدمت الإشارة إلى بعضها..

وعلى هذا فإن أي انسجام يكون بين أي منهم وبين غيرهم يدخل في دائرة المخالفة والخروج عن الدين، بل والكفر الذي يستحق فاعله القتل.

وفي المقابل، فإن الشيعة لا يرون بأساً بالتعامل مع غيرهم من أهل الملل الأخرى إذا لم يكن فيه تأييد للدولة، الظالمة، أو معونة على

الظلم، بل كان مجرد علاقة مع الناس العاديين منهم. وكان قائماً على أساس الحق والعدل، ومع الالتزام بالأحكام الشرعية..

فإذا رأينا الشيعة يقيمون علاقات ودية مع غيرهم من أهل المذاهب الإسلامية الأخرى، فإنهم يكونون منسجمين مع تعاليم مذهبهم، وأحكام دينهم.. ويستحقون المزيد من الإجلال والإكبار لأجل ذلك، لانسجامه مع فروض المعرفة، وقضاء العقل، وموجب الشرع.

ولكن إذا رأينا بعض «الخوارج» يفعلون ذلك؛ فإنهم ولاشك يكونون في دائرة الطغيان والعصيان لأحكام مذهبهم، ويكشف ذلك عن عدم التزامهم بما يرونه حكماً إلهياً شرعياً، أو عقليا فطريا، وهذا نقص، وانحراف، يستحق فاعله الذم، والانتقاص، بل وحتى الامتهان، والاحتقار، والعقوبة.

ونجد في التاريخ نماذج متميزة من هذا التعامل غير المبرر في دينهم ومذاهبهم، فقد قال المسعودي:

1 . ابن إباض وهشام بن الحكم:

يقول المؤرخون: «.. وكان عبد الله بن يزيد الإباضي بالكوفة، يختلف إليه أصحابه، يأخذون منه. وكان جزاراً، شريكاً لهشام بن الحكم، وكان هشام مقدماً في القول بالجسم، والقول بالإمامة على مذهب القطعية، يختلف إليه أصحابه من الرافضة، يأخذون عنه.

وكلاهما في حانوت واحد، على ما ذكرنا من التضاد في المذهب،

من التشوي والرفض، ولم يجر بينهما مسابّة، ولا خروج عما يقتضيه العلم، وقضية العقل، وموجب الشرع، وأحكام النظر

والسير.

وذكر: أن عبد الله بن يزيد الإباضي قال لهشام بن الحكم في بعض الأيام: تعلم ما بيننا من المودة، ودوام الشركة، وقد أحببت أن تنكحني ابنتك فاطمة:

فقال له هشام: إنها مؤمنة.

فأمسك عبد الله، ولم يعاوده في شيء من ذلك، إلى أن فرق الموت بينهما»[1].

2 . الكميت والطرماح:

قال الزمخشري: «لم ير الناس أعجب حالاً من الكميت والطرماح. كان الكميت عدنانياً عصبياً، وشيعياً مِن الغالية، ومتعصباً لأهل الكوفة، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً، وخارجيا مِن الصفرية، ومتعصبا لأهل الشام، وبينهما من المخالصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط، ولم يكن بينهما صرم ولا جفوة».

وعلى حد تعبير ابن قتيبة: «وكان بينه وبين الطرماح من المودة، والمخالطة، ما لم يكن بين اثنين، على تباعد ما بينهما في الدين والرأي؛ لأن الكميت كان رافضياً، وكان الطرماح خارجياً صفرياً، وكان إلخ..»[2].

---

(1) مروج الذهب ج3 ص194 وراجع: المحاضرات للراغب ج2 ص13 وراجع: الإلمام ج1 ص37 والبيان والتبيين ج1 ص46 و47.

(2) ربيع الأبرار ج1 ص443 و444 والشعر والشعراء ص369 وراجع: المحاضرات للراغب ج2 ص13 والبيان والتبيين ج1 ص46 وراجع: «الأغاني ط ساسي ج15

<=

وقيل لهما: كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما؟!

فقالا: اتفقنا على بغض العامة[1].

ووصفهما جعفر المصوي، فقال:

فنحن في ودٍّ، وحبٍ كما ... كان كميت والطرماح[2]

ولكن البعض قد حاول تبرئة الطرماح من نسبة الخارجية إليه.

ولكنها محاولة فاشلة، لأنها مجرد تشكيك، لايعتمد على أساسٍ علمي. وقد أظهر الطرماح أنه لا يتورع عن الوقيعة في سيد الوصيين (عليه السلام)، كما حصل في مجلس معاوية، وفي مولد أخرى[3] فلجوء إليها في مصادرها.

وقد حاول بعضهم أن يناقش في أن يكون الطرماح خارجياً، قال: وإنما الخارجي هو جده[4].

ولكن نقل ابن قتيبة، والزمخشري لهذا الأمر، يبعّد ما ذكره هذا البعض.

بالإضافة إلى انه هو نفسه قد ذكر اتصال الطرماح بخالد بن عبد الله القسري، ومدحه له، وأن خالداً كان يكرمه، ويستجيده شعره[5] .. الأمر الذي يؤيد: أن الطرماح هذا لم يكن معروفاً بحبه لأمير المؤمنين (عليه السلام)

=>

ص113 وج10 ص156 و157 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص56.

(1) خلاصة عبقات الأنوار ج9 ص201 عن ابن قتيبة.

(2).....

(3) راجع: فوائد السمطين ج1 ص374.

(4) هامش ربيع الأبرار ج1 ص445.

(5) وقد أعطاه مرة خمسين ألف درهم، ليعصي بها الله ويطيع. راجع: لباب الآداب ص114 و115 وفي هامشه عن الأغاني ج10 ص152.

كما يدعيه المعلق، بل إن تقريب خالد له قرينة قوية على إنه كان من مبغضي أمير المؤمنين (عليه السلام).

كما أن نفس كون صداقته للكميت موجبة لتعجب الناس، واعتبار ذلك أمراً ملفتاً للنظر، يؤيد خارجيته، وبغضه لعلي (عليه السلام) كجده.

وقد كان الشريف الرضي صديقاً لأبي إسحاق الصابي، وأمثلة هذا الأمر كثيرة، لا مجال لاستقصائها.

وبالنسبة لصداقة العلوي مع العثماني وأنها غير معقولة نقول: هذا لا يصلح شاهداً على ما يدعيه، لما يأتي في الفقرة التالية:

3 . زر بن حبيش، وأبو وائل:

إذ أن زر بن حبيش كان أكبر من أبي وائل، فكانا إذا اجتمعا جميعاً، لم يحدث أبو وائل عند زر، وكان زر يحب علياً، وكان أبو وائل يحب عثمان، وكانا يتجالسان، فما سمعتهما يتناثان شيئاً قط»[1] . وقد كان أبو وائل خارجياً؛ فصداقته مع زر المحب لعلي لافتة للنظر أيضاً كما تقدم في فصل الجهل.. والعلم..

4 . تزوج الحموي بخارجية:

وفي مورد آخر: نجد الزمخشري يضيف إلى التعجب مما سبق تعجباً آخر فيقول: «ونحوه تزوج السيد الحموي ببنت الفجاءة، واتفاقهما عمرهما»[2] أي مع أنها كانت خارجية.

---

(1) طبقات ابن سعد ج6 ص71 وتهذيب تاريخ دمشق ج5 ص379.

(2)ربيع الأوار ج1 ص455.

دعبل والشراة:

و«كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع، وقد أفاد وأثرى، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه، فلا يؤذونه. ويؤاكلونه ويشاربونه، ويبرونه. وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه، ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثقيف وشعف، وكانا مغنيين، فأقعدهما يغنيان، وسقاهم، وشرب معهم، وأنشدهم؛ فكانوا قد عرفوه، وألفوه لكثرة أسفاره. وكانوا يواصلونه،؛ ويصلونه» [1].

ودعبل علوي الهوى، والشراة أعداء لعلي، فما هذا التناقض والاختلاف في مواقفهم؟!.

تناقض في المواقف:

هذا.. ولكنهم في المقابل، يقولون: «كان اليمان بن رباب من علية علماء «الخوارج»، وأخوه علي بن رباب من علية علماء الرافضة، هذا مقدم في أصحابه، وهذا مقدم في أصحابه، يجتمعان في كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها، ثم يفترقان، ولا يسلم أحدهما على الآخر، ولا يخاطبه» [2].

التساهل عبر الزمن:

وقد ظهر من بعض فصول هذا الكتاب، مثل فصل: نبذة عن عقائد «الخوارج» وأقاويلهم. وفصل: الفقه وأصوله لدى «الخوارج»: . ظهر . أنه

(1) الأغاني: ط دار إحياء التراث العربي ج 2 ص 137.

(2) مروج الذهب ج3 ص194.

كلما طال العهد على «الخوارج»، كلما ظهر لديهم ميل أكثر إلى التخفيف من حدّة تعاليمهم، وحرارة عقائدهم، وذلك تبعاً لازدياد معارفهم، وإدراكاتهم لضرورات الحياة. حتى أصبح البعض ينكر انتساب فرقة الإباضية التي لا تزال بقاياها حتى الآن إلى «الخوارج» من الأساس، كما تقدم فالأزارقة والنجدات، وهم أقدم فرقهم كانوا أكثر فرق «الخوارج» تشدداً. وكانوا يرون استعراض الناس بالسيف، وقتلهم دون تمييز، وجعل نافع بن الأزرق يقتل الأطفال، ويقول إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم [1]. وفي نص آخر: وأخذ يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان [2].

وعللوا ذلك بأن من خالفهم فهو مشرك، وأن أطفال مخالفيهم في النار، ولأجل ذلك فإن دماء الأطفال لهم حلال [3].

أما العجاردة: فكانوا أهون من سلفهم، حيث لم يوجبوا الهجرة، كما أوجبها سلفهم. ولم يكفروا القعدة منهم، بل تولّوهم إذا عرفوا بالتدين.

ثم جاء الثعالبة: .وهم فوقة من العجاردة . فخففوا الحكم بالنسبة إلى الأطفال؛ فلم يحكموا عليهم بما حكم به عليهم العجاردة من وجوب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ويجب دعاؤه إذا بلغ.

أما الصفرية: فقد تساهلوا جداً مع مخالفيهم، وتفصيل ذلك يطول، فليراجع في مظانه.

---

(1) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص221 عن الأغاني ج6 ص134.

(2) المصنف المجهول ص93.

(3) الخوارج في العصر الأموي ص220 عن الكامل للمبرد ج3 ص1031 والمصنف المجهول ص80.

ولعل لأجل ذلك انتشر مذهب الصفرية في جميع بلاد الإسلام، بما في ذلك المغرب، في أيام آخر الخلفاء الأمويين[1].

الاتجاه في وقت مبكر نحو التخفيف:

هذا.. وقد بدأ تساهل «الخوارج»، يظهر في مواقف عدد من شخصياتهم المعروفة، ثم تبلور على شكل منحى عقائدي، وديني لعدد من فرقهم وطوائفهم.

ومما يشهد لهذه الحقيقة: أن التاريخ يحدثنا: أنه قد كان لجابر بن زيد موقف ودود ومرن جداً من الحجاج[2].

كما أن ابن الكواء الذي كان من زعماء «الخوارج» قد دخل على معاوية، وأخذ جائزته، وقرضه تقريضاً فائقاً.

حتى لقد قال له: «إنك ركن من أركان الإسلام، سدّت بك فرجة خوفه»[3].

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري قال: إضربوا عنق ابن الفاعلة.

فقال عمران: لبئسما أدبك أهلك يا حجاج! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به؟! أبعد الموت منزلة أصانعك عليها؟!

فأطرق الحجاج استحياءً، وقال: خلوا عنه.

فخرج إلى أصحابه، فقالوا: والله، ما أطلقك إلا الله، فرجع إلى حربه معنا.

---

(1) راجع: الإسلام، تأليف هنري ماسيه ص187 والخوارج في العصر الأموي ص239.

(2) شرح عقيدة التوحيد ص92.

(3) تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص301 و302.

فقال: هيهات، غلّ يداً مطلقها. واسترق رقبة معتقها، وأنشد:

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقرّ بأنها مولاته

إني إذاً لأخو الدناءة والذي ... عفت على عرفانه جهلاته

إلى أن قال:

تالله ما كدت الأمير بآلةٍ ... وجوارحي وسلاحها آلاته[1]

وقد قلنا أيضاً: إن عبد الله بن إباض كان «كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان»[2].

(3)

وأنه حاول أن يسعى بالسيد الحموي إلى المنصور، فانقلب السحر على الساحر. ووقع هو في بئر احتفرها لغيره .

واللافت هنا: أننا نجد لهم تفننا ظاهراً في مدح معاوية، فبعض مؤلفيهم يقول: «.. قلت: وكانت لمعاوية في دولته آثار محمودة، فقد تدارك الموقف، وسد الثلمة، وشرع في الجهاد، وحماية البلاد، وركب البحر، وافتتح مناطق مشهورة، وسدد وقارب حتى نسي المسلمون أو كادوا ينسون ما وقع بينهم. وسمى ذلك العام عام الجماعة، وذلك بعد قتل علي، وتسليم الحسن»[4] .

وربما يكون هذا الموقف لهم من معاوية قد انتهوا إليه بسبب شدة بغضهم لعلي (صلوات الله عليه) الذي قتل أسلافهم، فأطروا عدوه،

---

(1) زهر الآداب ج4 ص924و925.

(2) شرح عقيدة التوحيد ص93 والعقود الفضية ص121.

(3) ديوان السيد الحموي هامش ص397و398 عن أعيان الشيعة ج12 ص174.

(4) العقود الفضية ص61.

وعظموه، ومالوا إليه.

من الانكفاء إلى الانطواء:

غير أن من الواضح: أن ذلك الاعتدال النسبي، وإن أسهم في صرف أنظار الحكام عنهم، وعدم التصدي لإبادتهم، إلا أنه لم يكن يكفي لدمجهم بصورة فعالة في المجتمع الإسلامي؛ ليستفيدوا من الآخرين بعض ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم.

وقد تحدث هنري ماسيه عن أن الصفرية قد وقفوا موقفاً وسطاً بين الأزارقة المتشددين جداً، وبين الإباضية المتساهلين، فقبل الصفرية بالامتناع الموقت عن الحرب ضد المسلمين الآخرين، واعتنقوا التقية، وعدم قتل أولاد الكفار، ثم ذاب الصفرية بالإباضيين.

«وهم يمثلون العنصر المعتدل في الخوارج» ثم قال إنه في منتصف القرن الثامن انحرفت فعالية «الخوارج»، واتجهوا شيئاً فشيئاً نحو التجارة وتأليف الكتب الدينية والتاريخية إلخ[1] .

كما أن هذا التساهل لم يكن كافياً لتمكين دعوتهم من الانتشار، وذلك لأسباب عديدة:

أحدها: أنها كانت تعاني من الخواء العلمي، ومن المضمون الفكري، الذي يعتمد الدليل والبرهان المعقول والمقبول، ويعطي رؤية متكاملة، وواضحة، وسليمة.

---

(1) الإسلام لهنري ماسيه ص186 و187.

الثاني: أنها بحاجة أيضاً إلى انفتاح حقيقي في العقول والقلوب والمشاعر على الناس، وعلى قضاياهم من موقع الإقناع والاقتناع. وهذا ما لم يستطع «الخوارج» حتى الإباضيون المتساهلون أن يفعلوه لما كانوا عليه من خشونة، ومن عصبيات وجمود، ولأن نفس تلك المفاهيم كانت خاطئة، بالإضافة إلى طبيعة نظرتهم التي كانت تهيمن على عقلياتهم وعلى سلوكهم.

فلم يكن أمامهم سوى الانكفاء إلى أماكن نائية وبعيدة عن مراكز العلم والمعرفة، والتحضر، ثم الانطواء على أنفسهم. وذلك هو الحل الوحيد الذي بقي أمامهم، فبقوا محصورين في مناطقهم البعيدة عن الحركة الفكرية والثقافية طيلة قرون طويلة من الزمن.

الثالث: ومما ساعد على هذا الانكفاء على الأعقاب والإنطواء: أن دعوتهم لم تكن منسجمة مع الفطرة الصافية، ومع بديهيات هذا الدين وثوابته. وقد تقدم بعض ما يشير إلى ذلك، فلا نعيد.

الرابع: عدم ثقة المسلمين بهم، وظهور التزييف والتحريف والتقلب غير المسؤول في مواقفهم وفي مبادئهم.

ويكفي أن نذكر: أن الناس قد رأوا: أن ما يظهرونه من تساهل، وما يدعونه من اعتدال فيما يرتبط برأيهم في علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قد سلكوا فيه سبيل التمويه والخداع والتزييف لحقيقة ما تنطوي عليه نفوسهم وما يسرونه من مبادئ وتعاليم.

وهذا ما سيتضح في الفصل التالي:

الصفحة 292

الصفحة 293

الفصل الثالث

الإباضية.. انكفاء.. انطواء..

الصفحة 294

الصفحة 295

تساهل الإباضية هو سر بقائهم:

إن الاعتدال النسبي في تعاليم وعقائد الإباضية، وكذلك اتساع نطاق معارفهم، رغم أنها كانت ولا تزال متواضعة جداً، ثم

وإواكهم . جزئياً . لضرورات الحياة، قد قلّل من حدتهم في تعاملهم ليس فقط مع غيرهم، وانما مع بعضهم البعض أيضاً، وقلل من فرص تفوقهم إلى فرق ومذاهب، كما كان الحال في السابق.

كما أن فرقة الإباضية: قد ثبتت وبقيت، ولم تتصدع وحدتها حتى الآن. ولم يجد الحكام ضرورة لممارسة ضغوط حادة عليها، حيث ظهر لهم أن تعاليمها لا تعارض مصالحهم.

ومما يشير إلى تساهل الإباضية قولهم: إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، وإن دارهم دار إسلام، لا دار كفر، وإن مناكحتهم جائزة. وأجازوا شهادتهم، وورائتهم. وحرموا قتلهم غيلة، وفي السر.

وإنما يجوز القتل إذا أقاموا على خصومهم الحجة، وأعلنوا لهم بالقتال. وحينئذٍ فلا يجوز من أموالهم إلا ما يغنم من الحرب،

مما يعين على الحرب، كالسلاح. وما عداه فهو حرام. والمؤمن إذا ارتكب كبيرة فهو كافر كفر نعمة، لا كفر شرك [1].

قال ابن خلدون: «وقول هؤلاء أقرب إلى السنة» [2].

ويقول فلهوزن: «الخوارج الإباضية ألين عريكة، لم يكن هدفهم . مع طهارتهم، وشدة تمسكهم بالدين . أن ينتصروا على جماعة المسلمين بالقوة، بل أن يكسبوهم لمذهبهم» [3].

وقال عز الدين التنوخي، عضو المجمع العلمي بدمشق، بعد ذكره: أن الإباضية ينقلون أقوال المذاهب الأربعة، ويستشهدون بأحاديث الشيخين، وغيرهما: «مما يدل على أن الإباضية في المشرق والمغرب مذهب قريب من مذاهب السنة» [4].

ونقل الحارثي الإباضي عن المبرد قوله: «.. قول ابن إباض أقرب الأقاويل إلى السنة. وابن حزم حسبما حكاه عنه ابن حجر في الفتح

(1) راجع فيما تقدم: تاريخ الفرق الإسلامية، للغرابي ص277و283 وتاريخ المذاهب الإسلامية ص83و85 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص145 والعقد الفريد ج1 ص223/224 والأنوار النعمانية ج2 ص247 والخوارج في العصر الأموي ص239 عن المصادر التالية: تلبيس إبليس ص19 ومقالات الإسلاميين ج1 ص204 و185 و186 و189 والكامل للمبرد ج3 ص104 والملل والنحل ج1 ص135 و134 ونقل أيضاً عن شرح المواقف ج3 ص292. وراجع: الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص81 متناً وهامشاً وص90 و91.

(2) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص145 والخوارج في العصر الأموي عن الكامل المبرد ج3 ص104.

(3) الخوارج والشيعة ص111.

(4) العقود الفضية ص166 و167 عن المقدمة التي كتبها التنوخي لمسند الربيع وشرحه.

البلوي قال: أسوء الخوارج حالاً الغلاة، وأقربهم إلى قول أهل الحق الإباضية» [1].

وقال أيضاً عن فرقة الإباضية: «فرقة من معتدلي الخوارج..

إلى أن قال: والإباضية لا تقول بكفر غير الخوارج، ولا بشركهم، وتبيح الزواج منهم، وترى ضرورة الإمامة بناءً على اختيار الشيوخ وأهل الرأي، وليس بلازم ظهورها دائماً، فقد يبقى اختيار الإمام في طي الكتمان. وتسلم بأصول الفقه التي قال [2]

بها أهل السنة فيما عدا الإجماع» .

الفونساويون.. والإباضية:

وقد أثنى على الإباضية أيضاً السندوبي في تعليقاته على كتاب البيان والتبيين [3].

ومن الغريب قول مصطفى إسماعيل المصري الذي اعتنق مذهب الإباضية بعد أن قرر أنها هي الفرقة الناجية: «.. ولقد شهد بهذا الحق جميع الفلاسفة الفونساويين الباحثين في الأديان، الذين وقفوا بكياسة أديانهم، وسلامة قياسهم على أن نقلوة الدين الإسلامي لا تنحصر إلا في مذهب اتباع ابن إباض» [4].

فهو يعتبر شهادة الفونساويين للإباضية دليلاً على حقانية هذه الطائفة، وصحة مذهبهم. ويرى أن هؤلاء الفونساويين لهم قياس سليم،

---

(1) العقود الفضية ص156.

(2) الموسوعة العربية الميسرة ج1 ص1 وراجع العقود الفضية ص166 عنه.

(3) العقود الفضية ص156 عن هوامش كتاب البيان والتبيين.

(4) العقود الفضية ص168 و167.

وكياسة في أديانهم!!

ولا ندري لماذا اختص الفونساويون بهذا الأمر دون الفلاسفة البريطانيين، أو غيرهم من فلاسفة أقطار العالم. ولماذا لم يقبل ما يقوله فلاسفة الإسلام، الذين هم أعمق فكراً، وأبعد نظراً، وأشد إخلاصاً وخلوصاً مِّن غيرهم من عملاء المخابرات، وأدوات السياسة والسياسيين.

فجوة بين عقائد الإباضية وسائر «الخوارج»:

وكيف كان، فإن الفجوة كانت قد اتسعت بين عقائد «الخوارج»، وبين الإباضية بدرجة كبيرة حتى قال عامر النجار عنهم: «هناك فروق عديدة بين مبادئ الخوارج، ومبادئ الإباضية. ولا يجمع يكاد بينهما جامع سوى إنكار التحكيم، وأن الإمامة لا تختص بقريش، وجواز الخروج على الحاكم» [1].

وقال أيضاً عنهم: «.. هم أقرب فرقهم [أي الخوارج] إلى الجماعة الإسلامية. ومذهبهم أكثر تسامحاً من كل فرق «الخوارج». ولهذا كتب لهذه الفرقة البقاء دون سائر الفرق الخارجية. فيوجد فيهم إلى الآن جماعات في المغرب العربي، وعمان؛ وذلك بسبب تسامحهم مع مخالفيهم وإنصافهم لهم.

لكن الإباضيين غاضبون ممن يعتبرهم فرقة من فرق «الخوارج». ويقولون: إنما هي دعاية استغلتها الدولة الأموية لتنفير الناس من الذين ينادون بعدم شرعية الحكم الأموي.

(1) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص82.

بل يقول البعض: إن للإباضية العديد من المواقف ضد الخوارج»[1].

ويعلل البعض سبب اختلاف الإباضية عن بقية «الخوارج» بكونهم لم يغلوا في الحكم على مخالفيهم. يعلله. بقوله:

«لعل هذا يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم؛ فإن صاحبهم عبد الله بن إباض لم يخرج إلا بعد أن قضى الأمويون على «الخوارج» أو كادوا. وبعد أن كاد اليأس يدب إلى الأحزاب، وتحول نضالهم حول الحكم إلى آراء ومذاهب تكاد تكون علمية بحتة»[2].

أما أبوزهرة فيقول عنهم: «هم أكثر الخوارج اعتدالاً، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو»[3].

الإباضية وحكام الجور:

ومما يؤكد الحقيقة التي مرت: أن الإباضية اتجهوا نحو التعامل مع حكام الجور تعاملاً يخدم مصالح أولئك الحكام، ويؤكد هيمنتهم وإمساكهم بالأمور بقوة، الأمر الذي جعل الحكام لا يجدون ضرورة لمواجهتهم، والتخلص منهم. بل إن وجودهم أصبح مفيداً للحكام أحياناً، فلا غرو أن يصبح أيضاً مطلباً لهم في هذه الحالات على الأقل.

والأغرب من ذلك أن يصبح بقاء الحكام أيضاً، واستمرار حكمهم بمزيدٍ من القوة والشوكة مطلباً للإباضية حتى على مستوى قياداتها!!

(1) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ـ ص81.

(2) الإباضية عقيدة ومذهباً ص45 عن تاريخ الإسلام السياسي ص393.

(3) الإباضية عقيدة ومذهباً ص45 عن تاريخ الإسلام السياسي ص85.

ويتجسد لنا مصداق ذلك، فيما يذكرونه عن ابن إباض نفسه، من أنه «كان كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان»[1].

وكان قد بلغ السيد: «أن عبد الله بن إباض، رأس الإباضية يعيب على علي (عليه السلام)، ويتهدد السيد بأن يذكره عند المنصور بما يوجب القتل.

وكان ابن إباض يظهر التسنن، ويكتم مذهب الإباضية.

فكتب إليه السيد قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين (عليه السلام) أولها:

فلما وصلت إلى ابن إباض امتعض منها جداً، وأجلب في أصحابه. وسعى به إلى الفقهاء والقواء؛ فاجتمعوا، وساروا إلى المنصور، وهو بدجلة البصرة؛ فرفعوا قصته.

فأحضرهم، وأحضروا السيد؛ فسألهم عن دعواهم، فقالوا: إنه يشتم السلف، ويقول بالرجعة، ولا يرى لك ولأهلك إمامة.

فقال لهم: دعوني أنا، واقصدوا لما في أنفسكم.

ثم اقبل على السيد، فقال: ما تقول فيما يقولون؟!

فقال: ما أشتم أحداً، وإني لأترحم على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهذا ابن إباض، قل له: يترحم على علي، وعثمان، وطلحة، والزبير.

فقال له: ترحم على هؤلاء!

فتلوّى ساعة، فحذفه المنصور بعود كان بين يديه، وأمر بحبسه،

(1) شرح عقيدة التوحيد ص93 والعقود الفضية ص121.

فمات بالحبس.

وأمر بمن كان معه؛ فضربوا بالمقارع.

وأمر للسيد بخمسة آلاف درهم»[1].

وما يهمنا من إيراد هذه القضية هو الإشارة إلى استنصار ابن اباض بالمنصور، ووشايته بالسيد الحموي له، وإن كان السيد الحموي قد استطاع أن يقلب السحر على الساحر كما رأينا.

هذا.. وقد دخل هذا التناغم مع حكام الجور في مبادئهم، وتوفرت له خلفية وحماية عقائدية.

قال الوارجلاني: «.. ومن الرأي تأمير أمير المؤمنين، وعزله، إن ضيع أمور الدين، وقتله إن امتنع من العزلة إلى الهوان.

ومن الرأي الكون مع أئمة الجور تحت أحكامهم ما أقاموا حكم الله فيك، ولم يحكمك على معصية، وتأدية حقوق الله التي عليه إليهم، وأخذ العطايا من بيوت أموالهم، والجهاد والغزو معهم جميع ملك الشرك، والخروج عليهم إذا جاروا وبغوا»[2].

وقال محمد بن يوسف أطيفش: «والمصنف مصرح بجواز الإقامة تحت الأئمة الجورة، من أهل التوحيد مطلقاً، من أهل مذهبنا، أو من غيرهم.

(1) راجع: ديوان السيد الحميري [هامش] ص397 و398 عن أعيان الشيعة ج12 ص174 والقصيدة موجودة في الغدير ج2 ص206 والمناقب ج2 ص133 و159 و163 و239 وج3 ص102 و227 والكنى والألقاب ج2 ص307.

(2) الدليل والوهان المجلد الأول الجزء الثاني ص78.

وذلك ردّ على الصفوية، والأزارقة، والنجدية، لأنهم أوجبوا الخروج على الجورة، وواءة كل من خوج عن الإسلام إلى الشوك إلخ..» [1].

وقال محمد بن يوسف أطيفش أيضاً: «ونحن بعد لا نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين. ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا» [2].

وله كلام حول كون معسكر السلطان دار بغي، أو لا. وعن المراد من هذا فواجع [3].

وقال النكارية، وهم فوقة من الإباضية: «بعدم جواز صلاة الجمعة وراء الأئمة الجورة..

مع أن أئمة الإباضية كانوا جميعاً من أيام جابر بن عبد الله يقولون: إن صلاة الجمعة واجبة وراء الأئمة الجورة ما أقاموها، ووجدت شروطها. وكانوا هم أنفسهم يصلونها وراء الحجاج.

وكانوا يقولون: إنه يحل أخذ العطاء من الملوك ما لم يؤد إلى حوام. وكان جابر يأخذ العطاء من عامل الحجاج» [4].

الإباضية.. وعلي أمير المؤمنين (عليه السلام):

وعلى كل حال: فإن «الخوارج» .والإباضية منهم [5] . الذين يعتقدون بكفر الخليفتين: عثمان، وعلي (عليه السلام)، وذلك هو العمدة، والمحور،

(1) شرح عقيدة التوحيد ص165.

(2) الإباضية عقيدة ومذهباً ص139.

(3) الإباضية عقيدة ومذهباً ص139.

(4) الإباضية عقيدة ومذهباً ص67 عن الإباضية في الجزاء ص56.

(5)راجع: شوح المواقف للإيجي ج3 ص292 والخوارج في العصر الأموي العباسي ص240 و241.

والمبرر لوجودهم كخوارج..

فقدرؤا بأم أعينهم: كيف أن مصوهم هو التلاشي، والفناء، أمام واقع التحدي، لكل مثل وقيم الأمة الإسلامية، فاستموت تلك الفوق على عتوها وعنادها. حتى انقوضت.

ولكن فوقة الإباضية منهم: حاولت التخفيف من حدة عقائدها، ومواقفها منذ البداية.. فاستطاعت أن تحتفظ لنفسها بخيط حياة، وتجاوزت القوون الأولى، وأصبحنا نلاحظ في تأليفات الإباضية: أن علماءهم انصوفوا عن الجهر بالإساءة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).

ولعل مردّ ذلك إلى تأثرهم بأحد كبار علمائهم، وهو عبد الكافي التناوتي التونسي، المتوفي قبل عام 570 هجرية.

فقد: «جنح التناوتي إلى الاعتدال في مسألة الحكم على الخليفة علي، وهي دائماً من أمهات المسائل عند الإباضية»[1].

ويحكى عن الحمزية: «أنهم يتوقفون في أمر علي (عليه السلام)، ولا يصرحون بالبراءة منه، كما يصرحون بالبراءة من غيره»[2].

وهذا هو السر في أن الإباضية يستعملون ـ مؤخراً ـ أسلوب العتاب والشكوى من أمير المؤمنين (عليه السلام)، على موقفه من أسلافهم من أهل النهروان، حيث قتلهم (عليه السلام) قتلاً ذريعاً، ولم ينج منهم إلا الشريد. وقد ذكر البعض أشعاراً ضمنها هذا العتاب له (عليه السلام) ذلك من دون أن يكون فيه تجريح ظاهر وصريح[3].

ونلاحظ: أنهم في كتبهم يبذلون محاولات للاستدلال على صحة

---

(1) دارة المعارف الإسلامية ج5 ص488.

(2) الأنوار النعمانية ج2 ص248.

(3) راجع: العقود الفضية ص60 و61 و77 و80.

إمامة الواسبي، وبطلان إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام). بل إنهم يدعون أنه (عليه السلام) قد تاب، ثم عاد فنكث[1].

ويحاولون أيضاً: الاستدلال على خطئه (عليه السلام) في مواقفه، وصحة ما ذهب إليه «الخوارج» الذين خاصموه[2].

بل لقد وجدناهم يبذلون محاولات لتكفيره (عليه السلام)، كما يظهر من مراجعة كلماتهم[3]. ولكنها محاولات جزئية هادئة، بحسب الظاهر.. لا تبادر إلى السب والشتم والتكفير بصورة صريحة.

قالوا أيضاً: «..وعند فقهاء الإباضية: أن علياً مستحل في قتلهم، وأنه تجزيه التوبة من غير عزم. وهذا هو حكم المستحل، إن أراد التوبة، بخلاف الذي يأتي الشيء، وهو يعلم أنه حرام، فهذا لا توبة له، إلا برد المظالم، والتخلص إلى أربابها»[4].

بل لقد نقل لي البعض: أن علماءهم الموجودين فعلاً في الجزائر يظهرون الحب لأمير المؤمنين وآله (عليهم السلام) ويتبرؤون من ابن ملجم، وينكرون أن يكون منهم!!

فإن صح هذا، فإنه يكون تطوراً جديداً وهاماً في هذا المجال.

---

(1) راجع: العقود الفضية ص50.

(2) راجع: المصدر السابق ص162 و64 والاستقامة ج1 ص57 و63 وراجع ص118 و120.

(3) الاستقامة ج1 ص119.

(4) العقود الفضية ص81.

ولكن الذي يظهر هو: أن تبرؤهم من ابن ملجم يرجع إلى أمر آخر، وليس هو الحب لأمير المؤمنين (عليه السلام)،ولا لتخطئتهم ابن ملجم في قتله إياه،وهذا الأمر هو الذي أشار إليه المسعودي بقوله: «وكثير من «الخوارج» لا يتولى ابن ملجم؛ لقتله إياه غيلة»[1].

وأما ما نراه: من مهاجمة الإباضية للخوارج والمارقة في كتبهم؛ فلا يدل على حبهم لعلي،ولا على تغير في مواقفهم العدائية له (عليه السلام)..

لأنهم إنما يقصدون بهم خصوص الأزارقة[2].

قال محمد بن يوسف بن أطيفش: «كان أصحابنا والأزارقة جنداً واحداً، ولما ظهر منهم القول بإباحة الدم والمال بالذنب، فارقهم أصحابنا، كابن وهب، عبد الله»[3].

فهذا النص يدل على أمرين:

الأول: أن سبب مفارقة الإباضية للأزارقة هو مقالتهم تلك، التي لم يكن الإباضية يحبذونها؛ لميلهم إلى الاعتدال في هذا الأمر.

الثاني: أن الإباضية هم من «الخوارج» أيضاً. وهذا يعني: أن هجومهم على «الخوارج» إنما يقصد به تهجين مقالة الأزارقة لا غير..

وتصريحهم آنفاً بأنهم أتباع عبد الله بن وهب الراسبي يدل على ذلك أيضاً، فإن الراسبي كان رأساً في «الخوارج».

---

(1) التنبيه والإشراف ص257.

(2) يتضح ذلك بمراجعة كتبهم، مثل كتاب: شرح عقيدة التوحيد، وكتاب: الدليل والبرهان.

(3) شرح عقيدة التوحيد ص84.

قال محمد بن يوسف أطيفش: «إذا قلنا: الوهبية، نسب إلى عبد الله بن وهب الراسبي، فلا إشكال في تسمية أصحابنا العمانيين، والخراسانيين، وغيرهم: وهبية.

وإذا قلنا: نسب إلى الإمام عبد الوهاب في المغرب؛ فكيف يسمى اهل المشرق، كأهل عمان وخراسان: وهبية؟

الجواب: أنهم يسمون وهبية؛ لأنهم مقرّون بأنه إمام عدل على الصواب، وأنه وإياهم شملهم مذهب وديانة واحدة»[1].

ويذكرون أيضاً: أن ابن إباض قد ذكر في رسالته لعبد الملك بن مروان: أنه يتولى «الخوارج» الذين حاربهم علي، ويبرأ من ابن الأزرق وأتباعه[2].

وبذلك يكون قد أرضى عبد الملك من ناحيتين:

الأولى: براءته من الذين يحاربونه، وهم خصوص الأزارقة.

والثانية: بإعلانه العداء لعلي (عليه السلام)، من خلال توليه للذين حاربوه من المارقة.

الميزان: هو علي (عليه السلام)

ويبقى أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الميزان والمعيار للحق وللصدق..ولا يفيد «الخوارج»ولا الإباضية أي تنزّل لا يتضمن الاعتراف الصادق بأن الحق مع علي وأن علي مع الحق. وقد ظهر أن الإباضية وغيرهم حين أظهروا المرونة بعض الشيء تجاه علي (عليه السلام) لم يكونوا صادقين فيما أظهروه، كما ظهر من بعض مؤلفاتهم التي نشرت في هذا العصر.

---

(1) شرح عقيدة التوحيد ص77.

(2) العقود الفضية ص125.

فهذا يوسف بن إبراهيم الوارجلاني المتوفي سنة 570 هـ.

بعد أن ذكر: قبوله بخلافة الشيخين، ورفضه لإمامة عثمان بسبب ما أحدثه، تحدث عن علي (عليه السلام) فذكر أن ولايته كانت حقاً في أول أمره.

ثم قال: «..وأما علي فقد حكم بأن من حكم فهو كافر، ثم رجع على عقبيه، وقال: من لم يرض بالحكومة كافر.

فقاتل من رضي الحكومة، وقتله!! وقاتل من أنكر الحكومة وقتله!! وقتل أربعة آلاف أواب من أصحابه. واعتذر.

فقال: إخواننا بغوا علينا؛ فقاتلناهم.

فقد قال الله عز وجل في من قتل مؤمناً واحداً: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً..) إلى قوله: عذابا عظيما).

فحرمه الله من سوء بخته الحرمين، وعوضه دار الفتنة العراقين، فسلم أهل الشرك من بأسه، وتورّط في أهل الإسلام بنفسه»[1].

وواضح: أن كلام هذا الرجل ينطوي على مغالطات واضحة، فإن الأوابين الذين قتلهم هم الذين أجبروه على قبول التحكيم، وهدّدوه بأنه إن لم يقبل ناجزوه الحرب، وسلموه إلى معاوية. ثم كفروه لأنه استجاب لهم، وقبل ما يريدون ورضخ لتهديداتهم.

ثم هؤلاء الذين وصفهم بـ «الأوابين»: هم الذين وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بانهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ويقرؤون القرآن ولا يجاوز تراقيهم.

---

(1) الدليل والبرهان المجلد الأول جزء1 ص29.

وبالنسبة لسلامة أهل الشرك من بأسه، وتورطه في أهل الإسلام بنفسه؛ فإن هذا إنما ينطبق عليهم هم، وليس عليه، كما أوضحناه فيما سبق..

وقال الوارجلاني أيضاً عن الزيدية والحسينية: «قد وافقوا جميع المسلمين فيما يقولونه، إلا في التحكيم، الذي صاغوه لعلي. وقد قتل من قال به ومن أنكره؛ فجمع في قتاله بين المحق والمخطئ.

ولعلي تخليط دون شيعته في قوله: إن كل مجتهد مصيب؛ فهدر دم عثمان، وطلحة والزبير، ومعاوية، وعمرو، وعذر نفسه، وعذر أهل النهروان، ولم يعذروه. ففي فحش مذهب الشيعة ما يغني عن الرد عليهم»[1].

وقال الحارثي الإباضي: «على رأي بعض المسلمين، ومنهم الإمام علي: أن كل مجتهد مصيب، وهؤلاء اجتهدوا»[2].

ولا ندري من أين جاؤوا بهذا الفرية على أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنه يقول: كل مجتهد مصيب. فإن هذا القول هو قول مخالفيه ومناوئيه.. وكلماته (عليه السلام) صريحة في خلاف هذا القول[3].

ولا ندري أيضاً كيف عذر (عليه السلام) أهل النهروان، ومتى؟..

وقال الوارجلاني أيضاً: «ثم إن علياً رجع على عقبيه، ورضي بالحكومة التي كفر راضيها، وضرب ساخطها، فقتل الفريقين جميعاً، الراضي والساخط، والمحق والمبطل.

---

(1) الدليل والبرهان المجلد الأول جزء1 ص32.

(2) العقود الفضية ص64.

(3) راجع: الصحيح من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ج1 . ص217 فما بعدها ففيه ما يدل على أن غير علي (عليه السلام) وشيعته الأبرار هم الذين يذهبون إلى هذه المقالة.

وكنا على الأصل الأول، الذي فارقنا عليه أبا ذر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، الذي جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) علماً للفتنة، حين قال: عمار تقتله الفئة الباغية، فأثبته على الهدى عند الاختلاف. وحين قال: عليكم بهدى عمار، وبهدى ابن أم عبد، فقال: ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، فوقعنا بحمد الله في حزبه»[1].

والإباضية هم الذين نشروا كتب الوارجلاني، فنشر الإباضية لهذه الكتب التي فيها أمور كهذه، وتبنيهم لها دليل على أنهم يظهرون شيئاً ويبطنون خلافه.

---

(1) الدليل والبرهان المجلد الأول جزء 1 ص39.

الفصل الرابع

الوهابيون.. والخوارج..

صلات.. وسمات

الصفحة 312

الصفحة 313

صلات وسمات:

وأخواً.. فنحن نجد صلات وثيقة، وتشابهاً كبراً فيما بين كثير من آراء وشعارات «الخوارج»، وشكل ونمط الحياة عندهم، وآراء وشعارات، ونمط الحياة لدى بعض الفرق المعدودة في فرق المسلمين، وأعني بهم الوهابيين. ونذكر على سبيل المثال ما يلي[1]:

1 . قال أحمد أمين المصري: «وظلت حياتهم الاجتماعية في معيشتهم، ونظرتهم للحياة، وحروبهم، ونحو ذلك، حياة بسيطةً، بدوية لم تتغير كثراً بتغير الزمان؛ فهم يذكروننا بالوهابيين الآن في بساطتهم، وإن اختلفت تعاليمهم»[2].

(1) وقد لوحظ وجود هذه الفوارق، بين الفريقين في وقت مبكر كما يظهر من ملاحظة كتاب: صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، لمؤلفه عبد الله حسن فضل العلوي الحسيني. وكشف الارتياب للسيد محسن الأمين العاملي.

(2) ضحى الإسلام ج3 ص333.

الصفحة 314

2 . إن ثمة شبهاً آخر فيما بين الفرقتين وهو اعتبار «الخوارج» بلاد المسلمين دار حرب، وبلادهم دار إيمان تجب الهجرة إليها.

والوهابيون أيضاً يقولون: «إن الحرمين الشريفين مكة واليمن تكونان بلاد كفر تعبد فيهما الأوثان، وتجب الهجرة منهما.. وإن بلاد نجد بلاد يظهر فيها الإيمان، ويخفى في غيرها»[1].

3 . وهناك فرق آخر: وهو شدتهم على المسلمين، وقتلهم الذريع لهم، بحجة تكفيرهم.

ورفقهم بالكافرين والمشركين، ومودتهم لهم، وإقامتهم العلاقات الحميمة معهم.

فإن الفرقتين تشتركان في هذا الأمر بصورة واضحة وصريحة. فلم ينقل عن الوهابيين أنهم حاربوا سوى المسلمين، أو قتلوهم، أو ساموهم الهوان والذل. ولكنهم قتلوا أهل الطائف، وأهل كربلاء، وألفاً من حجاج اليمن، وأربع مئة حاج من الإيرانيين في ما عرف بمجزرة مكة، قبل سنوات يسيرة، وغزوا بلاد المسلمين المجاورة لهم. إلى غير ذلك مما تشتمل القائمة الطويلة لحروبهم مع المسلمين.

4 . ثم هناك التشابه الكبير بين الوهابيين و«الخوارج»، فيما نشهده من الانسجام التام بين الحكومات الوهابية، وبين قوى

الاستكبار العالمي، وحميمية العلاقات فيما بينهم، وقبول هذا الأمر لدى عامة الناس عندهم. تماماً كما هو الحال بالنسبة لتعامل حكام أولئك ورؤسائهم، ونظرة عامتهم إلى قوى الاستكبار والاستعمار.

(1) صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر ص116.

5 . إن سطحية هؤلاء وتعاملهم مع حرفية النصوص، وعدم تعمقهم في مدلولاتها. وجمودهم على ظواهرها، حتى وقعوا بما يخالف البديهيات الظاهرة، ومقتضيات الفطرة، والثابت المقطوع به من مسائل الدين وأحكامه أمر مشترك بين الفريقين. حتى لقد أنكر علماء وهابيون المجاز في الكلام من الأساس، واعتبروه طاغوتاً، فقالوا: «طاغوت المجاز» [1].

6 . أضف إلى ذلك ما في الفريقين من غلظة، وبداوة، وعجرفة وجفاء، وبعد عن الأساليب الحضارية، وعدم التحلي بالأخلاق الإسلامية.

7 . هذا إلى جانب شعارات براقة يرفعها هؤلاء وأولئك، تخفي وراءها مطامع دنيوية، وانحرافات أخلاقية وغيرها.

8 . وكما أن الوهابيين هم ضد تأويل القرآن، كذلك «الخوارج»، فإن أكثرهم ضد تأويل القرآن أيضاً [2].

9 . وكما أن «الخوارج» كانوا ضد التبرك بآثار الأنبياء، والاستشفاء بها. كما تقدم عن الذهبي، فإن الوهابية أيضاً كذلك.

10 . وكما أن «الخوارج» يعتبرون كل ما يمت إلى علي بصلة جريمة، وكفراً وخروجاً، ويحاربون كل من ينتسب إليه من أهل بيته وشيعته، كذلك الوهابية. بل ليس للوهابية شغل في هذا العالم الفسيح، والمليء بأعداء الإسلام، إلا محاربة الشيعة. وهتكهم، وتأليب الناس ضدهم، وشحن النفوس بالحقد عليهم.

(1) البشارة والاتحاف ص32 عن مختصر الصواعق المرسلة ج2 ص2.

(2) صبح الأعشى ج3 ص222 والخوارج في العصر الأموي ص204 عنه..

11 . وكما أن «الخوارج» يرفضون الاجتهاد . خصوصاً الأزارقة . كذلك الوهابية.

12 . إن «اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر، والكلام في الدين بدعة، وأنه مجلبة لكل شبهة. وأنه لا علم إلا ما كان في التوراة، وكتب الأنبياء. وأن الإيمان بالطب، وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة، والخروج إلى الدهرية. والخلاف على الإسلام، وأهل القبوة، حتى إنهم ليبهرجون المشهور بذلك، ويحرمون سالك سبيل أولئك»[1] .

و«الخوارج» أيضاً لهم هذا المنحى، ويسلكون هذا السبيل، فلا يحلون النظر في كتب الفلسفة.

ثم جاء الوهابيون، فمنعوا من ذلك أيضاً. و«قد هاجم ابن تيمية الفلاسفة المسلمين، وهاجم المأمون أيضاً في كثير من كتبه»[2] . لأنه قرّب المعتزلة، الذين يهتمون بالفلسفة، ويعتمدون العقل في أحكامهم.

وقد حكم الوهابية بوجوب اتلاف كتب المنطق، واستدلوا على وجوب إتلافها بأن كتب المنطق يحصل بسببها خلل في العقائد[3] .

وأذكر قضية حصلت لي شخصياً معهم، حيث بذلت محاولة للاجتماع ببعض علمائهم للمناقشة، فاشترط علينا أن لا نتكلم في المنطق، ولا في التاريخ فوافقنا.

ولكنه رغم ذلك لم يحضر إلى الموعد المقرر!!.

---

(1) ثلاث رسائل للجاحظ ص16.

(2) راجع: العواصم من القواصم ص194 و195 و196 متناً وهامشاً.

(3) راجع: كشف الارتياب ص495 و496.

13 . إن «الخوارج» سيماهم التحليق أو التسبيد. وعن النهاية في حديث «الخوارج»: التسبيد فيهم فاش. وهو الحلق، واستئصال الشعر.

وكذلك الوهابيون، فإن سيماهم التحليق. ولعلهم هم الذين أخبر عنهم علي (عليه السلام) بقوله: في آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، سيماهم التحليق[1] .

قال في خلاصة الكلام: «في قوله (صلى الله عليه وآله): سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء الخارجين من المشرق، التابعين لمحمد بن عبد الوهاب؛ لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه، لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا اتبعهم حتى يحلقوا رأسه.

قال: ولم يقع من أحدٍ قط من الفرق التي مضت أن يلتزموا مثل ذلك، فالحديث صريح فيهم.

قال: وكان السيد عبد الرحمن الأهدل، مفتي زبيد يقول: لا يحتاج إلى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب، بل يكفي في الرد عليه قوله (صلى الله عليه وآله): سيماهم التحليق، فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة.

قال: وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضاً بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه، قد دخلت في دينه امرأة، وجددت إسلامها زعمه، فأمر بحلق رأسها، فقالت: شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل، فلو أمرت بحلق لحى الرجال، لساغ أن تأمر بحلق رؤوس النساء، فلم يحر جواباً»[2].

14 .وعن ابن عباس: لا تكونوا ك«الخوارج» تأولوا آيات القرآن في

(1) كشف الارتياب ص125 عن الخصائص للنسائي.

(2) كشف الارتياب ص125 و126.

أهل القبلة، وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين، فجهلوا علمها، فسفكوا الدماء، وانتهبوا الأموال.

وعن ابن عمر في وصف «الخوارج»: أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين، كما رواه البخاري في صحيحه[1].

وكذلك فعل الوهابيون في الآيات النازلة في الكافرين والمشركين، فإنهم طبقوها على المسلمين كقوله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً). وقوله: (اجعل الآلهة إلهاً واحداً). وغير ذلك من آيات[2].

15 . إن «الخوارج» كانوا يتظاهرون بالعبادة والنسك والزهد، وتلاوة القرآن، واستحلوا قتل علي (عليه السلام). والوهابيون أيضاً يتظاهرون بفرط النسك والتعبد، ولكنهم أيضاً يعتبرون رفع الصوت بتلاوة الأوراد والأذكار شركاً أكبر، يقاتل عليه.

16 .ويلاحظ: أن محمد بن عبد الوهاب تميمي، هو من عشيرة ومعدن ذي الخويصرة التميمي، وقد كان أكثر «الخوارج» الأولين، وكثير من زعمائهم الكبار من بني تميم.

إن جمود «الخوارج» وجفاءهم كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، فبينما نجدهم لا يتعرضون لغير المسلمين بأذى. نجدهم قد حكموا بكفر جميع المسلمين، ودانوا باستباحتهم بالسيف.

وهم في حين يتورعون عن أكل تمرة سقطت على الأرض، وعن قتل الخنزير الشارد، فإنهم يقتلون عبد الله بن خباب والقرآن في عنقه،

(1) راجع المصدر السابق ص124 وراجع: صدق الخبر في خوارج القرن الثاني ص160.

(2) المصدران السابقان.

ويبقرون بطن زوجته، ويقتلون أطفال المسلمين، ويسبون نساءهم. وقد تواردوا في بعض الوقائع في امرأة مسلمة جميلة، وغالوا في ثمنها. فقام بعضهم وقتلها. على اعتبار أن هذه الكافرة كادت تقع بسببها فتنة بين المسلمين[1].

والوهابيون أيضاً كـ«الخوارج» في جمودهم، وعدم تعمقهم في الأمور، فهم بينما يتوقفون في التلفاف، ويحرمون التدخين، ويعاقبون عليه، فإنهم استحلوا ضرب المسلمين بالمدافع، وكفروهم، وحكموا عليهم بالشرك، ويستحلون دماءهم وأموالهم. لأجل طلبهم الشفاعة من الأنبياء والأولياء.

وبعضهم استحل سبي الذرية. وجعلوا دار المسلمين دار حرب، ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها، وهذا هو نفس ما فعله «الخوارج» أيضاً[2].

18 . وكما أن «الخوارج» يرفعون شعارات براقة كقولهم: لا حكم إلا لله، كذلك الوهابية فإنهم يرفعون شعار العودة إلى التوحيد، والابتعاد عن الشرك، ونبذ البدع..

19 . وكما أن شعار «الخوارج» هو كلمة حق يراد بها باطل، وهو أنهم يريدون: أنه لا إمارة لأحد، ولا يجوز التحكيم في الأمور الدينية، ووقوعا عليه: أن التحكيم الذي كان بصفين كان معصية وكفراً.

كذلك الوهابيون: فإنهم رفعوا شعار نبذ البدع، والرجوع إلى التوحيد الخالص؛ وهي كلمة حق يراد بها باطل، حيث كفروا من

(1) كشف الارتياب ص116 والكامل في الأدب ج3 ص 355 و 356.

(2) المصدر السابق ص117 و118.

استشفع بالرسل والأولياء، وتوسل بهم، ومنعوا من تعظيم من عظمهم الله، ومنعوا من الاستشفاع بمن جعله الله شافعاً مغيثاً، وهو تضليل وتمويه إذ لا يوجد أحد يقول: إن محمداً (صلى الله عليه وآله) قادر بنفسه وبدون الله سبحانه. وهذا معناه أنه لا يجوز طلب الدعاء من المؤمن.

كما انهم منعوا من تقبيل ضريح النبي (صلى الله عليه وآله)، لأنه خشب أو حديد، مع العلم بأن القرآن لا يمسه إلا المطهرون، مع انه حبر وورق أيضاً..

20 . إن «الخوارج» يظهرون الزهد في الدنيا، ثم ظهر من خلال ممارساتهم وأقوالهم، أنهم طلاب ملك، ودنيا، حتى إنهم ليقاتلون على الثوب يسلب منهم أشد قتال.. إلى غير ذلك مما قدمناه حينما تحدثنا عن زهد «الخوارج»..

وكذلك الوهابيون.. فإنهم يظهرون ذلك.. ويستحلون سلب مجوهرات الحجرة النبوية. والاستئثار بثروات الأمة.. وتلك هي مظاهر بذخهم الجنوني، وتبذيرهم المرعب وانغماسهم في الشهوات والمآثم. قد فحّت روائحها، وزكمت الأنوف بريحها النتن.

21 . وقد تقدم عن عائشة: أن من سمات «الخوارج»: أن أزرهم إلى أنصاف سوقهم[1].

وهذا تماماً هو حال الوهابيين، فاقرأ واعجب فما عشت أراك الدهر عجباً.

(1) تاريخ بغداد ج1 ص16.

وأخواً:

فهل سيصبح مصير الوهابيين هو نفس مصير «الخوارج».. فيكون آخوهم لصوصاً سلابين؟!

ومن يوي فإن غداً لناظره قويب.

الفصل الخامس

شقيق عاقر ناقة صالح

علي (عليه السلام) يعرف قاتله، وكيف يقتله:

عن عبيدة قال: إن علياً (عليه السلام) كان إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد [1].

وعن أبي الطفيل قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه عبد الرحمن بن ملجم، فأمر له بعطائه.

ثم قال: ما يحبس أشقاها أن يخضبها من أعلاها، يخضب هذه من هذه، وأومأ إلى لحيته، ثم قال علي:

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت آتيكا

ولا تجزع من القتل إذا حل بواديكا [2]

وعن زيد بن وهب، قال: قدم على علي قوم من «الخوارج»، فيهم رجل يقال له: الجعد بن نعجة، فقال له: اتق الله يا علي، فإنك ميت.

فقال علي (عليه السلام): بل مقتول، ضربة على هذه تخضب هذه.

(1) منتخب كنز العمال، مطبوع بهامش مسند أحمد ج5 ص61 عن ابن سعد، وعبد الرزاق، ووكيع في الغرر، وحياة الصحابة ج3 ص75

عن المنتخب.

(2) منتخب كنز العمال ج5 ص59 عن ابن سعد، وأبي نعيم، وحياة الصحابة ج3 ص75 عن المنتخب.

وأشار إلى رأسه ولحيته بيده . قضاء مقضي، وعهد معهود، وقد خاب من افترى.

ثم عاتب علياً (عليه السلام) في لباسه، فقال: لو لبست لباساً خيراً من هذه؟!

فقال: مالك وللباسي؟! إن لباسي [هذا] أبعد [لي] من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلمون[1].

ويذكر المعتزلي: أن علياً (عليه السلام) التقى الزبير في حرب الجمل، فذكّره قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرجع الزبير إلى أصحابه نادماً واجماً، ورجع علي (عليه السلام) إلى أصحابه جذلاً مسروراً، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، تبرز إلى الزبير حاسراً، وهو شاكٍ في السلاح، وأنت تعرف شجاعته؟!

قال: إنه ليس بقاتلي، إنما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب، غيلة في غير مأقط حرب، ولا معركة رجال. ويلُمه [ويل أمة] أشقى البشر! ليودّن أن أمه هبلت به. أما إنه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن[2].

ويتعذر علينا إحصاء النصوص والمصادر التي تحدثت عن إخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن قاتله هو ابن ملجم، وأن ذلك يكون بضربة على رأسه يخضب منها لحيته..

(1) كنز العمال ج11 ص284 ورمز لذلك بـ [ط.وابن أبي عاصم في السنة.عم.حم في الزهد. والبغوي في الجعديات.ك.ق في الدلائل. ض] ومنتخب العمال ج5 ص435 وترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق [بتحقيق المحمودي] ص 278 ، وفي هامشه عن كتاب الفضائل رقم 32 والزهد والرقائق ص 361 و132 ومسند الطيالسي رقم 157 ج1/23 ومستدرك الحاكم ج3 ص143 ـ ومسند أحمد ج1 ص91 وكفاية الطالب ص460 ـ وتذكرة الخواص ص173.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج1 ص235.

وربما يكون ذلك منه (عليه السلام) يهدف إلى تحصين الناس من دعوات «الخوارج» وغيرهم، والربط على قلوب المؤمنين، من خلال تلمسهم صدق إخباراته الغيبية، الأمر الذي يرسخ اعتقادهم بالإمامة، على أساس أن الغيب هو أحد أركان هذا المقام العظيم.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنه بكى في آخر جمعة من شعبان، فسأله علي (عليه السلام) عن سبب هذا البكاء، فقال له: أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر. فقال له علي (عليه السلام): أفي سلامة من ديني.. قال (صلى الله عليه وآله): نعم..

فإن سؤال أمير المؤمنين لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أفي سلامة من ديني، لا يعني أنه (عليه السلام) كان غير مطمئن لمصيره، لأن الإنسان قد يموت كافراً أو فاسقاً كما زعمه البعض[1].

بل هو (عليه السلام) يريد أن يعرفنا على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن قاتله هو الضال، المارق من الدين كما مرق السهم من الرمية. أما علي (عليه السلام)، فإنه على بيّنة من ربه، ولو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً..

فسؤاله (عليه السلام) لأجل أن يسمعنا على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) ما يجعلنا في حصانة ومأمن من الشبهة، لكي لا نغتر بما يظهره «الخوارج» من نسك وعبادة، فنشك في إمامنا ونهلك بسبب ذلك.

(1) إن هذا البعض قد قال ذلك عبر إذاعة تابعة له تبث من بيروت وذلك ليلة 19 شهر رمضان المبارك سنة 1422 هـ.ق.

«الخوارج» يقتلون أوصياء الأنبياء:

ثم إن قاتل علي أمير المؤمنين (عليه السلام) هو عبد الرحمن بن ملجم، وهذا مما أجمعت عليه الأمة، فلا حاجة إلى ذكر النصوص والمصادر لذلك غير أننا نكتفي هنا بما قاله ابن اعثم الكوفي، الذي ذكر أن علياً (عليه السلام) استشهد بعد وقعة النهروان بستة أيام.[1] وقد كان له (عليه السلام) معهم في النهروان عدة وقائع.

يقول ابن أعثم؛ بعد ذكره لأحداث النهروان: «وأقبل علي نحو الكوفة، وسبقه عبد الرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ حتى دخل الكوفة؛ فجعل يبشر أهلها بهلاك الشراة[2].

قال: ومر بدار من دور الكوفة، فسمع فيها صوت زمر، وصوت طبل يضرب؛ فأنكر ذلك، فقيل له: هذه دار فيها وليمة، قال: فنهى عن صوت الزمر، والطبل قال: وخرجت النساء..»[3].

ثم يذكر قصة رؤية ابن ملجم قطاماً آنئذ، وأنه عرض عليها الزواج، فقبلت بشرط أن يكون مهرها ثلاثة آلاف درهم، وعبداً، وقينة، وقتل علي (عليه السلام)، ثم تنازلت له عما سوى قتل علي (عليه السلام)، لأنه كان قد قتل أباها، ثم رضيت منه بضربةٍ، على أن يكون سيفه رهينة عندها، فدفع إليها سيفه، وانصرف إلى منزله.

«.. وقدم علي كرم الله وجهه من سفره، واستقبله الناس، يهنئونه بظفره بـ«الخوارج»، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين، ثم

(1) وهو كلام غير صحيح.

(2) الفتوح ج4 ص136 و137.

(3) الفتوح ج4 ص133 و134 وراجع كشف الغمة ج2 ص62 والبحار ج32 ص263.

صعد المنبر، فخطب خطبة حسنة.

ثم التفت إلى ابنه الحسين، فقال: يا أبا عبد الله، كم بقي من شهرنا هذا، يعني شهر رمضان الذي هم فيه.

فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته، وهي يومئذٍ بيضاء، وقال: والله ليخضبنّها بالدم، إذا انبعث أشقاها.

قال: ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي خليلي من عذيري من مراد

فسمع ابن ملجم لعنه الله؛ فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك؛ فجاء حتى وقف بين يدي علي (رض) فقال:

أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، فهذه يميني وشمالي بين يديك، فاقطعهما، أو اقتلني.

فقال علي كرم الله وجهه: وكيف أقتلك،ولا ذنب لك عندي، إني لم أردك بذلك المثل. ولكن خبرني النبي (صلى الله عليه وآله): أن قاتليرجل من مراد، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك، ولكن هل كان لك لقب في صغرك؟

فقال: لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين.

قال علي: فهل لك حاضنة يهودية، فقالت لك يوماً من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة صالح؟!

قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فسكت علي، وركب، وصار إلى منزله»[1].

(1) الفتوح ج4 ص136 و137 وكشف الغمة ج1 ص276.

ثم يذكر ابن أعثم: «أن ضربة ابن ملجم لعلي (عليه السلام) قد كانت في يوم ثالث وعشرين»[1].

وكان ابن ملجم قد بات في منزل قطام، وكان قد تناول نبيذاً تلك الليلة[2].

وقال: إنها سقته الخمر العكوي،وأن رفيق ابن ملجم نام، لكن ابن ملجم تمتع معها[3].

وبعد أن تذكر الرواية: تفصيلات ضربة ابن ملجم لعنه الله لأمير المؤمنين (عليه السلام).

تقول: «ثم احتمل علي إلى صحن المسجد،وأحدق الناس به، فقالوا: من فعل هذا بك يا أمير المؤمنين؟

فقال: لا تعجلوا؛ فإن الذي فعل بي هذا سيدخل عليكم الساعة من هذا الباب..وأومأ بيده إلى بعض الأبواب.

قال: فخرجرجل من عبد القيس في ذلك الباب؛ فإذا هو بابن ملجم، وقد سدت عليه المذاهب، فليس يدري إلى أين يهرب، فضرب العبدي بيده إليه، ثم قال: ويحك، لعلك ضرب أمير المؤمنين؟

فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم.

فكبه،وأدخله المسجد، فجعل الناس يلطمونه من كل ناحية، حتى أقعدوه بين يدي علي.

فقال له: أخا مراد؟ بئس الأمير كنت لك؟

(1) الفتوح ج4 ص137.

(2) الفتوح ج4 ص139.

(3) البحار ج4 ص239 المناقب لابن شهر اشوب ج3 ص311 . المطبعة العلمية . قم.

قال: لا، يا أمير المؤمنين»[1].

وفي رواية: أنه قال له: «ولقد كنت أعلم أنك قاتلي، وإنما أحسنت إليك لاستظهر بالله عليك»[2].

وتذكر النصوص: أن قطاماً دعت بحرير فعصبت به صدر ابن ملجم ورفيقه، حينما تحركوا لتنفيذ جريمتهم بقتل سيد الوصيين (عليه السلام)[3].

وذكرت بعض النصوص أيضاً: أن ابن ملجم تزوج قطاماً، وبنى بها ثم طالبته بالوفاء بشروطها[4].

فزت وربِّ الكعبة:

وتقول الروايات: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين أحسّ بضربة ابن ملجم له قال: «فزت ورب الكعبة»[5].

وقد تحدثنا عن هذه الكلمة وما بمعناها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله)[6] وغيره. ولا نريد أن نعيد هنا ما كتبناه هناك. بل نكتفي بإحالة القارئ عليه. ونؤكد عليه بالرجوع إليه.

---

(1) الفتوح ج4 ص140 و141.

(2) تذكرة الخواص ص177.

(3) روضة الواعظين ص133 وراجع ص134 والمناقب للخوارزمي ص276 ونظم درر السمطين ص144 وشرح النهج للمعتزلي ج6 ص116و118 ومقاتل الطالبيين ص33 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص313 . المطبعة العلمية.

(4) الثقات ج2 ص302 والبداية والنهاية ج7 ص329 و327 وتذكرة الخواص ص176 وأنساب الأشراف ج2 ص487 . 492.

(5) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص207 وترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق ج3 ص303. [تحقيق المحمودي] ومقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن أبي الدنيا [مطبوع في مجلة تراثنا سنة 3 عدد 3 ص96].

(6) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ج7 ص352 و361.

علي (عليه السلام) يخبر عن الغيب:

وقد مرت الاشارة عن قريب إلى أن امير المؤمنين (عليه السلام) قد أخبرهم أن قاتله سيخرج عليهم من الباب الفلاني. وقد تحقق ما أخبره (عليه السلام) مباشرة. ويدخل ذلك في سياق سعيه (صلوات الله عليه) لتحصين الأمة من الوقوع في الشبهة فلا تتوهم ما يظهر «الخوارج» الملقون من عبادة وزهادة ونسك وخشوع وذلك عن طريق الإثبات الواضح بالإخبارات الغيبية القاهرة للعقل والملامسة للوجدان أنه (عليه السلام) يملك علم الإمامة الذي يفرض عليهم الخضوع والانقياد له من دون أي شبهة

أو ريب.

تاريخ الضربة:

وإن ما ذكره: ابن أعثم أن ضربة ابن ملجم لعلي (عليه السلام) كانت في الثالث والعشرين من شهر رمضان بخلاف ما هو معروف ومشهور من أن ذلك كان في التاسع عشر من شهر رمضان، ثم استشهد في الحادي والعشرين منه.

ولو أعلم إنك قاتلي:

وذكر ابن أعثم أيضاً: بأنه (عليه السلام) قال لابن ملجم: لو أعلم انك قاتلي لقتلتك..ولا يمكن قبول ذلك منه فإنه (عليه السلام) ما فتئ يخبر الناس تصريحاً وتلويحاً بأن ابن ملجم هو قاتله، حتى إن بعض النصوص: أنهم قالوا له: لما لا تقتله، فقال: لم يقتلني بعد.

وإن ادنى مراجعة لكتب الحديث والتاريخ كفيلة بإظهار هذه الحقيقة.

ابن ملجم يشرب الخمر، ويلبس الحرير:

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على حقيقة أن «الخوارج» كان يتظاهرون بالتدين، دون أن يكون لهم دين في الواقع.. بل كانوا يرتكبون أعظم المآثم، حتى شرب الخمر والزنى إلى درجة الدعارة الظاهرة. وليس ابن ملجم في شربه للخمر ولبسه للحرير المحرم للرجال إلا المثال الذي تكثر نظائره فيهم. أخزاهم الله.

أصابع اليهود في قتل الوصي (عليه السلام):

وعلى كل حال، فقد كانت مربية ابن ملجم يهودية[1] بل كما ذكره المجلسي، وابن أعثم وغيرهما، لقد روي عن جوين الحضرمي، قال: عرض [على] علي الخيل، فمر عليه ابن ملجم، فسأله عن اسمه، أو قال: [عن] نسبه. فانتهى إلى غير أبيه. فقال له: كذبت.

حتى انتسب إلى أبيه، فقال: صدقت. أما إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حدثني: أن قاتلي شبه اليهود!!! هو يهودي، فامضه[2].

(1) البحار ج32 ص262.

(2) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق ج3 ص293 بتحقيق المحمودي وكنز العمال ج15 ص174 وحياة الصحابة ج3 ص75 ومنتخب كنز العمال [بهامش مسند أحمد] ج5 ص62.

وتذكر نصوص أخرى ممالأة الأشعث بن قيس لابن ملجم، وتآمره معه على قتله (عليه السلام)[1].

«الخوارج» ينكرون قتل علي (عليه السلام):

ويذكر البعض: أن بعض مؤرخي «الخوارج» في هذا العصر ينكرون قتل «الخوارج» لعلي (عليه السلام) ويقولون: إن قبيلة بني مراد التي كان عبد الرحمن بن ملجم منها لم يكونوا في جملة «الخوارج».

وقد كذّب مؤرخ الإباضية [وهم من الخوارج] الشيخ سليمان بن داود بن يوسف اشتراك «الخوارج» في قتل علي، استناداً إلى ما ذكرناه آنفاً، ويرى أن الأشعث بن قيس هو قاتل علي (عليه السلام)، وقد يكون معاوية قد أشار إليه بذلك.

ثم هو ينكر تآمر «الخوارج» الثلاثة على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، بل هو ينكر حتى أصل وجود هؤلاء الأشخاص الثلاثة[2] فراجع كلامه.

كما ترى كلام غير منطقي وغير مقبول، بعد إطباق الأمة الإسلامية. وأصبح ذلك من المتواترات القطعية: أن ابن ملجم الخارجي هو قاتل علي (عليه السلام) سواء صدقت رواية تآمر الثلاثة على قتل معاوية وابن العاص، وأمير المؤمنين (عليه السلام)، أم كذبت.. ولا ضرورة لإشغال أنفسنا في الرد على ترهات وأباطيل، تفقد أدنى فرصة للاحتمال المعقول، وحتى غير المعقول.

---

(1) راجع: أنساب الأشراف ج2 ص493 و494.

(2) تحليلي أز تاريخ إسلام . القسم الأول ص133و134 ، ولم يظهر من المؤلف مخالفة لهم في هذا الرأي..

عقوبة قاتل علي (عليه السلام):

وقد جاء في بعض الروايات: لما ضرب علي (عليه السلام) قال: «ما فعل ضاربي؟ أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشت، فأنا أولى بحقي، وإن مت فاضربوه ولا تزيدوه»[1].

وقال البلاذري: «يقال: إن الحسن ضرب عنقه، وقال: لا أمثل به»[2].

رواية أخرى قالت: «إنه لما ضرب ابن ملجم علياً (رضي الله عنه) الضربة، قال علي: افعلوا به كما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يفعل برجل أراد قتله، فقال اقتلوه، ثم حرقوه» وهذه هي رواية أحمد.

وحسب نص ابن شهر آشوب: «إن هلكت فاصنعوا به كما يصنع بقاتل النبي، فسئل عن معناه، فقال: اقتلوه ثم احرقوه بالنار»[3].

وفي نص آخر، قال علي (عليه السلام): «احبسوه، وأطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فعفو، أو قصاص. وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين».

لكنه عاد فأضاف قوله: «فمات علي بن أبي طالب غداة يوم الجمعة، فأخذ عبد الله بن جعفر، والحسن بن علي [ومحمد بن الحنفية][4] عبد الرحمن بن ملجم،

---

(1) المناقب للخوارزمي ص280 و281.

(2) أنساب الأشراف ج2 ص505.

(3) مسند أحمد ج1 ص93.

(4) في هامش المصدر: زيد بناء على الطبقات 3/1/26.

فقطعوا يديه ورجليه، فلم يجزع، ولم يتكلم، ثم كحلوا عينيه بملمول محمى، ثم قطعوا لسانه، وأحرقوه بالنار»[1].

ونقول: الصحيح هو أن الناس هم الذين فعلوا فيه ذلك، فعن عمران بن ميثم: «لقد رأيت الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح أتوا بابن ملجم لعنه الله، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، وهم يقولون: يا عدو الله، ماذا فعلت؟! إلخ»[2].

ونص آخر يقول: «إن الحسن (عليه السلام)، قدمّه فقتله، فأخذه الناس فأخرجوه في برادي ثم أحرقوه بالنار»[3].

وذكر ابن شهر آشوب، أنه (عليه السلام) قال لهم: «ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي ونهى عن المثلة»[4].

وذكر نص آخر: «أن أم الهيثم بنت الأسود النخعية استوهبت جيفته من الإمام الحسن (عليه السلام)، فوهبها لها، فأحرقتها بالنار»[5].

والخلاصة: أننا لا نشك في أن الإمام الحسن (عليه السلام) لا يخالف وصية أبيه من جهة.

ولا يرتكب مخالفة لحكم شرعي وهو تحريم المثلة، ولو بالكلب العقور من جهة أخرى.

(1) الثقات ج2 ص303 والأخبار الطوال ص215 وطبقات ابن سعد ج3 قسم1 ص25و26 وراجع أنساب الأشراف ج2 ص495 و502 و504.

(2) مقاتل الطالبين ص37.

(3) المناقب للخوارزمي ص280.

(4) مناقب آل أبي طالب ج3 ص312 . المطبعة العلمية . قم.

(5) مناقب آل أبي طالب ج3 ص313 المطبعة العلمية ومقاتل الطالبيين ص41.

فإن كان ابن ملجم قد تعرض لشيء من ذلك، فلابد أن لا يكون ذلك عن رضى من قبل الحسنين (عليهما السلام)، بل قد يكون فاعل ذلك هو الناس الذين أخذتهم حالة الهياج والحماس كما هو صريح كلام أبي الفرج.

أو أم الهيثم، كما ذكره أبو الفرج، وابن شهر آشوب.

ابن ملجم صحابي مصيب في قتل علي (عليه السلام):

وقال الحارثي الإباضي: «عدّ ابن حجر عبد الرحمن هذا من الصحابة. وذكر عن الإمام الشافعي: أنه لا يرى ابن ملجم مخطئاً في قتله، لأنه مجتهد. وكل مجتهد مصيب»[1]. حتى على رأي علي نفسه كما زعم[2].

وقال ابن حزم: «إن الشافعيين والمالكيين لا يختلفون في أن من قتل آخر على تأويل، فلا قود في ذلك، ولا خلاف بين أحد[3]

من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً (رضي الله عنه) إلا متأولاً مجتهداً، مقراً على أنه صواب» .

إذن.. فابن ملجم عند هؤلاء مصيب في قتله علياً، وهو مأجور أيضاً أجرين على ذلك، لأنه مجتهد، وإذا أصاب المجتهد عند هؤلاء أيضاً. فله أجران..

فكيف إذا كان ابن ملجم صحابياً، والصحابة عند هؤلاء كلهم عدول أتقياء، ولا يفسقون بما يفسق به غيرهم؟

كما أوضحناه في الجزء الأول من كتابنا الصحيح من سيرة النبي. ط ثانية..

---

(1) العقود الفضية ص43و64.

(2) العقود الفضية. ص43 و64.

(3) المحلى ج10 ص482 والغدير ج1 ص325 عنه.

قال الأميني: «.. لكن ابن حزم لا يرضى أن يكون قاتل عمر، أو قتلة عثمان مجتهدين. ونحن أيضاً لا نقول به».

ثم ذكر (رحمه الله): «أن ما نسبه ابن حزم إلى الأمة لا يصح إلا ما عن الخوارج المارقين عن الدين»[1].

وذكر (رحمه الله) أيضاً: موافقة الناس على قتل ابن ملجم عقوبة له. وأن كلاً منهم يود أن يكون هو المباشر لقتله.

ثم أضاف قوله: إن فعل ابن ملجم لم يكن مما يتطرق إليه الاجتهاد، فضلاً عن أن يبرره الاجتهاد، ولو كان هناك اجتهاد، فهو في مقابل النصوص المتضافرة[2].

وأما حديث: أن كل مجتهد مصيب، ونسبة ذلك إلى علي (عليه السلام). فلا شك في أنه غير صحيح ولا يشك ذو مسكة أن علياً لا يقول في التصويب في الاجتهاد، ولهذا البحث مجال آخر.

قاتل علي (عليه السلام) هو معاوية:

هذا.. وقد روي ما يشير إلى أن معاوية كان بتآمره وكيده وراء قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) على يد ابن ملجم، وتدل على ذلك أبيات لأبي الأسود الدؤلي، فهو يقول:

---

(1) الغدير ج1 ص326.

(2) الغدير ج1 ص328.

ألا بلّغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ... وبرّ خير من ركب السفينا

إلى أن يقول:

إذا استقبلت وجه أبي رأيت البدر حار
تواب الناظرينا[1]

ولاتستبعد ذلك على معاوية الذي كان من أصول الشجرة الملعونة في القرآن...

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي ص85 وفي هامشه تاريخ الدولة العربية ص98/99 عن الطبري، وتذكرة الخواص ص181، ومناقب آل أبي طالب ج3 ص315 ـ المطبعة العلمية ـ قم ـ إيران..

كلمة أخيرة

كان ما ذكرناه في هذا الكتاب مجرد ملاحظات، ولمحات وتحليلات، تستند إلى الوقائع والنصوص، رأينا أنها جديرة بالتسجيل والعرض ضمن فصول، وأبواب، وفق منهجية اعتقدنا أنها تسهّل لنا إيصال ما نرمي إليه، إلى القارئ الكريم، مع حفظ التسلسل الطبيعي لها قدر الإمكان.

وقد يجد البعض ملامح ومبررات، تخوله أن يطلق عليها اسم بحث أو دراسة، ولن نعترض نحن بدورنا على هذه التسمية، بل قد استخدمنا نحن هذا التعبير أيضاً، مادمنا لم نجد حرجاً ظاهراً في ذلك، غير أن علينا أن نعترف بأننا لم نخطط لهذه الدراسة منذ البداية لتكون مستوعبة وشاملة، ولا لتأخذ هذه الصفة أو تلك.

وما نريد أن نشير إليه هنا هو: أن هذه الدراسة قد كتبت قبل سنوات لتقدم إلى أحد المؤتمرات، الذي توخى أن يبحث في جوانب موضوعات كثيرة، كان من بينها الحركات والثورات التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية على مدى التاريخ.

وقد وافق ذلك بعض الميل لدي إلى التعرف على هذا الموضوع بالذات الذي يمثل حالة كامنة، طالما عانى منها أمير المؤمنين (عليه السلام).

لاعتقادي: أن ذلك يفيد في التعرف على المحيط، وما فيه من خصائص فكرية وحالات اجتماعية، وغيرها مما كان يهيمن على الناس الذين عاشوا في ذلك المحيط، وكان أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) يتعامل معهم.

ومن الواضح: أن مستوى وعينا لذلك كله يؤثر بصورة مباشرة على فهمنا لحيثيات التعامل السياسي والاجتماعي لأمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ثم هو يؤثر على ما نستخلصه من دروس وعبر من مواقفه (عليه السلام) ومن حركته، فإنه الإمام المعصوم الذي يمثل الأسوة والقدوة.

ولكن علينا أن لا ننسى: أن هذه الدراسة أو هذا البحث ربما لم يستطع أن يلم بكل الجوانب، فقد بقيت ثمة مجالات كثيرة لابد من التصدي للبحث فيها إن عاجلاً أو آجلاً، لكي تكتمل ملامح الصورة، وليمكن إصدار الأحكام بثقة أكثر، وباطمئنان أتم.

كما أن هذا البحث لم يتصدّ لمعالجة حركة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، بصورة تفصيلية إلى حد الإغفال لأمور هامة إلا في حدود الإشارة والإلماح والتوسع حيناً، وباختصار شديد أحياناً أخرى..

ولأجل ذلك: فإن المفروض هو القيام بدراسات أخرى تهدف إلى استقصاء مواقفه (صلوات الله وسلامه عليه)، للتعرف على خصوصياتها وجزئياتها، بصورة أجمع وأوضح، وأوفى..

وكل ذلك الذي ذكرناه: يجعلنا نؤكد على أن هذه الدراسة تمثل دراسة تمهيدية، وليست هي الغاية ولا النهاية.

والتأمل فيما ذكرناه وسواه، وملاحظة الوقائع التاريخية، التي ترتبط بظهور «الخوارج»، ومواقفه (عليه السلام) عنهم يجعلنا نخرج بحقيقة: أنه لم يكن لأمير المؤمنين (عليه السلام) لا في أصل نشأتهم ولا في الظروف والعوامل التي ساعدت على ظهورهم أي اختيار، أو دور على الإطلاق.

كما أن ذلك يوضح: أن هؤلاء القوم لم يكونوا من أصحابه الذين تربوا على أفكاره، ومفاهيمه، التي هي الإسلام الخالص، ولا عرفوا من الإسلام إلا بعض الشعارات والظواهر العامة.. ولم يتربوا تربية دينية صحيحة وكاملة.. بل بقيت عصبياتهم القبلية، ومفاهيمهم الجاهلية، ونزواتهم العاطفية، ومصالحهم الشخصية، وغير ذلك مما تقدم.. هي المنطلق والدافع لهم في مختلف تصرفاتهم ومواقفهم.

وكان لجهلهم، وللأحوال الاجتماعية، والأخلاقية، وحتى الاقتصادية، وكذلك طبيعة الأحداث التي عاشوها بعد الفتح الإسلامي وغير ذلك من أمور، كان لذلك كله حالة من الهيمنة على ذلك المجتمع آنذاك، وتأثير كبير على علاقاتهم بمحيطهم، وبقائدهم، ونوعية ارتباطهم بهذا وذاك..

نعم.. وقد أدرك معاوية والأمويون. أو فقل: أعداء أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بصورة عامة ذلك كله، واستفادوا منه ما أمكنهم في سبيل تحقيق أهدافهم اللاإنسانية، واللامشروعة.. إما بمواقفهم المباشرة أحياناً، أو عن طريق التآمر والدس إلى عملائهم، والميالين إليهم أحياناً أخرى.

وملاحظة أخيرة نسجلها هنا، وهي: أن ما جاء في هذا البحث، بالإضافة إلى أمور كثيرة أخرى، ألمحنا إلى شيء منها في سائر مؤلفاتنا

يمثل أنموذجاً، يفيدنا: أن علياً أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) هو العلم الفرد الذي حقق المعجزات الكبرى والخالدة في مجال التعامل السياسي.

ولن تجدي المحاولات المغرضة التي يبذلها خصوم وأعداء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) منذ كان حياً، وكذلك المستشرقون الحاقدون والمغرضون، ثم أحفاد أولئك، وأذناب هؤلاء. للحط من شأن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتصغير منزلته، بدعوى أنه لم يكن له خبرة سياسية كافية، وإلا لكان استمال هؤلاء، وخدع وغدر بأولئك واتبع سياسة التمزيق والفتنة تجاه فريق، أو القهر والقوة تجاه آخرين، إلى غير ذلك من الأساليب السياسية الرخيصة التي تواجهها في هذه الأيام، فتستقيم له بذلك الأمور، ويقوى موقعه في الحكم.

فإنه (عليه السلام) في نفس الوقت الذي التزم فيه بمبادئه، وبأحكام دينه في كل مواقفه السياسية، وفي تعامله مع الأحداث، دون أن يحيد عنها قيد شعرة، قد حقق أهدافاً كبيرة يستحيل تحقيقها على أي من السياسيين الذين يستعملون مختلف الأساليب المنحرفة وغير الإنسانية في سياساتهم وفي مواقفهم.

وهذا هو ما تظهره الدراسة الموضوعية النزيهة، والمنصفة، وهذا هو ما يفرضه الوجدان العلمي، وفق ما توفره النصوص التاريخية والحديثية والرجالية وغيرها.

ودع عنك كل الادعاءات والافتراءات التي تهدف إلى التزييف والتزوير للحقيقة، مما تنتجه عقول شيطانية، ما عرفت من المعايير والقيم الأخلاقية والإنسانية، والتوجيهات الإلهية، إلا اسمها، من أجل أن

تستخدمها في عملياتها الخيانية للتاريخ وللأمة، فهي أشد من الوحوش الضارية في فتكاتها بالقيم، وبالأخلاق، وبالدين، وبإنسانية الإنسان في كل مجالاتها واتجاهاتها، دونما رحمة ودون هوادة.

وبعد.. فإننا نأمل من أولئك المخلصين الذين يغارون على دينهم، وعلى مثلهم وعلى مقدساتهم أن يضاعفوا من جهودهم في البحث والتحقيق، لإظهار الكثير الطيب مما تعمدت الأيدي الآثمة طمسه، أو إبعاده عن الأنظار.

وفي الختام: إنني أعتذر إلى القارئ الكريم عما يجده من إيجاز يكاد يكون مخلاً في موارد كثيرة.

وأسأله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل ثوابه لشهيد المحراب الأول علي أمير المؤمنين صلوات ربي عليه وسلامه..

ولكل شهداء الإسلام..

في كل زمان

وكل مكان..

والحمد لله، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

30 / محرم / 1411هـ.ق

قم المشرفة . إيران

جعفر مرتضى العاملي